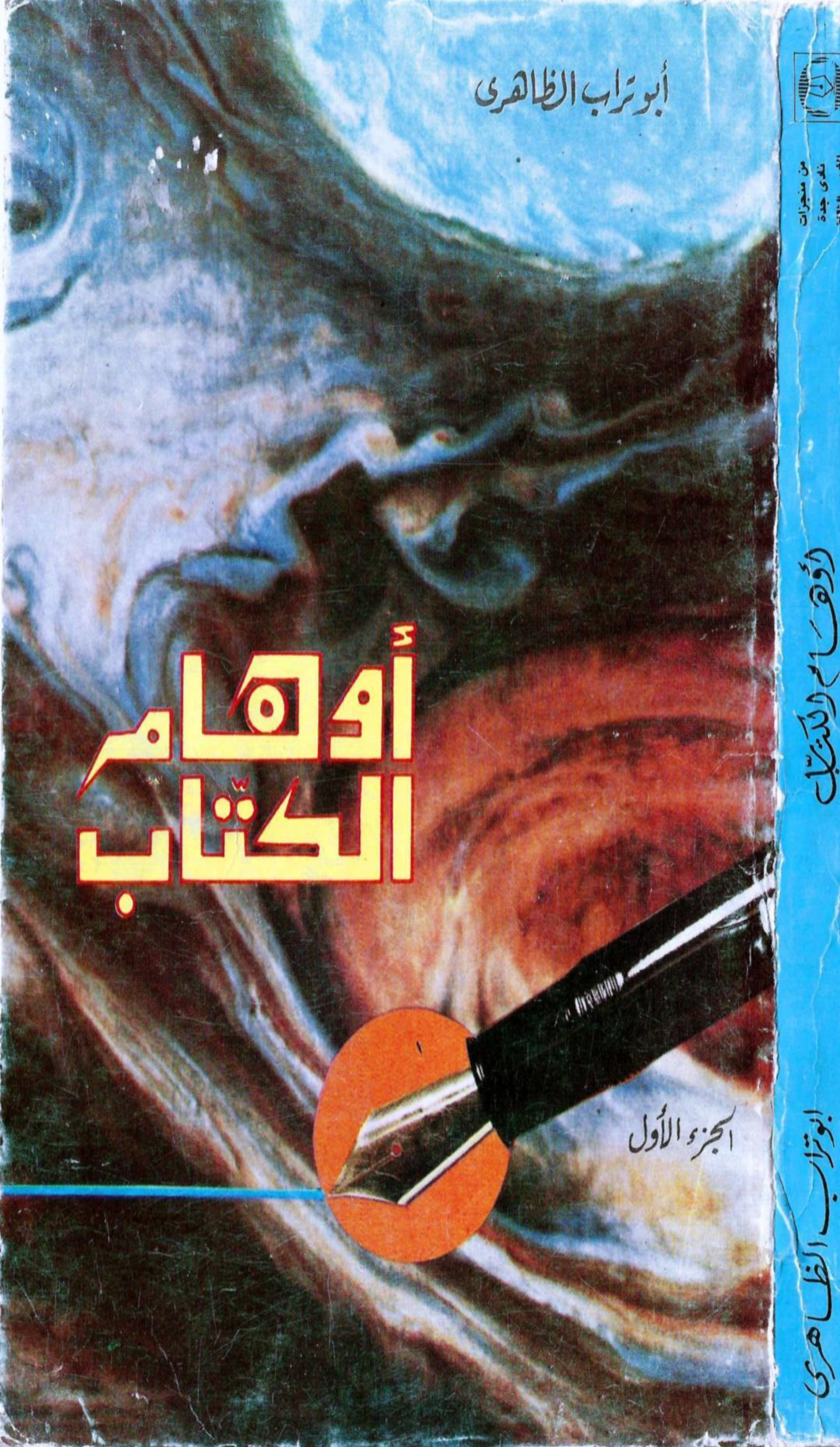

أبو تراب الظاهري
أوهام الكتّاب
الجزء الأول
من منجزات نادي جدة الأدبي الثقافي
أوهام الكتّاب
أبو تراب الظاهري

كتاب
النادي الأدبي الثقافي
7



أبو تراب الظاهري



الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م


دار البلاد للطباعة والنشر
جدة ـ ص . ب : ٧٦١٤
ت : ٦٧١٦٤٦٦ خمسة خطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

النادى الأدبى الثقافى

جدة ـ المملكة العربية السعودية

ص .ب: ٥٩١٩   ت : ٦٥٣٣٩٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى . وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته فى العالمين .

قال أبو تراب : فى هذا الكتاب اورد بعض ما احاط به خبرى من اوهام الناس فى اللغة والاصطلاح والمسائل التى يغلطون فيها أو يخطئون واكثره من تتبعى فاذا كان من غيرى عزوت اليه ما اذكر للامانة العلمية ، وسبق ان كتبت بعنوان « كبوات اليراع » فى جريدة « حراء » المنقرضة وكتبت بعنوان « اوهام الكبار » فى جريدة « البلاد » وما نشر من تحقيقى قليل وما اخبئه منه الكثير .

وكتب المتقدمون فى هذا الباب فكان كتاب ابن خالويه « ما تلحن فيه العامة » وكان كتاب الحريرى « درة الغواص » وغيرهما ثم كتب المتاخرون وممن افرد التأليف فى هذا بعض علماء لبنان والشيخ الانصارى ولم اقف الى الآن على رسالته ولم يزل كثير من الباحثين ينشرون فى المجلات والصحف ابحاثا فى هذا الموضوع اطلعت على اكثرها ولى عليها ملاحظات شتى بما اعرف من علم الصرف والنحو واللغة وغيرها من الفنون وفوق كل ذى علم عليم .

واقترح جمع هذا الكتاب صديقنا المفضال الاستاذ عبد الفتاح ابو مدين صاحب « الرائد » وكنت اخاله ايام جرت بينى وبينه مناقشة حول شعر حمزة من

احداث الناشئة ولكن تبين لى انه طالب علم حريص على الفوائد فاكبرت فيه هذه الروح بعد ان اجتمعت به فأصبحنا صديقين تربطنا المعرفة والبحوث والتقدير ولست بناس ما نشره فى جريدة « البلاد السعودية » المضمحلة قبل اعوام من نسبتى الى الجهل بقواعد العربية حتى انه جعل اضمارى الى غير المذكور من باب الخطأ واجبته بأنه معهود بالذهن كما جرت به سنة الاعراب واللغة وأوردت شواهد غير انه اصر على ما زعم فنشر كلامه فى « أمواج واثباج » فكان ماقاله عنى خلطا وايهاما يعرفه من به مسكة من اللغة واساليب البيان العربى . واما نسبته اياى الى الجهل فالحق اننا لنجهل كثيرا فلما كان من امر هذا الاقتراح القيم وعدته بالوفاء به على ان اذكر فى هذا الباب ، ما اتفق عليه وما اختلف فيه وما اذهب اليه انا وما يذهب اليه غيرى والله يعلم انى ما أجبته الى ذلك الا للتفقه الذى اعرفه من نفسى فى لغة القرآن ولما بذلت فيها من اعتصارى عكوفا ودراسة وتلقيا من جهابذة جثوت على الركب بين ايديهم فلا افتخر بالشهادات التى عندى ولكن احمد الله على التوفيق وعلى ما وهبنى من العلم بملازمة اساتذتى وكتبى سنوات طويلات فلئن جاء زاعم فقال انه اعلم منى ولم يبرهن على ما ادعى سخرت به الشواهد .

وكانت هذه مقدمة ما اقصد ان اتناوله بالكتابة فيه فالعفو والسماح ان جاءت على غير هوى ومراد والله المستعان على ما اردت ويريده اهل العلم .

أما بعد فهذا ما تعقّبنا فيه بعض من عاصرناهم من الكتّاب أرباب القلم من الأدباء والشعراء ومحقّقى كتب التراث ، والمشتغلين بالصحف والمجلّات ، فيما

وقعوا من الأوهام فى اللغة والتاريخ وسائر ضروب المعرفة مع التعريف بأصحابها حسب مقتضى المقام ، لأن التعقّب لا يحتمل إيراد الترجمة ، وليس ذلك سبيلَ هذا الكتاب ، وانما وضعناه لبيان الوهم حيثما وقع فيه صاحبه ، ثم عضدناه بالأدلة والنصوص ، والإحالة الى المراجع ، والإشارة الى عَزْوها بالأرقام ، لعلّ فى ذلك إفادة لمن يطلع عليه من بعد فيحتاط لقلمه من الهُوِىّ الى المزالق وبالله التوفيق .

* * *

وهم العطّار (١)

قال أبو تراب :

كتب الينا على صرارة العيمة ، واضطرام الشوق ، صديقنا الأستاذ الكبير الشاعر العربى المفلق الفذ الأديب حسين سرحان وهو عنا بعيد المزار نائى الدار يحدونا الى لقائه نزوع الوداد ، فنحب الاجتماع به ، والتحدث اليه ، ولكن الشواغل تحول ، وقلة بضاعتنا تمنع من ان نعرضها عليه ، فنأنس به ساعة وهو كبير استحكمت بُراه ، وقويت أواخيُّه ، فى عيون الأدب فاستحصف ، وتأيد مشزور الأشطان مضفر المرائر ، مأمون الوصمة ، ويذكرنى موقفى منه بقول قرأته فى المنتظم لابن الجوزى :

يقولون زرنا فاقض واجب حقنا ... وقد أسقطت حالى حقوقهم عنى
اذا هم رأوا حالى ولم يأنفوا لها ... ولم يأنفوا منها أنفت لهم منى

وكتاب السرحان فيه تعقب على وهم وقع فيه الأستاذ احمد عبدالغفور عطّار غلط فى تفسير كلمة فى شعر زهير بن ابى سلمى فشرحها بغير المعنى المراد ومال عن النص اللغوى المستفاد ، فكان كمن استبدل العرفط بالحوجم ، حتى أقام السرحان منآد العطار فغفر الله زلته فقد سكت ألفاً ، ونطق خلفاً .

وماكنت أعرف الأستاذ العطّار وقع فى هذا الوهم حتى وقفنى عليه السرحان

الحثوث ، فقطع غَطْشَى السهوب ولكنى كنت أعرف الأب لويس وقع فى الوهم نفسه اذ فسر كما فسر العطار وهما على خطأ دون مامرية وهاكم نص رسالة السرحان :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أيها الخليط الكريم . أمّا الشوق وأمّا الود فأنـت تعرفهما !

وبعد فانّ أخاك الأستاذ العطار فى عام ١٣٧٦هـ قام على تحقيق كتاب الصحاح للجوهرى وقبل ايام كرمنى فقدم الىّ نسخاً منه متقطعة غير مستتمة وقد مرق نظرى فيها عرضا فراعنى أن أجد فى جزئه الأول فى باب الألف المهموزة بالصفحة ٣٤ فى مادة (آء) مايأتى فى صلب المادة نفسها : ـ آء ـ شجر على وزن عاع واحدتها آءة قال زهير ابن ابى سلمى يصف الظليم :

كأن الرحـل منـه فوق صعل من الـظلمان جؤجـؤه هواء
أصـك مصلـم الأذنـين أجنا له بالسّى تنـوم وآء

قال الأستاذ المحقق العطار فى شرحه تحت رقم ٣ « أجنى الشجر صار له جنى يؤكل » !؟ وهذا من أعجب التحقيقات فانه خطل غريب وزلل مريـب وتحقيق لايتأتى الاّ لمن أسرع به خطوه إلى معنى لايكرثه ان يخطىء فيـه أو يصيب وهو بعد من أخينا الأستاذ العطار وهو امام فى اللغة والبيان عجيب جد عجيب .

أنا لا أتذكر شيئا فى اللغة فانى اكتب اليك من ادارتى ولكن الذى أفهمه بذوقى وسليقتى ان زهير بن ابى سلمى كان يصف جمله فى البدء ثم تأدى به الوصف الى ان يقول ان جمله كان فى السرعة والخفة مثل الظليم الذى هو ذكر

النعام ثم استطرد فنعت الظليم بأنه صعل أى دقيق الرأس مستطيله وبقية البيت الأول مفهومة ثم استمر فى النعت فقال : (أصك مصلم الأذنين أجنا) - والأصك فيما أعرف الذى من سرعته تضطرب أفخاذه او سوقه . ومصلم الأذنين اى صغارهما او انهما مستأصلتان من الاصطلام .

فأمّا أجنا فمخفف من أجنأ من الجنوء وهو اشراف الكواهل على الصدر فى شبه احديداب خفيف وهذه الصفات كلها تصدق على النعام ذكرانه واناثه .

كما أن الجنوء جاء فيما أتذكر صفة من صفات ابى بكر الصديق فى بعض كتب السير . ان هذه من أوهام الكبار او من كبار الأوهام والاّ فما شأن الشجر وجناه فى بيتين كهذين يصفان جملاً أو ظليماً أو جملاً يؤدى نعته الى تمثيله بظليم .

وبقينا فى عجز البيت الثانى الذى فيه الشاهد (له بالسى تنوم وآء) فلابد ان السِّى مكانه فاما التنوم والآء فهما فيما اظن نبتان ، وأنا متأكد من الثانى (الآء) فانى احفظ من قصيدة للحسين بن الضحاك الخليع الشاعر العباسى مطلعها الذى يقول فيه عفا الله عنه :

بدّلت من نفحات الورد بالآء ومن صبوحك در الابل والشاء

ثم أى أخى لعلىّ واهم جد الوهم فعليك اذاً ان تضيف أخطائى الى اخطاء الأستاذ الصديق العطار وماعليك الاّ ان تعنونها : أوهام كبار مع اخطاء صغار ولك التحية كلما شط المزار ونأت الديار ياعزيزى .. ١٣٨١/٧/١٩

حسين سرحان ..

قال أبوتراب : كان زهير يصف ناقته لا جمله كما يظن السرحان ويدل عليه قوله :

بآرزة الفقـارة لم يخنها قطـاف فى الـركاب ولا خلاء

اللهم الاّ اذا كان جمل زهير استنوق فى هذا البيت وكتب السرحان (عفى) بالياء فأصلحناه فى رسالته الكريمة لأنه واوى من عفا يعفو وأما التفسير فهو صحيحٍ لم تخنه فيه الذاكرة كيف وهو ابن اللغة والأدب ورضيع لبانهما يافعاً وكهلاً . وقرأنا فى تعليق الأب لويس شيخو اليسوعى على الشعراء ج ٤ ص ٥٥٩ فى تفسير البيت مانصه : « أجنى أدرك وحان ان يجنى . وصف ان الظليم فى خصب » وهذا موافق لما جاء فى كلام العطّار ولا نرى لذلك وجهاً لبعده عن الصواب وضعفه فى التأويل وهو منقول بعينه عن شرح الأعلم الشنتمرى ص ٦٨ وأحسبه خطأ كله ان شاء الله .

والصواب ماقاله السرحان وهو ان الهمزة خففت هنا فليست الكلمـة من الناقص اليائى كما ظن العطار فجعلها من الجنى بل هى من مهمـوز الـلام وكتابتها بالألف المخففة من الهمز لا بالياء كما هو فى بعض الكتب ومن هنا جاء الوهم .

والدليل على كلام السرحان وصحته ان اللغويين أنشدوا هذا البيت بعينه فى مادة (جنأ) فى صفة الظليم شاهداً على كونه أجنأ اى مكبا مشرف الكاهل من ذلكِ ماجاء فى تاج العروس ج ١ ص ٥٣ عن الليث : جنىء أشرف كاهله على صدره فهو أجنأ وقيل هو ميل فى الظهر واحديداب . قال الأصمعى اذا كان مستقيم الظهر ثم أصابه جنأ فهو أجنأ وأنكر الليث ان يكون الجنأ الاحديداب .

وعن ابى عمرو رجل أجنأ وأدنأ مهموزان بمعنى الأقعس وهو الذى فى صدره انكباب الى ظهره قال : وظليم أجنأ ونعامة جنآء ومن حذف الهمزة قال جنواء

وأنشد : (أصك مصلم الأذنين أجنأ) أنظر فى لسان العرب مادة جنأ . والمجنأ بالضم الترس سمى به لاحديدابه وميله قال ابوالقيس ابن الأسلت :

اخفزهـا عنـى بذى رونق مهنـد كالملـح قطاع
صدق حسـام وادق حده ومجنـأ أسمـر قراع

وفى العباب : التركيب يدل على العطف على الشىء والحنو عليه (انتهى) .

قال أبوتراب : وقرأنا فى الحديث ان الرجل كان يجنأ عليهـا أى يقيهـا الحجارة عند الرجم بالانكباب عليها والميل وهذا فى قصة يهودى زنى بامرأة .

أمّا الأصك فى البيت فهو المتقارب العرقوبين وكذلك الظليم اذا مشى واذا عدا فليس كذلك والمصلم المقطوع الأذنين من اصولها وبذلك توصف النعام وهو الصكك فيقال نعامة صكاء كما يقال نعامة فتخاء قال الشاعر :

أسـد علىّ وفى الحـروب نعامة فتخـاء تصفـر من صفـير الصافر

ويقال ظليم أصك . والتنوم والآء نبتان ويقال الآء ثمر السرح واحدته آءة قال الأعلم : والتنوم جمع تنومة وهى شجيرة غبراء تنبت حبا دسما والسى اسم ارض وموضع به ماء للعرب .

والسى بمعنى الفلاة ايضا مأخوذ من السوى ومنه الاستواء وأما القصيدة فهى طويلة مشهورة مطلعها :

عفـا من آل فاطمـة الجواء فيمـن فالقـوادم فالحساء
فلما ان تحمـل آل ليلى جرت بينـى وبينهـم ظباء
جرت سنحـاً فقلـت لهـا أجيزى نوى مشمولـة فمتـى اللقاء

وننقل هنا عبارة الزبيدى فى مادة (جنا) ليتضح الاشتقاق فان الجنـوء

بمعانيه يدل على الأكباب والحنو كما نص عليه ابن فارس وغيره قال فى شرح القاموس ج١ ص٥٤ : جنأ عليه أى أكب قال كثير :

أغـاضر لو شهـدت غداة بنتم جنـوء العائـدات على وسادى
أويـت لعاشـق لم تشكميه نوافـذه تلـذع بالزناد

وفى لسان العرب : جنأت عليه أقيه بنفسى . وفى التهذيب جنأ فى عدوه اذا ألح وأكب وأنشد :

وكأنـه قوت الحوالـب جانئا ريـم تضايقـه كلاب أخضع

وجنأت المرأة على الولد بمعنى أكبت عليه قال :

بيضـاء صفـراء لم تجنـأ على ولد الاّ لأخـرى ولـم تقعـد على نار

وقال ثعلب : جنأ أكب عليه يكلمه وعن الأصمعى جنأ اذا انكب على فرسه يتقى قال مالك بن نويرة :

ونجـاك منـا بعـد ماملـت جانئاً ورمـت حيـاض الموت كل مرام

وقال فى تاج العروس : والمجنأة حفرة القبر قال ساعدة بن جوية الهذلى :

اذا مازار مجنـأة عليها ثقـال الصخـر والخشـب القطيل

والجنآء كحمراء شاة ذهب قرناها عن الشيبانى .

قال ابوتراب : وأما المطلع الذى ذكره الأستاذ السرحان من قصيدة ابن الضحاك فبعده قوله :

مابـين بطـن ثبـير ان حللـت بها الى الفـراديس الاّ شوب اقذاء
فعـدّ همـك عن حلف تمارسه جلف تلفـع طمـراً بـين أحناء
ففـى غد لك من زهـراء صافية بطـير نابـاذ ماء ليس كالماء

وهى قصيدة طويلة ذكر بعضها فى الموازنة ص ٣٨٢ وهى محفوظة لدينا .
أما بعد فقد تعين ان تفسير (أجنا) بما ذكره العطار من الجنى خطأ وقع فيه

هو ومن قبله ولا يلتئم مع صفات الظليم ولا مع سياق البيت والكلمة سيقت مع الصكك والصلم وهما صفتان عضويتان فكذلك الجنأ والظليم يوصف بالجنأ كما جاء فى المعاجم فيقال ظليم أجنأ ويخفف فيقال أجنأ اى منكب الظهر كما تقدم .
وحفظ الله لنا الصديق العَسَلَّقَ السرحان وعفا عن العطّار وأعاذه شر الحدثان .

قال ابو تراب : وكتبت اليه اقول :
سلام على أخى رحيض الأديم صافى الود حسين سرحان حرس الله كماله
وردت علىّ رسالتك الكريمة فوقعت منى موقع الاكبار اذ نبذت من القول

فأصبت به ذا الغلة الصادى فزكيت المذهب وهذبت الأمر وأصبحت لى فى التعتب قرنا وشريكا لايضارع وان كنت اعلم انك ارقى كعبا فوق ذلك ولكنى استأنست برأيك وعلمت ان لى عضداً يزاملنى حين انضو الموامى نفنفا فنفنفا وأسرى الصحارى صفصفا فصفصفا .

فان كان فى نفس أخينا العطّار نبضة من طلاب الرشد فقد هديتَه اليه والاّ فالظِليم يهفو ويجفل ويهدج ويختل وأما أنت فأكرم نُجر الناجيات نُجرك فاذا صار الىّ الكرّ فكالثور يضرب لما عافت البقر وما أمضى قول أنس بن مدرك :

أنى وقتلى سليكاً ثم أعقله ... كالثور يضرب لما عافت البقر

ثم هاهى ذى قصاصة ماكتبنا ياأخى على رغم قلة مراجعتى مظان البحث

وعدم اجتماعها لدى فى مكان واحد أردت بارسالها اطلاعك عليها جمع الله بيننا وبينك ..

أؤمــن فادع الله يجمــع بيننا بحبــل شديــد العقــد لا يتحلّل

* * *

مع الزيدان (١)

قال أبو تراب :

ورجعنا الى زيدان المؤرخ وزيدان المحقق ورجعناك يا قارئاً تَرَاجِمَهُ الى زيدان العالم فى ترجمة جُلَيْبِيب ايضاً وقد فوّق لها سهما وأجال قدحا وأصاب نجحا وكنا رأينا الخبر الذى حَدَّثتك به علمناه بالنقل بعد الوقوف وعرفه الأستاذ الفطن بالعقل بعد الاستنباط وبين العقل والنقل من الآصرة ما يلزمنا بالحجة ويقودنا الى المحجة حتى نكاثر بهما اذا أثير القلم ونسبُر بهما اذا تكلم الفم ولن نُنابَل زيدان فهو رضيع ضرعهما وصاحب زرعهما لا تكاد تجد له فيهما تَتَيُّهاً لانه مستحصف المريرة معروف الكفاية يتفيّض معرفةً ويتوقد ذكاء وانما العلم مواهب والحظ منها ذو قسم ربما حمل منه فثقل فارجحنّ وربما جهلنا فهبط بنا الأمر واطمأن وكذلك كان فيما سألقى اليك منه قولاً ليّنا وحديثا صيّنا .

علم الأستاذ خبر عدم صلاة رسول الله ﷺ على جليبيب وهو شهيد فتوقف حتى يقف على نطفة من العلم تُعلّل وأثارة منه تسهل وظننت أن يكون من شهداء أحد ولم يصل عليهم رسول الله ﷺ الاّ بعد أعوام قبيل وفاته وقال الأستاذ بل صلى عليهم فى خبر حمزة وانه كبر عليه مع كل قتيل ولم يتحقق لى بعد متى قتل جليبيب والظن انه بعد أحد .

وغاب عن علمه الخلاف فى الصلاة على الشهيد درسناه فى الفقه على الوالد المحّدث العلاّمة متع الله به المسلمين وقال الأستاذ زيدان ان الحافظ ابن عبد البر

يؤكد ان رسول الله ﷺ لم يصل على جليبيب مع انه حمله على ذراعيه ؟ وقلت : الحافظ يشير بذلك الى المذهب وهو عدم الصلاة على الشهيد وأما خبر حمزة فهو وارد ولم تخن الأستاذ زيدان ذاكرته ولكنه منقطع لا ينهض به الاحتجاج حتى قال الشافعي في الأم : جاءت الأخبار كأنها عيان من وجوه متواترة ان النبي ﷺ لم يصل على قتلى أحد وما روى انه صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح .

هذا وروى البخاري من حديث جابر ان ﷺ أمر بدفن قتلى أحد ولم يغسلوا ولم يصل عليهم وروى ايضا من حديث عقبة انه خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت وقد وقع في هذا الحديث ان ذلك كان بعد ثمان سنين ويقول بعض الفقهاء انه لا يصلى على القبر اذا طالت المدة ويتأول هذا بأنه يشبه ان يكون دعا لهم واستغفر لهم حين حين علم قرب أجله مودعاً لهم بذلك واللفظ لا يساعد هذا التأويل قال : والخلاف في الصلاة على قتيل المعركة مشهور قال الترمذي قال بعضهم يصلى على الشهيد وهو قول الكوفيين واسحاق وقال بعضهم لا يصلى عليه وهو قول المدنيين والشافعي وأحمد .

وقال الحافظ في الفتح : الخلاف على الأصح في المنع عند الشافعية وفي وجه ان الخلاف في الاستحباب وهو المنقول عن الحنابلة وقال الماوردي عن أحمد: الصلاة على الشهيد أجود وان لم يصلوا عليه أجزأ . قلت : وحديث جابر المذكور أخرجه غير واحد من الأئمة واستدل بعضهم بحديث عقبة على مشروعية الصلاة وقال الطحاوي : معنى صلاته عليهم لا يخلو من ثلاثة امّا ان يكون ناسخا لما تقدم من ترك الصلاة عليهم واما ان يكون لا يصلى عليهم الاّ بعد

هذه المدة وامّا ان تكون الصلاة جائزة بخلاف غيرهم فانها واجبة وأيهّا كان فقد ثبت بصلاته الصلاة على الشهداء .

قلت : وهذا هو مذهب الحنفية والى مذهب أهل المدينة أشار ابن عبد البر وأكد قوله بأنه لم يصل عليه اى على جليبيب كما هو فى بعض الروايات وذكره النووى فى شرح مسلم .

قلت : وفى المسألة كلام للفقهاء ومجال للاجتهاد .

ثم رجع الفضل فى الاستفادة منه الى الأستاذ الجهبذ محمد زيدان فانه هو الذى أثار المَسَلَة ولولا أورى فيها زنده لما آنسنا ناراً ثم لما آتيناكم منها بقبس

وفيهما يصح الانشاد :

ولــولا تَثَنّيه ثَنيتُ أعنّتى بداراً الى من أجتلى نور بدره
وانـى على تصريف أمــرى وأمره أرى المرّ حلــواً فى انقيادى لأمره

* * *

من أوهام چلبى (١)

قال أبو تراب :

أخطأ الحاج خليفة فى ذكر مؤلف المغازى وقد تعقبناه فى ذلك ثم عثرنا له على خطأ آخر فى ذات المبحث وذلك انه بعد ان تخبط فى ذكر اسم مؤلف المغازى الذى نقل عنه الرضى فى نهج البلاغة كتاب على رضى الله عنه الى ابى موسى الأشعرى فقال تارة انه ابو محمد يحيى بن سعيد بن أبان الأموى الكوفى المتوفى ١٩١هـ وقال تارة انه يحيى بن سعيد بن فروخ التميمى القطان البصرى المتوفى ١٩٤ هـ وهذا لاخفاء فى بطلانه

وذكر ان يحيى القطان توفى سنة ١٩٤ هـ (اى ٨٦٩ م) مع ان ذلك خطأ لأن يحيى القطان هذا توفى سنة ١٩٨ هـ (اى ٨١٣ م) كما أورده الخطيب البغدادى فى التاريخ ج ١٤ ص ١٤٣ وابن حجر فى تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٢١٩ .

وصاحب الكشف معذور فان الأمر اختلط عليه من أساسه ولم يكلف نفسه عناء البحث وقرأت فيما مضى تعقبات للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار على صاحب الكشف وهى بمثابة تعليقات فى الغالب وليست تعقبات ولم أجد فيها ما تعقبت به صاحب الكشف ونشر قبل ذلك وكذلك لم أجد فيها ما أذكره الآن ولا أدرى هل التفت اليه أحد أم البحاث اليوم قليل عددهم زادهم الله بسطة فى العلم .

والخطأ الآخر الذى وقع فيه صاحب الكشف ولم ينبه عليه فيما أعلم أحد انه

قال : ان يحى بن سعيد هو أبو محمد والصواب ان كنية أبو أيوب .

وقال ايضاً انه توفى سنة ١٩١ هـ مع انه توفى فى شوال سنة ١٩٤ هـ كما جاء فى تاريخ بغداد للخطيب ج ١٤ ص ١٣٥ وتهذيب التهذيب للحافظ ج ١١ ص ٢١٤ .

وهذا كله فى سند حديث على بن أبى طالب الذى أخذه جامع نهج البلاغة وأرسله على الى أبى موسى الأشعرى . (أنظر نهج البلاغة ج٣ ص ١٥٠ هـ) .

والعجب من الامام الشيخ محمد عبده المصرى أنْ لم يتعرض لذلك الخبط فى حاشيته على نهج البلاغة وكأنه لم يحقق الاّ النص فقط .

ولعل عذر الامام واضح حيث أنه ألف الشرح ولم يكن بين يديه مراجع للبحث فاكتفى بالاتيان بحل اللغة وما غمض منها وبعض الاشارات الى أساليب البيان العربى وفنون الاعجاز والبلاغة والبديع فجزاه الله خيرا عما فعل ولو اتيح للامام قراءة الكتاب على طريقة البحث والتنقيب لما عدل الى نهج الاقتصار على شرح اللغة فحسب وما أتى فيه الكفاية للمبتدى والبلغة للمنتهى .

* * *

توهيم معلّقي السيرة

قال أبو تراب :

جاء في كتب السيرة في ذكر شهداء بدر الثانية بدر البطشة ذكر من قتل من المشركين بها وهم سبعون رجلاً مقابل أربعة عشر شهيداً من الصحابة رضى الله عنهم .

وذكرت السيرة في معرض ذلك من أسر من القبائل وحلفائها من المشتركين يوم بدر وهم من عبد شمس ومن بنى هاشم ومن بنى المطلب بن عبد مناف ومن بنى نوفل ومن بنى عبد الدار وبنى أسد ومن بنى سهم ومن بنى جمح ومن بنى عامر حفظت اسماؤهم .

ومن بنى مخزوم أربعة وعشرون رجلاً منهم خالد بن الأعلم الخزاعى ويقال له : عقيلي حليف لهم وهو اول من فر يوم بدر القتال وهى البطشة الكبرى فأُدرك وأُسر وذكر أهل السير والأخبار انه هو القائل :

ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدِمَا

وظن المعلقون ان البيت لخالد بن الأعلم الخزاعى المذكور وكذلك حسب بعض ناقلى السير والتاريخ عن القدامى وليس الأمر كما توهموا .

ونسب البيت الى خالد ايضاً ابن هشام (ج ٣ ص ٥) وكذلك وردت نسبته الى المذكور عند الواقدى (ص ١٣٧) وابن سيد الناس (ج ١ ص ٢٨٦) .

والصواب ان البيت للحصين بن حمام المرى كما هو فى حماسة ابى تمام وكما ذكره التبريزى فى شرحه (ج ١ ص ١٠٢) وانظر شرح المرزوقى فى ترجمة الحصين المرى وانظر الجوامع لابن حزم (ص ١٥١) .

وعذر المتقدمين من أصحاب السير انهم أرادوا بقولهم : (هو القائل) اى هو المتمثل بهذا البيت لأن خالدا تمثل به عند الحادثة فظن من جاء من المتأخرين ناقلاً ان البيت لخالد لعدم تثبته ورجوعه الى المظانّ ثم عدم تحقيقه فى النسبة والعزو .

والحصين بن الحُمام قبل خالد بن الأعلم بدهر فالأليق بالمتأخر ان يأخذ من المتقدم ويتمثل بكلامه ومثل هذا يقع كثيرا فلو ان انسانا أنشد بيتاً متمثلا به ولم ينسبه أفيعزى اليه دونما تحقق ؟ ان هذا لبلاء .

* * *

الرد على الشيال (١)

قال أبو تراب :

وللاستاذ جمال الدين الشيال اخطاء فى تحقيقة لكتاب « نحل عبر النحل » الذى ألفه فى علم الحيوان تقى الدين المقريزى صاحب كتاب الخطط والآثار وطبع فى القاهرة سنة ١٩٤٦ م على نفقة مكتبة الخانجى ويقع فى ١١٦ صفحة .

ووقفت على بعض هذه الأخطاء التى وقع فيها المحقق فاذا هى تصرف سيء فى نص الكتاب وبعض التراجم وأسانيد الأحاديث لأن الاستاذ عفا الله عنه ليس من شأنه الاشتغال بالحديث وفنونه ولا هو أخرج الكتاب متقيدا بنص الأصل فى المواضع التى وهم فيها بل جعل اعتماده على النصوص الأخرى ممن نقلوا عن المقريزى أو نقل عنهم المقريزى فوقع فى تحريفات كثيرة وتصحيفات أخرى وأوهام شنيعة .

وان كان المقريزى نفسه اتهمه السخاوى صاحب الضوء اللامع بالتصحيف فى المتون لقلة معرفته بالمتقدمين لكنه على رغم ذلك معروف بتفوقه وسعة اطلاعه ومعرفته بالكتب وخباياها عند العلماء .

ونذكر من أخطاء الاستاذ الشيال على سبيل المثال ما جاء فى ص ٦٤ من الكتاب المذكور فى أثر عن كعب الأحبار وفى نصه : (ليس بفاحش ولا بسخاب) هكذا فى الأصل فغيره الاستاذ الشيال الى (ليس بفحاش ولا صخاب) ثم ذكر فى الهامش ان التصحيح عن الدميرى فاعتمد على نقل

الكمال الدميرى فى حياة الحيوان وظن ان الأصل خطأ فوقع فى الوهم .

لأن المقريزى نقل الأثر من مسند الطبرانى فكان من الأمانة ان يثبت المحقق نص الأصل ثم اذا شاء أثبت رواية الدميرى فى الهامش لأن الأصل صواب ليس بخطأ كما ظنه الدكتور شيال .

ولكن غفل الاستاذ الشيال فظن السخاب خطأ مع انه صحيح لامْرِيَة فيه والفاحش والفحاش بمعنى واحد والصخاب والسخاب ايضا بمعنى واحد وكلاهما جاء فى الحديث بالسين والصاد فلا داعى الى التغيير بل التغيير خطأ .

غير ان الاستاذ لم يرجع الى المظان ولا الى مراجع اللغة ليتأكد من صحة الكلمة ومعناها ويتثبت فيما وردت به الروايات بل تسرع الى تخطئة أصل المقريزى وتصويبه بنقل الدميرى .

وان شئت فانظر فى لسان العرب اذ يقول : « والسخب والصخب بمعنى الصياح والصاد والسين يجوز فى كل كلمة فيها خاء » فتحقق بهذا ان ما كان فى الأصل لم يكن خطأ حتى يصح تغييره بنقل الدميرى فهذا على كل حال وهم من الاستاذ الشيال اذ ظن « سخاب بالسين غير صحيح فغيره بالصخاب بالصاد دون ان يرجع الى اللغة وكتب الرواية ثم تصرف فى كلمة الفاحش فغيره بالفحاش متمسكا بما جاء فى حياة الحيوان .

وفى القاموس ج ١ ص ٨٤ « السخب محركة الصخب » وهذا ايضاً يؤيدما ذهبنا اليه من صحة لفظ الصخاب فى الاثر المذكور وتخطئة الاستاذ فى تغييره .

أما المقريزى فهو ابو العباس احمد بن على الحسينى العبيدى سبط ابن

الصنائع البعلى الأصل القاهرى . قال السخاوى : المقريزى نسبة الى حارة فى بعلبك تعرف بحارة المقارزة وترجمته فى المنهل الصافى وطبقات الشافعية للأسدى والتبر المسبوك للسخاوى ص ٢١ وحسن المحاضرة للسيوطى ج ١ ص ٢٦٦ والخطط الجديدة ج وص ٦ وابن اياس ج ٢ ص ٣٨ وتوفى المقريزى فى القاهرة سنة ٨٤٥ بعد ان خلف ما يزيد على مئتى مجلد كبير من تصانيفه طبع منها اكثر من عشرة كتب ان شاء الله .

* * *

الرد على ضياء الدين رجب (١)

قال أبو تراب :

جاء فى جريدة « البلاد » الصادرة غرة جمادى الاولى سنة ٨١ هـ من قصيدة للشيخ ضياء الدين رجب بعنوان « علم الموت » هذا البيت من قصيدة راقتنا وشاقتنا على قلة اشتغالنا بالشعر .

وكم أرقت على اشعاع طلعته   سهد الشجى حلا فى عينه السهر

والاستاذ ضياء الدين عالم حاذق وقاد الذهن ثاقب النظر غمرنا « شكرمه » كما أطربنا « زقلمه » لا أدرى كيف غاب عن علمه الواسع تحقيق كلمة « شجى » التى وهم فيها مقلدا لمن سبقه فى الوهم وتبعا لمن أخطأ فيه من قبل كابن الفارض وشارح المقامات الحريرية والبطحاوى رئيس المجمع اللغوى والشيخ النجار .

ذلك انه أورد « الشجى » بتشديد الياء وبدون ذلك لا يستقيم الوزن وتشديد الشجى خطأ غير سائغ عند المحققين من العلماء ولم يجزه الا الفيروز آبادى للضرورة الشعرية وهى قبيحة بالعلماء المتمكنين من اللغة ولكن صاحب القاموس ضبطه مع ذلك بالتخفيف ونقل ابو هلال العسكرى فى الجمهرة تأويل بعضهم انه من شجا يشجو فهو مشجو على وزن مفعول وشجى مشددا فعيل بمعنى مفعول وهذا لا يؤيده المعنى والقياس لأن شجا متعد والأصل ان يكون من اللازم وهو شجى يشجى كرضى يرضى فلذلك قال ابو هلال فى الأمثال

ج ٢ ص ٢٤٧ ان ياء الشجى مخففة من شجى يشجى فهو شج .

وقول التفتازانى فى المطول انه واوى ويائى لا يعكر على هذا فان الواوى متعد وهذا لازم . بل نقل أهل العلم عن ابن سيده انه قال : الأعرف تخفيف الكلمتين الشجى والخلى ونقل ذلك فى اللسان وهو يخطىء ما يتردد على ألسنة العامة والخاصة .

ومن الخطأ القديم ما جاء فى المقامة الشتوية لابى القاسم الحريرى (ص ٣٧٢) فى شرح قوله : « وهو يلهو بناهو الخلى بالشجى ويقول ليس بعشك فادرجى » هذا مستفاد من المثل السائر قال ؛

ويـل الشجـى من الخلى فانه　　　نصـب الفـؤاد بشجـوه مغموم

قال ابو تراب : والشجى فى كلام الحريرى مخفف ويرد على من ثقله قول ابى العباس المبرد النحوى فى الكامل (ج ا ص ١٣٦ طبعة التقدم) فى شرح ابيات لأعرابى منها :

سكوت فقالـت كل هذا تبرما　　　بحبـى أراح الله قلبـك من حبى

فلما كتمـت الحـب قالـت لشدما　　　صبرت وماهذا بفعل شجـى القلب

وهذا شاهد يحتج به على من شدد الشجى وهو من كلام العرب ـ قال المبرد ما نصه : وشج مخفف الياء ومن شددها فقد أخطأ ؛ والمثل ويل الشجى من الخلى الياء فى الشجى مخففة وفى الخلى مثقلة وقياسه انك اذا قلت فعل بكسر العين يفعل بفتحها فعلا بفتح العين ايضا فالاسم منه على فعل بكسر العين نحو فرق يفرق فرقا فهو فرق وحذر يحذر حذرا فهو حَذِر وبطر يبطر بطرا فهو بطر

فعلى هذا شجي يشجى شجىً فهو شَجٍ يافتى كما تقول هوى يهوى هوىً فهو هَوٍ يافتى .

قال ابو تراب : وهذا نص صريح على تخطئة من يقول شجي بتشديد الياء وفى اللسان بحث مستفيض عن هذا فليراجع . وقال الميدانى فى مجمع الأمثال (ج ٢ ص ٢١٧) نقلاً عن المدائنى ومحمد بن سلام الجمحى ان اول من قال : ويل للشجي من الخلى اكثم بن صيفى التميمى وكان من حديثه انه لما ظهر رسول الله ﷺ بمكة بعث اكثم ابنه حبيشا فأتاه بخبره فخطب فى بنى تميم وذكر العلماء خطبته فقال مالك بن نويرة اليربوعى خرف شيخكم فقال اكثم ويل الشجي من الخلى وفى المثل رواية اخرى نقلها الميدانى (ج ١ ص ٢٦٩) ونقل ذلك ايضاً المفضل بن عاصم فى كتاب الفاخر ص ٢٤٨ وهو مذكور فى الزاهر ص ٢٨٠ وذكر العسكرى فى الأمثال كتاب اكثم وخطبته وقصة المثل بأتم من الميدانى .

فنص المبرد والعسكرى وابن سيده وصاحب القاموس والحريرى واللسان يخطىء الاستاذ ضياء الدين فى استعماله الشجي مشددا وان جوزه بعضهم للضرورة فى الشعر .

* * *

تعقب محقق معجم ما استعجم

قال أبو تراب :

فى كلمة (محيض) فى معجم ما استعجم للبكرى أثبت ناشره خطأ فاحشا وهجر الصواب وكذلك هى خطأ فى تاريخ ابن سعد (ج ٢ ص ٥٧) وهى خطأ ايضاً فى الطبعة الاوروبية من السيرة (ص ٧١٨) وأثبتت الكلمة فى طبعة الحلبى (محيص) اعتماداً على معجم البلدان وهو موضع آخر فقد التبس على المحقق .

والصواب انها من اسماء الأماكن التى سلك طريقها رسول الله ﷺ قاصداً بنى لحيان مطالباً بثأر عاصم بن ثابت وخبيب بن عدى وأصحابهما المقتولين بالرجيع وذلك اثر رجوعه من دومة الجندل بعد ان أقام اثر فتح بنى قريظة بقية ذى الحجة والمحرم وصفراً وربيعاً الاول وربيعاً الآخر وجمادى الاولى ثم خرج ـ وهو الشهر السادس من فتح بنى قريظة فى الشهر الثالث من السنة السادسة من الهجرة (كذا قالوا) ويقول ابن حزم : والصحيح انها السنة الخامسة وصدق رضى الله عنه ـ فسلك على غراب وهو جبل بناحية المدينة على طريق الشام الى (مخيض) ثم الى البتراء فالمخيض موضع ضَبْطُه بالخاء المعجمة والضاد وكذلك هو فى أصل معجم ما استعجم لكن الناشر عفا الله عنه وهم فيه فجعله (محيض) بالحاء المهملة فأثبت الخطأ وهجر الصواب الذى فى الأصل وكذلك

تصحفت الكلمة فى ابن هشام (ص ٧١٨) وفى الطبقات (ج ٢ ص ص٥٧ ق ١) . وتصحفت الى (محيص) بالحاء المهملة والصاد المهملة فاجتمعت مهملتان عند الحلبى سامحه الله وهو يعتمد على مادة (محيص) فى معجم ياقوت مع انه موضع آخر كما بين ذلك السمهودى فى الوفاء (ج م ص ٣٦٩) والصواب كما ذكرنا هو (مخيض) بالمعجمتين .

وقد أثبت (مخيض) صاحب معجم البلدان لكن المعلقين غفلوا عنه وذهبوا ينقبون فى معجم البلدان عن (محيص) ولم يظهر لهم انه موضع غير (مخيض) وكلتا المادتين مثبتتان فى معجم البلدان لياقوت لمن أراد الوقوف والرجوع والتحقيق .

والعجب من ناشر معجم ما استعجم للبكرى ان يتخبط فى تحقيق الكلمة فيصحفها بعد ان كانت صواباً فى الأصل ثم يفتخر بتحقيقة الواهى الواهم والبلية هى قلة الاصطبار على معاناة البحث والمراجعة وعدم الاحتمال لوعثائها فلو ان المعلقين راجعوا مادة الميم فى المعجم بأكملها لوجدوا (مخيض) فى الميم مع الخاء ثم لو راجعوا السمهودى لعرفوا ان (محيص) غير (مخيض) الذى مر به رسول الله ﷺ فى غزوة بنى لحيان .

***

مُحاجّة حمام

قال أبو تراب :

كلامنا اليوم مع الشيخ اليَفَن محمد مصطفى حمام كَبَابه جواده إذ مال إلى توهيمنا وهو أديب كبير من مفلقى الشعراء وجلة الكتاب وظرفاء القوم يلزّ فى قرن المساجلة بملكته الباهرة ويجول فى حلبة القريض بمهارته الفائقة فاذا سخا له البيان فلا تجمح به أوعار البلاغة ولا تعروه لكنة الارتاج ولا فهاهة العى ولكن ليس ذلك يمنع من ان يستدرك عليه أو نقيم له أودا وجل من لا يسهو .

ونحن نعرف الأستاذ الفاضل يتدفق كالسيل الهمور ويصول كالضرغام الهصور لا تفل له شباة ولا يشق له نقع شهد بأدبه الرصين الجارومن على بعد المزار .. وأيم الله انه لراوية هذا العصر وحافظ هذا الدهر حديثه عذب غير ممل متماسك غير مختل واطلاعه واسع وشأوه شاسع ونجمه لامع وعلمه جامع وغيثه هامع وانا لنحمد له فضله ونشكره على تحاياه ونستطيب خلته ونشيد بسجاياه غير ان الحق اكبر منه وهو أحق بأن يتبع .

نعم هذا الأديب النضر العرق الكريم الجِرِشّى تعقبنى على كلمتين اثنتين أوردتهما أثناء كلامى فى جريدة البلاد الصادرة ٨ جمادى الأولى ٨١ هـ « على هامش الأيام »

ونشر تعقبه فيها يوم الأحد ١٢ منه وما إخاله مخطئا فيما فعل ولا أراه جانب صوب الصواب فيما استهدف ورمى اليه ؛ ولبيان وجه الحق أردت تقييد هذه

الكلمة المقتضبة العجلى ليستفاد وما أظنّنى بعد ذلك إلا راجعا عن قولتى معترفا بغلطى مقرا بعين الصواب الذى نقوله وبالله تعالى نتأيد .

أمّا الكلمتان اللتان زعم الأديب المذكور أنى وهمت فيهما فهما : (هدف إلى شىء) و (أثر عليه تأثيرا) وقال الأستاذ الكريم ان هذا خطأ وذكر انه لم يرد فى الفصحى « هدف الى الأمر » بالمعنى الذى نستعمل هذا الحرف للتعبير عنه ولا ورد أيضا « أثر على الشىء » بل الصلة فى فعل التأثير هى : (فى) فيقال : (أثر فى الشىء) لا (على شىء)

قال ابو تراب : ويقال ان كل ذلك صحيح لا خطأ فيه كما يزعم الأستاذ وقد استعمل الحريرى الكلمة الأولى فى المقامات واليكم حجة قاطعة فعوها أيها الأصحاب . فأمّا (هدف اليه) فهو فى الكلام بمعنى رمى ودخل ولجأ وعرض وأسرع ودنا وانتصب ونحو ذلك مما قصدناه إذ استعملناه وهو فصيح مأثور بهذه المعانى .

قال الزمخشرى فى أساس البلاغة (ص ٤٨١) : هدفوا أى رموا فى الهدف والأهداف .

وقال الزبيدى فى تاج العروس (ج ٦ ص ٢٧٣) : هدف اليه أى دخل اليه ومن المجاز هدف فلان للخمسين اذا قاربها .

قال ابو تراب : فقولنا فلان يهدف الى هذا الموضوع يعنى يدخل اليه ويرمى نحوه .

قال الفيروزآبادى فى القاموس (ج ٣ ص ٢١٣) : هدف اليه أى دخل وهدف للخمسين أى قاربها كأهدف وهدف إليه وأهدف أى لجأ وهدف، له الشىء

أى عرض وهدف منه أى دنا أو انتصب واستقبل واستهدف انتصب .

وفى لسان العرب (ج ١١ ص ٢٦١) : قال الأزهرى روى شمر باسناد له ان الزبير وعمرو بن العاص اجتمعا فى الحجر فقال الزبير أما والله لقد كنت أهدفت لى يوم بدر ولكنى استبقيتك لمثل هذا اليوم فقال عمرو وأنت والله لقد كنت أهدفت لى وما يسرنى ان لى مثلك بفرتى منك . قال شمر يقال أهدف لى الشىء فهو مهدف إذا انتصب وأنشد :

ومن بنى ضبة كهف مكهف ان سال يوماً جمعهم وأهدفوا

قال ابو تراب : وقد تقدم أن أهدف بمعنى هدف وقال ابن شميل والفراء وقد استهدف اى انتصب ومنه أخذ الهدف لانتصابه لمن يرميه قال الزفيان السعدى :

ترجو اجتبار عظمها إذ أزحفت فأسرعت لما اليك أهدفت

وفى حديث ابى بكر قال له ابنه عبد الرحمن لقد أهدفت لى يوم بدر فضفت عنك فقال ابو بكر : لكنك لو أهدفت لى لم أضف عنك أى لو لجأت الى لم أعدل عنك .

قال ابو تراب : وتقدم ان معنى هدف رمى قاله الزمخشرى والهدف المشرف من الأرض واليه يلجأ .

وقال ابن منظور يقال أهدف لك السيد فارمه وهدف الى الشىء أسرع .

هذا ويقول الأستاذ حمام أنى أخطأت فى تعديتى التأثير بِعَلَى فانه لا يقال (أثر على الشىء) بل يقال (أثر فى الشىء) **قال ابو تراب** ويمكن أن يجاب بأن استعمالى هذا ايضا صحيح جار على سنن كلام العرب والوجه فى ذلك اجراؤهم

الحرف مجرى المعنى التضمينى فانهم يعدون الفعل تارة بصلة الفعل الآخر لتحميل ذلك الفعل معنى ذاك ويسميه اللغويون تضميناً وهو قياسى عند الأكثرين .

ويكاد النحاة يجمعون على إجراء الأفعال على هذا النحو ويجيزونه قياساً لتضمن فعل معنى آخر ومعناه اشراب لفظ معنى لفظ يدل عليه تغاير الصلة وحرف التعدية فاذا تعدى الفعل بحرف غير حرف صلته علم بأنه تضمن معنى فعل آخر ينظر اليه وهذه آية البلاغة .

وبرهان ذلك قوله تعالى : « ولأصلبنكم فى جذوع النخل » ولم يقل على جذوع النخل ، وقوله تعالى : « واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » فقد عدى فعل (أذاعوا) بالباء وهو يتعدى بنفسه وليست الباء صلة لكن لمّا تضمن معناه معنى (تحدثوا) وكان (تحدثوا) يتعدى بالباء عدى بها (أذاعوا) كذلك ومثله قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » فعدى (ولا تلقوا) بالحرف الجار وهو يتعدى بدونه ولكن لمّا ضُمّن معنى (ولا تفضوا) عدى بالاداة التى يتعدى بها هذا الفعل .

ومثله قوله تعالى « ومن يرد فيه بالحاد » لأن معناه (من يهم) لذلك قال العلماء ان حروف الجر تتعاقب يعنون بذلك معنى التضمين اى تضمن فعل معنى فعل آخر .

والدليل على هذا التضمين هو الصلة المغايرة ؛ وان شاء الأستاذ حمام فليطالع فى ذلك كلام الامام ابن تيمية رحمه الله فى كتاب الايمان والتقوى وهو

ليس الآن بين يدى وإلا لنقلت منه ما قاله ثمة .] وقال شهاب الخفاجى لو جمعت تضمينات العرب لاجتمعت مجلدات .

وقال البطليوسى فى شرح أدب الكتاب لابن قتيبة ان الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر فان العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع الآخر مجازاً أو إيذاناً بان هذا الفعل بمعنى ذلك الفعل الآخر .

وقد نص أئمة النحو واللغة وتصريفها على جواز التضمين لوجود المعنى البلاغى فى منحاه وممن تعرض لذكر ذلك ابن الأنبارى وابن جنى ثم الواحدى وإن شواهده فى القرآن وشعر العرب لكثيرة منها قوله تعالى : « وهزى إليك بجذع النخلة » ولم يقل جذع النخلة لوجود معنى التمسك فى الهز .

ومنها قوله تعالى : « فليمدد بسبب إلى السماء » ولم يقل سببا وقوله « فطفق مسحاً بالسوق والأعناق » ولم يقل مسح السوق وقول الشاعر :

نحن بنو ضبة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

ولم يقل نرجو الفرج لأنه ضمنه معنى الطمع ومنها قول الآخر :

هن الحرائر لا ربات أخمرة سود المحاجر لا يقران بالسور

ولم يقل لايقرأن السور . قال ابن هشام وكل ذلك تضمين وقال الدمامينى منه قول الشاعر :

بَلَّت فؤادك فى المنام خريدة تسقى الضجيع ببارد بسام

ولم يقل تسقى بارداً ومنه الحديث المروى فى السنن : كفى بالمرء كذباً ان يحدث بكل ما سمع ولم يقل كفى المرء ومنه قول المتنبى :

كفى بجسمى نحولاً اننى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

وقال الشاعر :

وان تعتذر بالمحل عن ذى ضروعها الى الضيف يجرح فى عراقيبهـا نصلى

ولم يقل يجرح عراقيبها] وقد أغرق بعض العرب فى التضمين حتى انه حكى الأصمعى عن ابى عمرو بن العلاء قال سمعت رجلا من اليمن يقول : فلان جاءته كتابى فاحتقرها فقلت له أتقول جاءته كتابى قال نعم أليس الكتاب صحيفة .] فاذا عرفت هذا ظهر لك أننا لم نكن مخطئين إذ ضمنا كلمة (أثر تأثيراً) معنى الطرآن لأن التأثير يطرأ ثم عديناها بعلى لتدل الصلة على هذا المعنى المضمن فكان معنى كلامنا (أثر عليه تأثيراً) أى طرأ عليه تأثير الأمر وهكذا كان ما أردنا صواباً دلت عليه آيات الشواهد من الكتاب والسنة والشعر العربى .

أما بعد فقد ثبت بما قلنا ضعف احتجاج الأستاذ حمام فى دعواه بأن (يهدف إلى الأمر) لا يصح وان (أثر على الشىء) خطأ ؛ ألا فليعلم الأخ الكريم بعد ذلك أننا لم نقصد بذلك تجهيله وهو المحكّك ولا غوايته فيما حفظ ووعى من اللغة واعرابها وإنما أردنا بيان ما غاب عنه من العلم والابانة عنه بما رزقنا الله منه حيث بدأ فى نشر تعقبه ايانا وما كنا على خطأ محض لا يحتمل التخريج وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فليستفد المتأدبون مما أوردنا علما وفهما ونحن بعدئذ نجله ونكبر فيه روح الطلب والمناظرة وبالله نتأيد .

* * *

مع الزيدان (٢)

قال أبو تراب :

الله الله ألاَ طالما سرّنى المؤرخ المتثبت محمد حسين زيدان وقد هُدى الى أقصد المسالك فما أوفر سهمه وأتم قَسْمه وأَنْفَذَ بصيرته وأَبْين رأيه أرى لسيره فى العلم أُلهوباً وفى صداقته لأهله استعذابا .

كتب ترجمة جليبيب ولم يجده فيما بين يديه من المراجع منسوباً فعتب على حافظ المغرب النمرى وعلى حافظ الشرق العسقلانى فكأنما هو على أشد من الحسك ولكن ماذا يصنع وقد حال الجريض دون القريض فهاهى ذى المدّونات كلها صمتُ خفتُ عن نسب جليبيب وهو يريده لأنه نسّابة نقاب .

وسرتُ اليه فأطلعنى على ما كتب فاذا هو يستنبط نسب جليبيب بين الأنصار من قصة تزويج رسول الله ﷺ أياه الانصارية معلّلاً بأن الأنصارى كره الدمامة والقصر فى جليبيب ولم يذكر ما يعيب النسب فهو صريح النسب ان لم يكن أنصاريا كما هو أغلب الظن فهو من قبائل العرب .

وتوقفت مع استحسان الاستنباط ووقف هو دون هذا الاستنباط العميق وبات كلانا من أخيه على غير وَحْر لعلّ الله يطلعنا على ما لم نحط به خُبرا .

فلما صرتُ إلى ركن بيتى لجأتُ إلى خزانة الكتب فما تركت كتاباً فى الصحابة ولا فى التاريخ والسير والحديث إلاّ طرقته وحللتُ عِفَاصَه وذهب الليل

إلاّ أقلّه ولم أفز ببغيتى حتى اعترتنى علة السهر وأقضّت مضجعى .

وبينما أنا كذلك إذا خيال من قصة جليبيب يحدو بى إلى أن أتتبع طرق روايتها وقد أعيانى البحث من شُبّ إلى دُبّ ثم على يدىّ دار الحديث وما إن مضيت قليلاً إلاّ وقفت على حديثه فى مستخرج البرقانى مطولاً وأوله : (أنّ جليبيباً كان أميراً من الأنصار) فطرت فرحا بهذا الخبر وظفراً بهذا النص ودهشت من عقل زيدان واستنباطه وغمرنى الاعجاب ببعد نظره وعمق غوره فلله در زيدان وأى امرىء مثل زيدان وأنشدت قول خالد بن الوليد :

لله در رافـع أنّـى اهتدى ... فوّز من قراقـر إلى سُوى

عند الصبـاح يحمـد القـوم السرى ... وتنجلى عنهـم غيايـات الكرى

ثم وجدت ان ابن الأثير نقل ايضاً فى الجامع ج ١٠ ص ٦٥ عن الحميدى : أن جليبيباً من الأنصار ووفقت على كتاب الحميدى فاذا هو يقول هذا وهو فى نص روايته ووجدت فى أسد الغابة ج ١ ص ٢٩٢ انه أنصارى والرواية أخرجها أيضاً أبو داود الطيالسى وأوردها ابن الأثير بسنده وهى من حديث ابى برزة الأسلمى وأخرجها الامام أحمد مطولاً ورواها ديلم بن غزوان عن ثابت عن أنس وهو وهم وأخرجها الثلاثة وحديث أنس أخرجه البزار أيضاً .

أما بعد فأبقى الله لنا زيدان فهو بالشكر حرّى وأنا بالاسعاف قَمِن وفيه صفة لم أجدها عند كثيرين هى عدم استحلاله محارمَ الآداب وحبه فى وجه السحَر لنجواها زادنا الله من علمه ولا أظلّنا إقلالُ بَشْغِهِ .

***

التعليق على كلام عبد السلام هارون (١)

قال أبو تراب :

منذ مدة طبع كتاب اسماء جبال تهامة لعرّام بن الأصبغ السلمى برواية الامام السيرافى بعد ان امتد انتظارنا ودبّت الأيام وتطاولت الشهور حتى صرنا لا نعيرها ذكره .

وكان من الساعين الى إخراجه الشيخ المفضال محمد نصيف أحد أعيان جدة ساحل القلزم ونشره الشيخ العلامة الكبير عبد العزيز الميمنى الراجكوتى الأستاذ الجهبذ فى اللغة العربية بجامعة عليكره محققا وعلق عليه القاضى العلاّمة عبد الرحمن اليمانى والأستاذ الفاضل سليمان الصنيع ونسخه غير واحد ثم نشره الأديب الشهير عبد السلام هارون بمصر فوقع الكتاب بيد الشيخ حمد الجاسر فعلق عليه ونشر مرة ثالثة مع الاستفادة من هذه التحقيقات كلها وقصة هذا الكتاب طويلة الذيل وقراء نوادر الكتب يحيطون بها علماً فلا نملّ القارىء بسوقها لأنّه ليس كما يساق الماء إلى الأرض الجُرز .

إلا انا نخلص من هذا الى ما مددنا عليه الطنب وحبذا التعليق إذا استوجب المقام تعليقا ثم نقنع بالذكر وصالاً .

جاء فى هذا الكتاب (ص ٤١٨) ما نصه : « والمروة جبل الى الحمرة ما هو» وجاء فى التعليق عليه ما نصه : « هذا تعبير نادر و (ما) فيه زائدة أى الى الحمرة هو » .

قال ابو تراب : أما قوله : (ما) فيه زائدة . وأصل الكلام الى الحمرة هو فهذا صحيح وأمّا قوله : هذا تعبير نادر فيلومنى فيه السماء والفراقد من العلم .

كيف والأستاذ عبد السلام هارون يعرف ما روى فى حديث تميم الدارى عن الدجال ونصه : (لا بل من قبل المشرق ما هو) اى من قبل المشرق هو .

فهذا التعبير مألوف معروف فى فصيح الكلام وليس بنادر ولا غريب و (ما) تزاد فى الكلام كما سنورد .

قال القاضى عياض فى مشارق الأنوار (ج ١ ص ٣٢٤) فى حديث تميم الدارى : « (ما) هنا صلة وليست بنافية اى من قبل المشرق هو » .

ومن العجب ان يجعل الأستاذ هذا التعبير نادراً بعد علمه بذلك .

قال ابو تراب : ولقد وجدت فى كتاب المنصف للامام ابن جنى وهو شرح كتاب التصريف للامام المازنى أمثلة كثيرة لزيادة (ما) هذه أذكر منها ما جاء فى ج ١ ص ٣ ونصه : (فلهذه المعانى ونحوها ما كانت الحاجة بأهل علم العربية الى التصريف ماسة) وهو يريد : فلهذه المعانى كانت الحاجة الخ .

وجاء فى المنصف ايضا ج ١ ص ٧ : (ولهذا المعنى ما كانت الألفات فى أواخر الحروف أصولاً) وهو يقصد : ولهذا المعنى كانت الألفات الخ .

وجاء فيه (ج ١ ص ١٤) : (فلهذا ونحوه ما زيدت هذه المدات) وما هنا زائدة ايضا وفى ج ١ ص ٣٢ من قول ابن جنى : (فلخفة ذوات الثلاثة ما كثر تصرفها) ومعناه كثر تصرفها وفى ج ١ ص ٢٢٤ قال ابن جنى : (فلهذا وغيره ما قال ابو عثمان) اى قال ابو عثمان .

قال ابو تراب : والشواهد على زيادة (ما) كثيرة وقفنا عليهـا فى كلام القدامى من النحويين كسيبويه والسيرافى وأضرابهما فلسنا نجزم بعد ذلك بما جزم به المعلق من ندرة هذا الاستعمال مع انه شائع .

قال ابن هشام فى المغنى (ص ١٤٣) تزاد (ما) لغير العوض كقـول مهلهل :

لو بِأَبَانَـينِ جاء يخطبها زُمّـل ما أنفُ خاطـبٍ بدمٍ

وتزاد بعد وبعد الناصب الرافع وبعد الجازم وبعد الخافض حرفا كان أو اسما وساق ابن هشام أمثلة لذلك كله لا نطيل الكلام بها ومن أراد الوقوف عليها فعليه بالمغنى والشمنى والدمامينى والغنية والقصر وغيرهـا من مراجـع النحـو ومدونات العربية .

ومن الشواهد قوله :

وننصر مولانـا ونعلـم انه كما النـاس مجـروم عليـه وجارم

ومنها قول الشاعر :

نام الخلى فما أحس رقادى والهـم محتضر لدىّ وسادى
من غـير ما سقـم ولـكن شفنى هم أراه قد أصـاب فؤادى

وتزاد بعد أداة الشرط جازمة كانت أو غير جازمة وبين المتبوع وتابعه وشواهد زيادة (ما) موجودة فى القرآن كقوله تعالى « وامّا ينزغنك » وقوله « أيا ما تدعو » وقوله « فبما رحمة » وقوله « مّما خطيئاتهم » وقوله « إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم » وقوله « أيما الأجلين » واختلفوا فى قوله تعـالى « مثـلا ما بعوضـة » فللزجاج فيه قول ينص على زيادة (ما) وهو مذهب البصريين ويؤيده سقوطها

فى قراءة ابن مسعود وللفراء والكسائى والمبرد فى ذلك كلام وذكر تحقيقه الزمخشرى والتفتازانى وغيرهما .

وتجد زيادة (ما) فى قول الأعشى مرتين :

اما ترينـــا حفـــاةً لا نعـــال لنا   انـــا كذلك ما نحفـــى وننتعل

وزادها أمية بن ابى الصلت ثلاث مرات فى قوله :

سَلَـــعٌ ما ومثلـــه عُشرٌ ما   عائـــلٌ ما وعالـــت البيقورا

قال ابو تراب : وجعل الزمخشرى فى المفصل (ما) هذه من حروف الصلة تزاد فى درج الكلام ونقل التفتازانى عنه هذا الرأى فى افاداته من الكشاف وكل ذلك اطلعنا عليه بحمد الله ولولا مخافة الاطالة لملنا الى البسط .

* * *

تعقب خطأ الذهب (١)

قال أبو تراب :

وقفت على قصيدة للفاضل أحمد الذهب نشرتها « عكاظ » بعنوان « دعوة الحق » وطرزتها بمقدمة أشّارت فيها الى انها معارضة لقصيدة الأستاذ مطلق مخلد من البحر والقافية .

قال ابو تراب : وقد أخطأ الأستاذ أحمد الذهب فى بيت من القصيدة خطأ عروضيا فخرج عن البحر فاختل وزن الشطر الثانى من البيت وهذا غير مغتفر أصلاً .

ومطلع القصيدة :

لــو قضينــا على السبب لقضينــا على الغضب

وهى من البحر الخفيف من العروض الثالثة وهى مجزوءة صحيحة وضربها مثلها ووزنها :

فاعلاتــن مستفــع لن فاعلاتــن مستفــع لن

وتصير فاعلاتن بالخبن وهو حذف الثانى الساكن فعلاتن كما تصير مستفع لن متفع لن كما هو ظاهر من البيت وهو يقع فى هذا البحر .

الاّ ان الاستاذ الذهب اختلط عليه الأمر فأفسد البيت الآتى :

ولــه حُظــوة لدى الــ مســلمــين والعــــرب

فالشطر الأخير من هذا البيت ليس من البحر الخفيف الذى نظم منه الاستاذ الذهب قصيدته بل هو من بحر الرمل من العروض الثانية المجزوءة من الضرب الثالث المجزوء المحذوف صارت فيه فاعلاتن الى فاعلن ودخل الكف فى التفعيلة فصارت فاعلات بعد حذف السابع الساكن لان وزن (مسلمين والعرب) فاعلات فاعلن وكان أصله فاعلاتن فاعلن لأن هذا الضرب محذوف تصير فيه فاعلاتن الى فاعلن والتفعيلة التى قبله مكفوفة كما رأيت فهذا الشطر من بحر الرمل والشطر الأول من بحر الخفيف الذى نظمت منه القصيدة وهو (وله حظوة لدى ال) ووزنه فعلاتن متفعلن فهذا صحيح وما يليه فاسد سقيم يحتاج الى علاج وهو مكسور يتطلب الجبر .

* * *

التعليق على كلام أحمد شاكر

قال أبو تراب :

كان ابو وجزة السعدى شاعرا مجيدا وراوية للحديث أورد ترجمته البخارى فى التاريخ الكبير ج ٤ ق ٢ ص ٣٤٨ والتهذيب ج ١٢ ص ٣٤٩ والأغانى ج ١١ ص ٧٥ والخزانة ج ٢ ص ١٤٧ .

وله رواية عن ابيه فى استسقاء عمر بن الخطاب وأنه لم يزد فيه على الاستغفار ذكره ابن قتيبة فى غريب الحديث ولكنا لم نجدها من روايته بل وجدناها من رواية الشعبى عن عمر كما فى تفسير الطبرى ج ٢٩ ص ٥٩ والمنتقى لابن الجارود ج ٢ ص ٦٢ وهو أحد من شبب بعجوز قال فى قصيدة يمدح فيها ولد الزبير بن العوام :

يا ايها الرجل الموكل بالصبا	فيم ابن سبعين المعمر من دد
حتى مَ أنت موكل بقديمة	أمست تجدد كاليمان الجيد
شب الجلال جمالها ورسا بها	عقل وفاضلة وشيمة سيد
ضنت بنائلها عليك وأنتما	إلفان فى طرف الشباب الأغيد
(أفَلآنَ) ترجو ان تثيبك نائلاً	أيهات نائلها مكان الفرقد

والأبيات فى الشعر والشعراء ص ٦٨٥ وعلق عليها الشيخ أحمد شاكر رحمه الله قائلا :

« أفلان) أصلها أَفَالآنَ سهلت الهمزة على بعض الفصيح من لغة العرب وهو المطابق لقراءة ورش » .

قال ابو تراب : « لان » لغة فى « الآن » ولغة أخرى « تَـلاَن » ذكرهـا الجوهرى فى الصحاح وأل ليست للتعريف فى « الآن » لأنه الوقت الذى أنت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة قال المجد فى القاموس ولم تدخل عليه أل للتعريف لأنه ليس له ما يشركه .

وربما فتحوا اللام وحذفوا الهمزتين فهذه لغة فى « الآن » من ذلك قول عنترة بن شداد العبسى :

وقد كنت تخفى حب سمراء حقبة   فَبُحْ لاَنَ منهـا بالـذى أنـت بائح

يريد فبح الآن وأول الأبيات :

طربت وهاجتـك الظبـاء السوانح   غداة غدت منهـــا سنيح وبارح

فمالـت بى الأهـــواء حتـــى كأنما   بزندين فى جوفى من الوجد قادح

وذكر العلماء أن أصلها (الآن) فحذفت همزة الوصل والهمزة التى بعد اللام ثم فتحت اللام لمناسبة الألف والى ذلك مال الشيخ أحمد شاكر كما ذكرنا وقال آخرون كما قلنا انها لغة فى (الآن) ومثله قول الشاعر :

ألايا هِنــد هنــد بنـــى عمير   أرَثّ لاَنَ وصـــلك أم جديد

وأنشد الأخفش بيت عنترة كما ذكرنا ومثله قول جرير الخطفى :

ألاَنَ وَقــد نزعــت الى نمير   فهــذا حـــين صرت لهـم عذابا

وبهذا تعرف ان « لاَنَ » لغة فى الآن .

قال الجرجاوى ص ٤٣ لان أصله الآن فنقلت حركة الهمزة الثـانية الى

الساكن قبلها فالتقى ساكنان هى والسكون الذى بعدها فحذفت لالتقاء الساكنين ثم الأولى استغناء عنها بحركة ما بعدها وقيل ان « لان » لغة فى « الآن » كما يقال فيه تلان بالتاء المثناة فوق وهو ظرف زمان للوقت الحاضر الذى أنت فيه مبنى على الفتح .

وقال قطة العدوى : لان أصله الآن فحذف منه الهمزتان وقيل هو لغة وأل فيه زائدة لازمته وليست للتعريف على الصحيح وعلة بنائه على الفتح تضمنه معنى الاشارة اذ كيف يتضمن شيئا هو موجود فيه لفظا ولذا ألغز بعضهم :

مولاى انى قد أبديت أحجية   تخالها دررا فى السلك منظومة
ما كلمة قدروها وهى حاملة   فى اللفظ موجودة فى النطق مفهومة

وأجاب عنه بعضهم :

فى الآن قد قدرت لام معرفة   لذاك تبنى وليست فيه معدومة
فهى التى قدروها وهى ثابتة   بها الغرابة فى الألغاز معلومة
خذ الجواب وكن ذا فطنة حذقا   فكم اناس لفرط الجهل محرومة

وفى شرح شافية ابن الحاجب للرضى ج ١ ص ٣٨ قال الفراء ان « الآن » منقول من الفعل وقال فى حكاية سيبويه عن الخليل فى باب آخر ص ١٢٧ آن يئين من الأوان .

قال ابو تراب : وهذان قولان للصرفيين يؤثران عنهم حكاهما فى اللسان ايضاً والذين يقولون هو من الأوان يقولون حذفت الألف التى بعد الواو فصار أون كزمن ثم قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها والذين يقولون انه فعل

منقول يجعلونه من باب التنوط اسما لطائر منقولاً من الفعل الداخل عليه أل فاعرف هذا فانه من العلم ولا تجده فى معاجم اللغة .

ولأبن جنّى فى الخصائص كلام حول هذا ملخصه انه مصدر دخلت عليه الألف واللام فالآن منقلب من الأين ..

* * *

الاستدراك على عبد السلام هارون (٢)

قال أبو تراب :

لأبى الفتح الأبشيهى المحلى كتاب سماه « المستطرف » ومؤلفه حضر دروس الجلال البلقينى ترجم عنه الأسدى فى طبقات الشافعية (ص ١١٢) وقال عنه ان عربيته كانت ضعيفة ولذا يقع اللحن فى كلامه تارة .

والكتاب طبع عدة طبعات منها طبعة بولاق ومحمد مصطفى وكاستلى والميمنية وترجم الى الفرنسوية وطبع فى باريس سنة ١٩٠٢ م .

وجاء فيه (ج ٢ ص ١٤٩) ان عبد الملك الملقب بالقس كان عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن ابى رباح سمع من سلامة :

رُب رسولين لنا بلّغا رسالة من قبل ان نبرحا

الطرف للطرف بعثناهما فقضيا حاجا وما صرّحا

فقال لها أسمعت قوله تعالى : « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الاّ المتقين » ثم أنشأ يقول :

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها فاعجب لما تأتى به الأيام

فاليوم أعذرهم وأعلم انما سبل الضلالة والهوى أقسام

قال ابو تراب : وهذا خطأ فانه ليس عبد الملك بل هو عبد الرحمن بن ابى عمار من بنى جشم بن معاوية والعجب ان المحققين غفلوا عن هذا الوهم الذى وقع فيه المؤلف حتى ان الاستاذ عبد السلام هارون فى تعليقه على مجالس ثعلب عند ذكر خبر القس لم يعرج على الوهم المذكور .

والقصة مروية فى الأغانى (ج ٨ ص ٦ طبعة بولاق) فى ترجمة سلامة القس وهكذا ذكر ثمة اسم الرجل ونقله عن المدائنى وقال انه كان من قراء أهل مكة وكان يلقب بالقس لعبادته وكان فقيها وهو عبد الرحمن بن عبدالله بن أبى عمار ، ونقل ابو الفرج عنه وعنها شعرا . قال ابو تراب ووقفت على الخبر فى طبقات ربات الخدور (ص ٢٥٠) دون الاشارة الى هذا الخطأ الذى ذكرناه ولم يتنبه احد انه ليس فى اسماء الرجال من يعرف بعبد الملك القس .

وقال ثعلب فى المجالس (ج ١ ص ٥) : حدثنا ابن شبة قال حدثنا خلاد بن يزيد الأرقط الباهلى قال : سمعت أهل مكة يقولون كان القس بمكة يقدم على عطاء فى التنسك .

ثم ساق القصة بأتم من رواية الأبشيهى غير أنه لم يذكر سماعه منها : « رُبَّ رسولين لنا بلغا ... الخ » وقال انه قال فيها :

أهابك ان أقول بذات نفسى ... ولو انى أطيع القلب قالا

حياء منك حتى سلّ جسمى ... وشق علىّ كتمانى وطالا

قال ابو تراب : وعبد الرحمن هذا قرشى مكى من رواة مسلم والأربعة روى عن ابى هريرة وابن عمر وروى عنه عكرمة بن خالد وعمرو بن دينار ووثقه النسائى وذكروا انه كان من عباد مكة .

فالعجب ان يخفى هذا الرجل وهو بهذه الشهرة وترجمته موجودة فى تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر وتهذيب الكمال والتقريب والخلاصة والتذهيب للحافظ الذهبى وغيرها .

* * *

تخطئة العطار (٢)

قال أبو تراب :

تعقبنا الأستاذ أحمد عبد الغفور وقد فسر قول زهير في صفة الظليم :

أصك مصلم الأذنين أجنا   له بالسى تنوم وآء

بأنّ أجنى بمعنى أدرك الثمر وجعله صيغة الماضى من الجنى وقلنا ان هذا خطأ لأن أجنا أفعل تفضيل وهو بمعنى الميل فى الظهر وبذلك يوصف الظليم وخفف الهمز هنا تسهيلاً ونحن الذين دللنا الأستاذ على قول الشنتمرى فراح به طربا ولم يوافقه عليه أحد فان العلماء اللغويين أنشدوا البيت فى المهموز وفسروه بما فسرنا :

وردّ علينا الأستاذ بان اجنى كتب فى اكثر نسخ الصحاح بالياء وهذا يدل على انه من الجنى فلو كان من الجنأ لكتب بالالف المسهلة من الهمزة وقد غاب عن علم الأستاذ ان كتابة (أجنى) بالياء لا ينهض بها الاستدلال على كونه من الجنى لأن العلماء نصوا على أن الياء منقلبة هنا من الهمز فسواء أكتب (أجنى) بالياء أم (أجنا) بالالف فهو فى كلتا الحالين مهموز الأصل من الجنأ الذى هو من صفات الظليم وهو بمعنى الميل فى الظهر وهو ايضا أفعل تفضيل لاصيغة ماضى الفعل والهمزة تسهل الى الياء كما تسهل الى الالف ويسمى إبدالا وتارة تحذف وكتابة هذه الكلمة بالياء هى التى جعلت الأستاذ يتوهم ما توهم من كون الكلمة من الجنى ومن تمكن من علم الصرف فقل ان يغلط هذا الغلط

ونسأل الله السلامة .

واليك ايها الاستاذ ادلة ما ذهبنا اليه قال الزمخشرى فى اساس البلاغة ص ٦٥ الظليم أجنأ قال المجد فى القاموس ج ٤ ص ٣١٥ رجل أجنى بين الجنأ لغة فى المهموز والجنواء الجنآء . وقال السيوطى فى الدر النثّير ج ١ ص ١١٥ قيل أصله الهمز .

وقال ابن منظور فى لسان العرب ج ١ ص ٤٣ ظليم أجنأ وأنشد :
(أصك مصلم الأذنين اجنا) وهذا هو البيت نفسه الذى زعم فيه الاستاذ العطار ما زعم ولكن يبطله انشاد العلماء هذا البيت فى الجنأ المهموز وجعل الأجنأ افعل التفضيل فاذا كتبوه بالياء قالوا انها لغة فى المهموز ونصوا على ذلك فهو على كل حال بمعنى الميل والقعس من صفات الظلمان .

وقد نص على ترك همزه ابن دريد فى الجمهرة ج ٣ ص ٢٢٩ قائلا والجنأ مهموز ورجل أجنأ وقد ترك همزه .

وقال ابن منظور فى اللسان ج ١٨ ص ١٧٠ ورجل أجنى كاجنأ بين الجنى والانثى جنوى والهمز أعرف قال والأصل فيه الهمز من جنأ يجنأ ثم خفف وهو لغة فى المهموز وقال ابن فارس فى المقاييس الجيم والنون والهمز أصل واحد .

وقال الزبيدى فى التاج ج ١٠ ص ٧٨ رجل أجنى بين الجنأ لغة فى المهموز قال وشاهد الأجنى بغير همز (أصك مصلم الأذنين أجنى) ثم أنشد هذا البيت نفسه فى ج ١٠ ص ٥٣ قائلاً وظليم أجنأ ونعامة جنآء ومن حذف الهمزة قال جنواء وأنشد (أصك مصلم الأذنين اجنا) .

ونقل ابن سيده فى المخصص ج ٢ ص ١٩ قول الخليل فى كتاب العين الجنأ

غير مهموز كالخبأ وقد جنى ورجل أجنى وامرأة جنواء .

وقال ابن القطاع فى كتاب الأفعال ج ١ ص ١٨١ من المهموز اجنأ وأجنى بلا همز مثله وقال ابن الأثير فى النهاية ج ١ ص ٢١٥ الأصل فيه الهمز ثم خفف وهو لغة .

وقد تبين بهذا كله ان كتابة اجنأ بالياء ليست تجعله من الجنى جنى الثمر بل هو مهموز على كل حال وقلبت الهمزة فيه ياء لغة وتقلب واوا ايضا والمعنى فى كل ذلك هو الميل فى الظهر وهو من صفات النعائم ولكن الاستاذ غاب عن علمه كل هذا فجعل (أجنى) من الجنى لما رأى من كتابته بالياء ولم يدر ان الأصل فى هذه الياء هو الهمز فمنهم من كتب (أجنا) بالالف تخفيفا للهمزة ومنهم من كتبه بالياء كلغة قوم وقد نصوا على ذلك فاذا علمت هذا ظهر لك سقوط احتجاج الاستاذ العطار بكتابته بالياء على كونه يائيا .

ولا يمكن ان يدعى انسان هذا بعد ان تقرر فى كتب الصرف ان الهمزة تبدل ياء وان شئت فاقرأ قول ابن الحاجب فى الشافية ص ١٧٢ قال تخفيف الهمزة يجمعه الابدال والحذف وبين بين وقد ذكر الرضى قلبها ياء وواواً من باب الابدال من الشرح وثمة أقوال للصرفيين والقراء تنص على صحة ذلك ولولا مخافة الاطالة لنقلناها ومن شاء فليرجع الى ما أشرنا اليه .

قال ابن الحاجب وأما البدل فانهم كتبوا كل ألف رابعة فصاعداً فى اسم أو فعل ياء ومنهم من يكتب الباب كله بالألف والمختار كتبه بالياء ان كان منونا وهو قياس المبرد والمازنى يكتب بالألف وقياس سيبويه المنصوب بالالف وماسواه بالياء . وشرح ذلك الرضى بما لا مزيد عليه فلينظر .

ويعلم كل صرفى ان باب البدل واسع والا مالة تقع بالياء وبالواو كما فى نشوت لغة فى نشأت وقريت فى قرأت وقوم من العرب أبدلوا الهمز فى مبتدأ الكلام بغيرها فكون (أجنى) مكتوبا بالياء ليس دليلاً على اصالتها فيه بل هى مبدلة من الهمز كما تقدم والمعنى هو من الجنأ لا من الجنى كما توهم فى ذلك من توهم والهمزة فى آخر الكلام يقع فيها الابدال اكثر من وقوعه اذا كانت غير ذلك . وأنظر كتاب الإبدال للواحدى .

* * *

الانتصار لعارف قياسة (١)

قال أبو تراب :

في قول الدكتور الصديق عارف قياسة

واجعل الخير من يراعي يجري   سلسلاً صافيا وحلما شهيا

قال عبد العزيز النقيدان : (لنقف عند كلمة يراعي وقفة نحوية فياء المتكلم دائما ساكنة واذا سكنت هنا فسيختل الوزن الشعرى فنضطر للفتح هنا للضرورة)

قال ابو تراب : هذا جهل فاضح ونعوذ بالله من الجهل وقوله ياء المتكلم ساكنة دائما كذب محض نسأل الله السلامة فان ياء المتكلم المضاف اليها يجوز فيها الفتح والتسكين فى النثر والشعر نص عليه النحاة ومنهم ابن عقيل فتقول غلامى بسكون الياء وغلامى بفتحها ولا فرق ثمة ولا اضطرار قطعاً .

بل يجب فتح الياء فى أربعة مواضع مع المنقوص والمقصور والمثنى وجمع المذكر السالم فمثال المنقوص (راميَّ) ادغمت ياء الرامى فى ياء المتكلم وفتحت الياء ومثال المقصور (عصاى) بفتح الياء ومثال المثنى (غلاماى) رفعا وغلامَيَّ نصباً وجرًا ومثال الجمع المذكر السالم (زيدُيَّ) رفعا ونصباً وجرًا فهذه الأربعة المواضع يجب فيها فتح الياء وما عداها فيجوز فتحها وتسكينها وان شئت فانظر ابن عقيل ج ٢ ص ٧٥ فقد نص على جوازه بقوله : (وأما ما عدا هذه الأربعة فيجوز فى الياء معه الفتح والتسكين) .

قال ابو تراب : فأين دعوى سكون ياء المتكلم دائماً اللهم انها دعوى باطلة .

ألم يقرأ هذا القائل قوله تعالى « ومالى لا أعبد الذى فطرنى » وقوله تعالى « هلك عنى سلطانية » وقوله تعالى « هآؤم اقرأوا كتابيه » وقوله « ياليتنى لم اوت كتابيه » وقوله تعالى « لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأ قتلك » الى غير ذلك ومن جهل القرآن فقد جهل شيئا عظيما وتجاسر على القول بما لم يحط به خبرا وشواهد العربية على فتح ياء المتكلم أكثر من أن تحصى لسنا بصدد استقصائها وانما أردنا التنبيه على هذا التخبط الذى وقع فيه النقيدان ومثله لا يحسن التكلم فى مسائل العربية فكيف يكلف نفسه عناء الرد على الكبار ويتجشم فى سبيل ذلك ما يهيض جناحه فأجدر بأضرابه ان يقفوا عند حدهم ويكفوا عن النقد الذى يفضح مطوياتهم ويدل على سخفها ونبوها .

وأيم الله أنى لوجدته لايحسن معرفة المجرى وغيره ويكتب الضاد بالظاء والظاء بالضاد وقد ألف قوم رسائل فى الفرق بينهما ولا يجهلها الاّ غبى غمر لاحظ له من العلم ولكن هذا المتصدى للنقد مع قلة بضاعته يريد مناطحة القوارح

وابن اللبون اذا مالز فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

وربما وجدت فى كلام النقيدان هذا عشرات الأخطاء اللغوية والصرفية والنحوية والخطية فأغض الطرف عنها وهى تعدو حد الاغتفار ولكنى حينما قرأت كلامه وهو يتعقب الدكتور عارف قياسة وهو أعلم منه وأكبر ولا مناسبة بينهما قطعا ورأيته يتزعم الوقفة النحوية استشاطت فى الحمية النحوية وأنا ابن النحو

ولا فخر فأردت قمع الباطل باليقين وأظهار الغث من السمين ونصحى لأمثاله ان يتأدبوا مع الكبار ولايتعقبوا الاّ بعد التثبت والسؤال والبحث والتحرى والتضلع من العلم وان تعجب فعجب وقفة امرىء وقفة نحوية وهو ينون غير المنصرف فى نثره وينحت صيغاً لا أصل لها فى اللغة ويعتبر الحرف المزيد أصليا فيجمع الكلمة دون التجريد الى غير ذلك من الأمثلة التى تمر بى كل يوم وليلة فى كلامه عرفت من خلالها عدم معرفته بالنحو وتخبطه فى الاشتقاق وجهله بالعربية .

ثم اعجب من رجل هو النقيدان يقول ياء المتكلم ساكنة ابداً ويؤاخذ الشاعر على فتحه اياها ويعتبرها ضرورة شعرية ويتساءل فى هذه الضرورة ولا يجزم بشىء ليُدلّلَ على تحفظه وعنايته بالاعراب وتقيده بالعربية الفصحى وقوانينهاَ كأنما هو عالمها وبارى قوسها وكأنما هو لا يبيح ان يقع الانسان فى الضرورات .

وما درى فتانا هذا ان هذه ليست ضرورة بل هى فصحى تكلم بها القرآن وجاء بها الشعر وفتح ياء المتكلم وسكونها سواء عند العرب .

قال ابن الحاجبْ فى الكافية : واذا اضيف الاسم الصحيح والملحق به الى ياء المتكلم كسر آخره والياء مفتوحة أو ساكنة فان كان آخره ألفا ثبتت وهذيل تقلبها لغير التثنية ياء وان كان ياء ادغمت وان كان واوا قلبت ياء وأدغمت وفتحت الياء للساكنين .

قال ابو تراب : ولم يقل احد من النحويين ان ياء المتكلم ساكنة ابداً وأجاز كلهم فتحها وسكونها وانما الخلاف فى اصلها هل هو السكون أم الفتح وليس الخلاف فى جواز الأمرين فى النطق ولا فى وقوع الياء مفتوحة أو ساكنة فى النثر أو الشعر قال الامام الرضى (ج ٢ ص ١٣٣) :

اختلف فى ياء المتكلم فقال بعضهم أصلها الفتح لأن واضع المفردات ينظر الى الكلمة حال افرادها دون تركيبها فكل كلمة على حرف واحد كواو العطف وفائه وباء الجر ولامه وياء المتكلم أصلها الحركة لئلا يبتدأ بالساكن وأصل حركتها الفتح لان الواحد ولاسيا حرف العلة ضعيف لا يحتمل الحركة الثقيلة من الضمة والكسرة وقال بعضهم أصلها الاسكان وهو أولى لان السكون هو الأصل الى ان قال فلاشك ان إسكان ياء المتكلم اكثر استعمالاً اذا لم يلزم اجتماع الساكنين وذلك لعدم الاحتياج اذن الى حركتها لوقوعها ابدا بعد كلمة أخرى فلا يبتدأ بها مع كونها حرف علة .

قال الرضى وهذان اعنى الفتح والسكون مطردان فى غير النداء ايضاً الخ .

قال ابو تراب : ومن هذا يظهر لك ان الأمرين جائزان وانما الخلاف فى أصل هذه الياء هل هو الفتح أم السكون ولم يختلفوا فى وقوعها بهما أصلاً والاستعمال العربى بالأمرين وارد شائع كثيرا مستفيض والنصوص النحوية وكلام الأئمة فى هذا محفوظ لدينا ألا فليستح بعد هذا من يريد انتقاص الشاعر من أجل فتحه ياء المتكلم مع ورود ذلك وصحته . وقال النقيدان فى قول الدكتور عارف قياسة :

ذهب الحق بالسنابل واسكب ... فى الدوالى ما تشتهى من حميا

(ان كلمة الدوالى ليست عربية ولو جاءت بين قوسين لاغتفرنا هذا التصرف) .

قال ابو تراب : وهذا جهل آخر ومعاذ الله من ان لاتكون كلمة الدوالى عربية ولكن النقيدان لا يعرف اللغة فهو يجهلها لذلك اعترض على الدكتور بمثل هذا الكلام الساقط المزدول ثم استغرب من عدم تطابق كلمة الحميا لأنه لم

يعرف معنى الدوالى ولا قرأها فى الكتب فجعلها قريباً من العامية واستشكل عليه الأمر وما البلاء الاّ الجهل نسأل الله السلامة .

قال ابو تراب : ونحن نفسر للنقيدان هذه الكلمة واشتقاقها ونثبت له انها عربية فصيحة فامّا اشتقاقها فهو من الدلو والكلمة من الناقص الواوى انقلبت واوها ياءاً للزيادة وهى جمع دالية وجاءت بمعان منها الناعورة ومنها ما يتخذ من خوص يشد فى رأس جذع والمراد بالدوالى فى قول الشاعر العنب الأسود فلذلك أتى بكلمة الحميا بعدها للتدليل عليه وسميت الأعناب بالدوالى لأنها تتدلى من على العريش .

قال المجد فى القاموس ج ٤ ص ٣٣٠ (والدوالى عنب أسود غير حالك وبسر يعلق فاذا أرطب أكل) وهذا نص فى اللغة - يبطل كل وسوسة أتى بها النقيدان محاولاً اثبات عامية الكلمة المذكورة طالباً حمايتها بالقوسين وليست بعامية بل هى من الفصحى العزيزة ومن الكلمات الشعرية العذبة ومعنى البيت واضح لا اشكال فيه بعد ان عرفت معنى الدوالى وقد كنت منه على غير علم فعلمناكه ولله الحمد .

أما بعد فالناقد يجب ان يكون على علم بما يتكلم فيه والاّ أتى بالعجائب كهذه وتخبط خبط عشواء وتاه فى المسالك ضالاً لايدرى الى اين يمضى .

ونحن نعرف أقواماً تكلموا فى كلام أناس أعلم وأفقه منهم وكانوا يجهلون ما ينقدونه فوقعوا فى هوات سحيقة لاقرار لها وتشدقوا بكلام فضحهم وأبان عما يفصح عنه الطبل وهو خواء وجوفه هواء .

أمــدعيا علماً بدون معلّم كموقـد مصبــاح وليس له دهن

وأنا أنصح النقيدان بالتعلم والاطلاع قبل ان يشرع القلم للنقد والمؤاخذات أو يتكلم فى شىء لا يحسنه وليس من شأنه القول فيه لأنه يجهله والأليق به الالتزام بحسن الأدب وبالمنطق السليم وبالوجه الحق وبالكتابة فى شىء رخيص يروج بضاعته دون الخوض فى المباحث العلمية واللغوية والنحوية وهو لم يتقنها بعد فان فعل افتضح دونما شك ذلك كصنيعه مع الدكتور عارف قياسة أراد ان يخطئه فاذا هو على جهل كبير وحسبك ايها النقيدان من القلادة ما أحاط بالعنق .

* * *

الرد على الطوخى

قال أبو تراب :

جاء في ترجمة ابى ذر الغفارى التى نشرتها « البلاد » بقلم السيد الطوخى بتاريخ ٨١/٤/٢٨ هـ انه مات عام ٥٣٢هـ وهذا أشنع خطأ وقع فى الترجمة نرجو الله ان يكون مطبعيا كما يتبادر الى الذهن وإلاّ فأين أبو ذر من القرن السادس والصحيح انه توفى بالربذة سنة اثنتين وثلاثين فقط قاله ابن المدائنى .

وقال السيد الطوخى سامحه الله انه من أكبر رواة الحديث وهذا ايضا وهم قبيح لا يحسن بالمؤرخ فهلا تأنّى الطوخى وراجع أهل العلم بالأخبار فان أبا ذر لم يرو غير مئتى حديث وواحد وثمانين حديثا اتفق الشيخان على اثنى عشر منها وانفرد البخارى بحديثين ومسلم بتسعة عشر وأخرج له الستة فأين هو من كبار الرواة وأين هو من أبى هريرة صاحب الألوف وأين هو من ابن عمر وأنس بن مالك وعائشة أصحاب اكثر من ألفى حديث وأين هو من ابن عباس وجابر وابى سعيد الخدرى أصحاب اكثر من ألف حديث بل أين هو من ابن مسعود وعبدالله بن عمرو بن العاص وعمرو على وام سلمة وابى موسى الأشعرى والبراء ابن عازب أصحاب المئين من الأحاديث وعلى المؤرخ ان يتثبت قبل ان يتسرع للكتابة .

نعم ان ابا ذر اكثر رواية من سهل بن سعد وعبادة بن الصامت وعمران بن

الحصين وابى الدرداء وابى قتادة وبريدة بن الحصيب الأسلمى وابى بن كعب ومعاوية ومعاذ بن جبل وابى ايوب الأنصارى وعثمان وجابر بن سمرة وابى بكر والمغيرة بن شعبة وابى بكرة وأسامة بن زيد وثوبان مولى رسول الله ﷺ والنعمان بن بشير وابى مسعود وجرير بن عبد الله البجلى ولكن ليس هو اكثر رواية من الذين ذكرناهم من قبل كما يزعم الاستاذ .

وانما هو فى طبقة سعد بن ابى وقاص وابى امامة الباهلى وحذيفة بن اليمان فهؤلاء أصحاب اكثر من مئتى حديث مثل أبى ذر فالحاقه بهم فى الرواية أولى .واما الفتيا فهو من المقلّين فيها لايوازى المتوسطين كابى بكر وام سلمة وأنس وابى سعيد وابى هريرة وعثمان وابن العاصى وابن الزبير وابى موسى وابن ابى وقاص وسلمان الفارسى وجابر ومعاذ فكيف يساوى المكثرين كعائشة وعمر وعلى وابن مسعود وابن عمر وزيد وابن عباس .

وأما اشتهاره بالعلم فهو غير الرواية كما قلنا حتى وجدنا انه أقل فى الفتيا من طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعمران بن حصين وابى بكرة وعبادة ومعاوية .

ليت السيد الطوخى قال عن ابى ذر انه من جلة أصحاب رسول الله ﷺ اذن لكان أسلم له من هذا الخلط العجيب نعم ان ابا ذر كان عالما حتى قال ابو داود انه كان يوازى ابن مسعود فى العلم ولكن العلم شىء والرواية شىء آخر لذلك تجد أمثال ابى بكر خليفة رسول الله ﷺ قليلى رواية ولكنهم كانوا علماء فقهاء فى الدين .

وقال السيد الطوخى انه ورد فيه (ما اقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من

ذى لهجة أصدق من ابى ذر) قال ابو تراب وسكت الطوخى ونحن نقول له ان الرواية صحت مرفوعة ولفظها ما أظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء أصدق ذى لهجة من ابى ذر حسنه الترمذى ولكن الطوخى اخطأ فى زيادة (من) وقدم واخر وهذا عيب فى النقل .

هذا ومناقب ابى ذر كثيرة أغفلها الطوخى ولم يذكر من أهمها الاّ قصة واحدة بان ابا ذر استعمله رسول الله ﷺ فى احدى الروايتين على المدينة حين نهض لغزوة ذات الرقاع واستعمله ايضا عليها فى غزوة بنى المصطلق .

وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبينِ المُعْنِق ليموت وهو المنذر بن عمرو نقيب من بنى ساعدة ، لقبه به رسول الله ﷺ لما بلغه ما فعله فى بئر معونة حين قُتل أصحابه وأَبى الاّ أن يأتى مصرع حرام بن مِلْحان أخى أم سليم فقال رسول الله ﷺ أعْنَق ليموت أى أسرع الى منيّته أنظر أحكام ابن حزم ج ٤ ص ١٧٦ وابن هشام ج ٢ ص ١٥٠ وابن سعد ج ١ ق ٢ ص ١ وابن كثير ج ٣ ص ٢٢٦ والبخارى ج ٥ ص ٦٩ والطبرى ج ٣ ص ٣٩ وزاد المعاد ج ٢ ص ٢٧٤ والإمتاع ص ١٨٨ وابن سيد الناس ج ٢ ص ٥٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٥٢ وانساب البلاذرى ج ١ ص ١٣٧ والمواهب ج ١ ص ١٣٧ .

* * *

تعقب صاحب الوسيط وابن الامام(٢)

قال أبو تراب :

كنت كتبتُ فيما سبق لى من تعقّب الأوهام أنّ مؤلف كتاب الوسيط الشيخ احمد بن الأمين الشنقيطى أخطأ فى تخطئة الشاعر محمد بن السالم فى قوله فى مقام الافتخار والتعاظم والتعالى على شاعر كان يدعى الأحول : (انه أشعر منه وأحول) اذ قال مؤلف الوسيط كان القياس ان يقول : أشد حولاً لان أفعال العاهات لا يأتى منها التعجب ولا اسم التفضيل .

وقلنا ان وجه الخطأ فى كلام مؤلف الوسيط هو ان الشاعر لم يقصد هنا حول العين حتى يقال انه لا يأتى منه أفعل التفضيل بل أراد أحول من الحيلة ويصاغ منها أفعل التفضيل كما نص عليه صاحب اللسان ومعنى قول الشاعر (أحول) اى اكثر حيلة فكأنه أراد انه أبصر من معاصره بالخروج من المآزق ؟ ودليلنا على ذلك هو مقتضى المقام فان المحل محل افتخار وتعالٍ فلا يمكن قطعاً ان يكون الشاعر يفتخر على آخر بحول العين وبالعاهة المشوهة وهذا حق واضح لا غبار عليه ؟ ولعل مؤلف الوسيط غفل عن ان الحيلة يتركب منها أفعل التفضيل على أحول فوقع فى الوهم وذهب يفسر كلام الشاعر بحول العين ويخطئه فى تركيبه وينسبه الى العامية وجلّ من لا يسهو وكل ابن آدم خطّاء .

وقرأت فى هذه الجريدة الصادرة ٨١/٤/١٥ هـ كلاما منشورا للشيخ

الفاضل محمد المصطفى بن الامام العلوى الشنقيطى يحاول فيه الرد عليّ فيما تعقبت به مؤلف الوسيط قائلاً : « ان مؤلف الوسيط رأى الشاعر بعينه وساكنَه فى بلده وعلم حَولَه بالمشاهدة كما يعلمه كل من يعرفه بالرؤية او بالسماع من أهل قطره ؛ وشهرته بالحول الخلقى معروفة فى بلده » .

ويريد الشيخ محمد المصطفى ان يجعل خطأ مؤلف الوسيط صواباً وان الشاعر هو المخطىء كما زعم مؤلف الوسيط اذ قال : كان القياس ان يقول أشد حولاً وفى نظره ان الشاعر لماّ قال أنا أشعر وأحول منه فقد أراد حول عينه وتبع المؤلف الشيخ محمد المصطفى فى هذا الوهم .

قال ابو تراب : ولعمرى أىُّ منطق صائب فى هذا القول الواهن أيتصور **عاقل ان يفتخر الشاعر بحول عينه على شاعر آخر كلاّ وليت الشيخ عفا الله عنه يدرك هذا .**

وهَبْ ان الشاعر كان أحول العين وكف بصره فى آخر حياته كما لا نجهله ولكن كيف يُعقل ان يتعاظم فى مقام الافتخار بعاهة أصيب بها ويتعالى بها على شاعر كان الناس يطرون فى الثناء عليه أفيمكن ان يفتخر عليه بالبلاء المبين والعمى الظاهر للعيان مع انه هو الذى كان يرى نفسه أفضل منه كما نص عليه مؤلف الوسيط نفسه والمقام ليس مقام التظاهر بالعاهة وانما هو مقام الافتخار بالنبوغ فى فن القريض ومقام التفاخر بالمهارة فيه فاىّ داع ثمة لذكر حول العين الذى لا يمت الى الشعر بصلة وهل الحول يزيد الشعر جودة واتقانا حتى يقول الشاعر مفتخراً على آخر بحول عينه أنه أحول منه يارب ان هذا لضلال فى الرأى وآفة فى الفهم السقيم اللهم أنّ الظاهر هنا انه بمعنى الحيلة .

ولقد حدثنى صديقنا الاستاذ الضليع من الأخبار والروايات العالم بعيون الأدب وغرر مصادره المطلع على خباياهـا وفرائدهـا الشيـخ محمـد مصطفـى الصباحى أمتع الله بأدبه بعد ان اطلع على هذه المناقشة انه يمكن تخريج قول الشاعر بوجه آخر ربما يكون أصوب من تخريجى وهو ان يكون فى كلام الشاعر تصحيف من الأصل فيجوز ان يكون قال : (أنا أشعر من فلان وأقول) بمعنى اكثر منه قولاً وأقول وأحول يشتبهان على الناسخ .

قال ابو تراب : فان كان قاله كذلك فهذا ايضاً وجه من الصواب يستقيم به قول الشاعر لكن المشافهة لها معنى فان كان مؤلف الوسيط لم يسمع من الشاعر هذه القولة بنفسه وهذا غير مصرح به فان تخريج الاستاذ الصباحى لذو وجه صائب والعمدة هنا على السماع .

وفى مجال التخريج قال لنا شيخ التاريخ والأدب الاستاذ الكبير محمد حسين زيدان انه يمكن ان يكون الأصل الصحيح (أن أشعر منه وأصول) من الصولة وهذا اوجه من التخريج المذكور لأن تصحيف الأصول الى الأحول أقرب وأشبه وعلى كل فالمعنى لا يستقيم بالحول ويستقيم بهذين التخريجين ان شاء الله هذا وأمّا ما نعتنى به الشيخ محمد المصطفى الشنقيطى سامحه الله من ان الاستهتار معدنى وان الشيطان يوحى الىّ بتوهيم العلماء وتخطئتهم بالتخيل والاختراع الى غير ذلك من العبارات التى تنم على سوء الأدب فأقول للملأ ـ وبالله المستعان على ما يصف لسانه ـ أنى والله ما قصدت قط انتقاص أهل العلم وحملة الآثار وانما أروم وجه الصواب والله هو الملهم وجوه الحق لا الشيطان الرجيم والعياذ بالله من الخذلان ،

أمّا بعد فلا أحبّ ان أقابل الشيخ هداه الله بمثل ما احتقرنى او استصغرنى لا عن عجز فى اللسان ولا عن قُلّ فى المعرفة باللغة الشاتمة ولا رهبة من أحد ولكن رغبة فى الا لتزام بحسن الأدبً وتحلياً بأخلاق العلماء واصطباغا بصفةٍ ذكرها الله فى الكتاب العزيز للمؤمنين قائلاً عز وجل « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » .

وأذكر للشيخ بهذه المناسبة قصة المحقق الطوسى اذ كتب اليه بعض الخصوم رقعة فيها (يا كلب ابن الكلب) فكان من جوابه : امّـا قولك ياكذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار وأمّا انا فمنتصب القامة بادى البشرة عريض الأظافر ناطق ضاحك فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص .

وهكذا نقض الطوسى كلام المعارض بحسن طويّة وجميل تأنٍّ ورزين منطق وراجح عقل دون ان ينزعج او يذكر كلمة قبيحة وما أحسن قول الفراهيدى رحمه الله :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى — اوكنتُ أجهل ما تقول عذلتكا

لكن جهلتَ مقالتى فعذلتنى — وعلمتُ انك جاهل فعذرتكا

وكذلك فعلنا بالشيخ وبالله نتأيد .

* * *

المستدرك على أحمد شاكر (٢)

قال أبو تراب :

ونعود اليوم للعلاّمة الذى بَلِى وما بَلِىَ وللشيخ الذى فَنِىَ وما فَنِىَ : ذهب مأسوفاً عليه فنَعَاُه العلم وأهله ورَثَاهُ القلم ورُعافه منذ تركه ندياً لم يجفّ حتى كاد يحترق من أسى البكاء ذلكم هو العالم الكبير احمد شاكر رحمَ الله زماناً أطْلَعَهَ ونضرّ الله ضريحاً أضمره .

اشتغل بالمسند والمسند مَشرْع القلم لأنه للامام الجليل الثقة الحجة الحافظ الثبت أحمد بن حنبل الشيبانى احد الأعلام ؛ كان يُرسل الى والدى كلما فرغ من جزءٍ تباعاً وقد جمعهما المورد أيفاعاً وشيوخاً وكلاهما عَلاَّمتا السُّنَّة وهما دونها كالمجنّة : شرح والدى مسند الامام وأتم منه نحو عشرين مجلداً وعلق أحمد شاكر على المسند وجاء أجَلُه ولم يكمل .

وبعد ان صدر أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بطلب والدى الى أم القرى ليكون بالمسجد الحرام مدرسا ومحدثا تكرر اجتماع الشيخ بالشيخ أيام الموسم لأنه كان كثير التزاور فيها فاذا حضرنا مجلسهما هِبْنَاهُما لعظمتهما ولبثنا سكوتا لنستفيد علماً .

وأملَى علىّ والدى ذات مرة رقعةً لأرسلها الى الشيخ يتعقبه فيها فى وهمين وهمهما وخطأين وقعا منه ولم تتهالك مسودتها عندى حتى مَسَّتْها اليوم يدى لأنشرها للناس فيعرفوا ما يكاتب فيه العلماء وقد أرسلتُ نصها الى الشيخ آنذاك

وهو هذا :

« بسم الله من ابى محمد عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمى . الى صاحبنا محدث الديار المصرية الشيخ احمد بن محمد شاكر متع الله بحياته . السلام عليكم ورحمة الله . احمد اليكم الله الذى لا اله الاّ هو وأصلى وأسلم على رسوله النبى المصطفى وعلى آله وصحبه وجميع أتباعه أما بعد ..

فانه لما وصلت الى مسند الزبير بن العوّام رضى الله عنه ومررت بشرحى على هذا الاسناد : (حدثنا عبد الله ثنى أبى ثنا يعقوب ثنا أبى عن محمد بن اسحاق ثنى عبد الله بن عطاء بن ابراهيم مولى الزبير عن أمه وجدّته أم عطاء الخ) (المسند ص ١٦٦ ج الطبعة الاولى) و (ج ٣ ص ١٥ الطبعة الثانية) بحثت عن عبد الله بن عطاء بن ابراهيم فما وجدته لا فى « التهذب » ولا فى « التعجيل » فراجعت النسخة التى أنتم مشتغلون بطباعتها فوجدت فيها من كلامكم ما نصه : (اسناد صحيح . عبد الله بن عطاء ثقة وثقه ابن معين وضعفه النسائى وقال الترمذى : ثقة عند أهل الحديث) الى آخر ماذكرتم وهذا نقل من التهذيب وأعرف ان هذا وهم من الأخ الكريم لأن عبد الله بن عطاء راوى المسند هو مولى الزبير وعبد الله بن عطاء المذكور فى التهذيب هو طائفى مكى وهو مولى المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة وقيل هو مولى بنى هاشم وثقه ابن معين وامّا مولى الزبير فقد ضعفه ابن معين وقال : لاشىء فراجعت « ميزان الاعتدال » فقوى علمى ان مولى الزبير غير الطائفى فان الذهبى ذكر اولاً عبد الله بن عطاء المكى وقال فى ترجمته : صدوق ان شاء الله . قال النسائى ليس بالقوى . ثم ذكر بعد ترجمته : عبد الله بن عطاء بن ابراهيم مولى الزبير وقال

شيخ لمحمد بن اسحاق قال يحيى بن معين لاشيء . فتعين بذلك ان مولى الزبير غير الطائفى وايضا لم يذكر الحافظ فى شيوخ الطائفى امه ولا جدته ولا فى الرواة عنه محمد بن اسحاق فكل ذلك يدل على انهما اثنان .

ثم ذكرتم فى التعليق على هذا الحديث ما نصه : (أم عبد الله بن عطاء لم أعرف من هى ولم يذكرها الحافظ فى « التعجيل » ولا فى « الاصابة » وهى صحابية لأنها كانت مع أم عطاء فى هذه الحادثة فى حجة الوداع كما هو نص هذا الحديث) الى آخر ماذكرتم .

ونص كلامكم يدل على أن هذه الواقعة ـ اى اتيان الزبير على بغلة واخباره بالنهى عن أكل لحوم النسك فوق ثلاث ـ كانت فى حجة الوداع . وهذا ايضاً وهم من الأخ الكريم لأن النهى عن امساك لحوم الأضاحى كان بالمدينة من أجل الدافة التى دفت ثم نسخ ذلك الحكم كما هو معروف فى الأحاديث . وجاء التصريح بانه صلى الله عليه وسلم لما نهى عن امساك لحوم الاضاحى بعد ثلاث سأله الناس فى العام المقبل قالوا يارسول الله نفعل كما فعلنا فى العام الماضى . قال : كلوا وأطعموا وادخروا فان ذلك كان بالناس جهد . متفق عليه . ووقع فى حديث ابى سعيد عند مسلم ان رسول الله قال يا أهل المدينة لا تأكلوا لحوم الأضاحى فوق ثلاثة أيام فشكوا اليه ان لهم عيا لاً وحشماً وخدماً فقال كلوا وأطعموا واحبسوا وادخروا . وأخرج احمد وغيره عن خبيشة مرفوعاً انى نهيتكم عن لحوم الاضاحى فوق ثلاث كيا تسعكم فقد جاء الله بالخير فكلوا وتصدقوا وادخروا فان هذه أيام أكل وشرب وذكر الله . وفى الصحيحين عن عائشة انما نهيتكم لاجل الدفة التى دفت عليكم فكلوا وتصدقوا وادخروا .

فكل ذلك يا أخى يدل على ان النهى عن الادخار كان بالمدينة دون حجة الوداع وليس كما ظننتم وكذلك ظاهر حديث المسند عن الزبير يدل على ان الزبير اتى أم عطاء وأم عبد الله بن عطاء على بغلة بالمدينة لا فى حجة الوداع كما قلتم فأخبرهم بالنهى عن أكل لحوم النسك فوق ثلاث ولم يأت فى رواية قط انه ﷺ نهى عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاث فى حجة الوداع وقد عاش النبى صلى الله عليه وسلم بعد حجته فوق شهرين .

هذا ما بدا لى وأردت الاشارة به وأسأل الله لنا ولكم العفو والعافية وان يجمع بيننا وبينكم فى الجنة حيث النعيم المقيم والسلام » .

قال ابو تراب : ولم يجتمع أبى بعد هذا الكتاب بالشيخ احمد شاكر فكان ذلك الكتاب وداعاً منه جمع الله بينهما فى الجنة كما دعا وسأل .

* * *

تعقب ناشرى إكمال الحسينى

قال أبو تراب :

وقع بيدى قبل أعوام كتاب طبع فى الهند عُنْوِنَ بكتاب « خصائص المسند » لأبى موسى المدينى ، فلما أجلت فيه باصرتى فاذا هو يترجم لرجال (المسند) ممن ليس فى (التهذيب) ولا هو من رواة الستة وربما لا توجد ترجمته فى (التعجيل) وعرفت ذلك أيام كان والدى يجمع تراجم رجال أحمد فى كتاب له موضوع فى هذا .

فعجبت من ان عنوان الكتاب لايطابق موضوعه لكنى كنت فرحا بظفرى بجزء فى رجال المسند لايعرفون فى أكثر كتب التراجم التى هى موجودة عند الناس ؛ وكنت أرى ان الخطأ من نسخة الأصل عُنْوِنَ « بالخصائص » التى هى فى آخر الكتاب كما يتضح ذلك من المطبوع المصرى من كتاب « الخصائص » نشره الخانجى وهو عندى .

حتى قال لى أبى ذات مرة انه يشبه ان يكون هذا الكتاب هو (الاكمال) للحافظ الدمشقى الذى يرد ذكره فى النقول عنه وهى تتفق عند ابن حجر ونصوص الكتاب .

وأتيت بالنسخة من الهند فلما حططت عصا التسيار بمكة اصبحت اختلف على مكتبة الحرم المكى وكان فيها مديرها الودود صديقنا الأديب عبدالله فدا والسيد احمد عبدالله دحلان وهما من خيرة صحبى رحمهما الله وبقيت أعمل بها

مدة الى ان اجتمعنا بصديقنا الوقور العالم الفاضل الشيخ سليمان الصنيع رحمه الله فكانت مجالسنا تحفل بالمذاكرة العلمية والتبادل الفكرى ، والصنيع فيه روح طلب العلم تَأَطَّمَ عليه بنان جوده فأغناه وتهدلت له ثمار عوده فأرضاه فلذلك استقر بيننا الوداد وانبثق مزنه بهواطل رفده ووَهَتْ عزاليه بجزائل اكرامه غير أنه ضنين بكتبه على من يقبح بالقالة ويناز بالجهالة صوناً منه لعزتها وحرصا منه على نفاستها ؛ والله يعلم انه مابخل عليّ بكتاب أردت الاطلاع عليه ولا بكراسة انتويت استنساخها منه وربما أتانى بكتبه يتأبطها رغبة منه فى خدمة العلم فالصنيع لدىّ محمود الصنيع عارى الدثار عن الشنار وله العذر ان حبسها عمن يستعيرها ثم يجحدها أو يأخذها فيضيعها بالاهمال كأنه يرميها عن قوس عابثة ليبيت الصنيع « أندم من الكسعى » .

وذات مرة ذكرت لهذا العالم الكريم ماكان فى نفسى من أمر الكتاب المذكور وحملت اليه النسخة ليطلع عليها فأخرج لى ورقة كان قد كتبها بشأنه قبل ان يرانى او يسمع منى ماحاك فى صدرى فاذا فيها تحقيق حسن فى أمر الكتاب فأمرت صديقى عبدالغفور الاندجانى سكرتير المكتبة ودوادارها آنذاك لينسخها لى فهى موجودة لدى بخطه الى الآن احتفظ بها بين أوراقى لفائدتها .

واذ قد عثرت عليها اليوم مصادفة فانى اثبتها هنا فان هذا بابها واليكم نصها : (من خط الشيخ الفاضل الأستاذ سليمان الصنيع وهو ابن عبدالرحمن نزيل مكة واحد علمائها)

« بسم الله الرحمن الرحيم يقول سليمان بن عبدالرحمن الصنيع أعلم ايها المطلع على هذا الكتاب ان الذين قاموا بنشره ليس لهم معرفة بعلم الحديث وفنونه

او على الأقل لم يعرفوا هذا المؤلف ولا مؤلفه ولم يتوجهوا للبحث والتنقيب او السؤال من اهل المعرفة ليقفوا على حقيقة الكتاب واسم مؤلفه ذلك انهم نسبوا الكتاب الى ابى موسى المدينى واسموه « خصائص المسند » كما ترى ذلك على طرة الكتاب والحقيقة ان اسم هذا الكتاب هو« الاكمال بمن فى مسند الامام احمد من الرجال ممن ليس فى تهذيب الكمال » ومصنفه هو الحافظ شمس الدين ابوالمحاسن محمد بن على بن الحسن الحسينى الدمشقى المتوفى سنة ٧٦٥ والدليل على ذلك مايأتى :

١ ـ ان ديباجة هذا الكتاب تنادى بأوضح عبارة ان المؤلف من تلاميذ الحافظ ابى الحجاج المزى المتوفى سنة ٧٤٢ والحسينى من تلاميذه .

٢ ـ ان ابا موسى المدينى ولد سنة ٥٠١ وتوفى سنة ٥٨١ فلايمكن ان يكون تلميذا لأبى الحجاج المزى المتوفى سنة ٧٤٢ وبينهما مفاوز تنقطع فيها اعناق المطايا .

٣ ـ ان خصائص المسند لأبى موسى المدينى هو الذى فى آخر الكتاب وقد ذكر سنده باحضار والده له وسماعه للمسند سنة ٥٠٥ والمزى توفى سنة ٧٤٢ .

ـ فكيف خفى على الناشرين ذلك ولم يتنبهوا له على ان « خصائص المسند » قد سبق نشره فى مصر سنة ١٣٤٧ عن أصل صحيح ومعه « المصعد الأحمد فى ختم مسند الامام احمد » لشمس الدين ابن الجزرى .

٤ ـ ان الناشرين لهذا الكتاب لم يعتنوا بتصحيحه ومقابلته على كتب الرجال فلو قابلوه على كتاب « تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة » لخرج الكتاب الغالب عليه الصحة بل لظهر لهم اسم مؤلفه وعلموه حقيقة .

٥ ـ ان الحافظ شمس الدين أباالمحاسن محمد بن على الحسينى له كتاب « التذكرة بمعرفة رجال العشرة » ثم أفرد منه هذا الكتاب « الاكمال بمعرفة من فى مسند الامام احمد من الرجال ممن ليس فى تهذيب الكمال » وبمقابلة هذا الكتاب على نقول الحافظ ابن حجر عنه نجدها مطابقة له حرفيا . وكتبه محققة سليمان الصنيع فى ٢٨/٤/٧١هـ »

(قال ابوتراب : بلغ العراض بقراءة الصنيع على أصله) ولله الحمد .

انتهى بنصه ..

* * *

تصحيح موضع بطريق بدر

قال أبو تراب :

جاء فى المغازى فى غزوة بدر ان رسول الله (ﷺ) اتصل به أن عيرا لقريش عظيمة فيها أموال مقبلة من الشام الى مكة فيها ثلاثون رجلاً من قريش عميدهم ابوسفيان (وقيل اربعون رجلاً) فَنَدَبَ رسول الله ﷺ الى هذه العير وأمر من كان ظهره حاضراً بالخروج ولم يحتفل فى الحشد لأنه انما قصد العير ولم يقدّر انه يلقى حرباً ولا قتالاً ؛ فاتصل بأبى سفيان ان رسول الله ﷺ خارج اليهم فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى اهل مكة مستنفراً لهم الى نصر عيرهم فنفر اهل مكة ولم يتخلف الاّ ابولهب ونَفَر سائر أشرافهم وأوعبوا .

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة لثمان خلون من رمضان من السنة الثانية من الهجرة واستعمل على المدينة عمروبن ام مكتوم على الصلاة بالمسلمين ثم ردّ أبالبابة من الروحاء واستعمله على المدينة (انظر الواقدى ص ١١ وابن هشام ج٢ ص٢٥٧ وابن سعد ج٢ ق١ ص٦ والطبرى ج٢ ص٢٦٧ وأنساب الأشراف ج١ ص١٣٥ وابن سيد الناس ج١ ص٢٤١ وابن كثير ج٣ ص٢٥٦ وزاد المعاد ج٢ ص٢١٦ والبخارى ج٥ ص٧٢) .

وبعد ذلك سلك رسول الله ﷺ على نَقْب المدينة الى العقيق الى ذى الحليفة الى ذات الجيش الى حُربان الى مَلَل الى غميس الحمام من مَرِّيَيْنْ الى صخيرات اليمام الى السيالة الى فَجّ الروحاء الى شنوكة إلى عِرْق الظُّبية ونزل سَجْسَج وهو

بئر الروحاء وسلك على النازية يريد بدرا فسلك رُحْقان بين النازية ومضيق الصفراء ثم أخذ ذات اليمين على وادى ذَفِران ثم سلك على ثنايا يقال لها الأصافر الى الدَبَّة ونزل الحَنَّان ثم نزل قريباً من بدر .

هذه هى المواضع التى مر بها الرسول الكريم ولقد جمعتها مضبوطة بعد كل تعب وعناء . والوهم هنا فى مواضع أولها موضع (يَينْ) فقد غلط ناشرو السيرة (طبعة الحلبى) سنة ١٩٣٦م ففيها فى خبر بدر (مُرْيَينْ) كأنه تثنية مُرْى وفى غزوة لحيان (ج ٢ ص ٢٩٢) كتب (بينُ) بالباء المكسورة نقلاً عن ياقوت مع ان المكانين واحد وللتحقيق انظر الكلام على (بَينْ) فى التاج والسمهودى (ج٢ ص٣٩٣) والصواب انه (يَينْ) بياءين مفتوحة ثم ساكنة ثم نون وليس فى كلام العرب مافاؤه وعينه ياء غيره ، وضبطه الصغانى بفتح اليائين قال نصر : (يَينْ) وادٍ به عين من اعراض المدينة على بريد منها وهى منازل اسلم من خزاعة ويضاف اليه مَرُّ فيقال مَرُّ يَينْ كما يقال مَرُّ الظهران .

* * *

تعقب الشيخ أحمد الغزاوى

قال أبو تراب :

الأدب العربى القديم فى هذا العصر رَمَتْه الأيام عن هجارسها وتكشفت له عن عمائسها ونالته صاخة شدّاخة حتى لكأنك لا تكاد تُلفى واحداً من ابنائه المنتسبين اليه من المتأدبين يُثنى عليه بكلمة عَجْلَى أو يشيد بمذخوره بحرف مادح فكأنه اليوم أوابد يتخذها الناس هزءاً ويتفكهون بها ساخرين لا متظرفين ؛ لكن من تمام نعمة الله على وُعاة هذه الأمة من علمائها ان حفظ لهم التراث العربى من ان تعبث به أيدى الضياع الاّ ما شاء الله وقيض لرعايته فى كل زمان أفاضل لا تعروهم لكنة ارتاج ولا فهاهة العىّ وبعث حملة العلم يحفظون رواياته ويرون على كل من أخطأ فيها تأديةً لأمانة العلم لئلاّ يتسرب اليه الخلط فسنحت لهم سهوله ولم تجمح بهم أوعارها .

ومن أولئك المحافظين على الأثر الطيب والفصحى الخالصة والنسيج القديم الجميل شاعرنا الشيخ المحنك احمد بن ابراهيم الغزاوى أمتع الله بأدبه الرصين القوى فهو مثال لظرفاء الأدب القدامى لم تَثْن عزائمه المناصب ولا الرتب العالية عن خدمة اللغة والتثقف بقوامها .

قلمه ترجمان الهمة وفارس الجولة مَهَر وبَهَر ولَزَّ فى قَرَن المساجلة مَنْ شَهَر حتى إذا سكنت الزماجر جال فى حلبة القريض والترسل يفضّ لطائم النظم والنثر فلا نجد صفوه قد شِيْبَ ولا بيانه الاّ هِيْبَ وحسبه ان نعته شرّق وغرّب

وقويم نهجه بان وزان فَلْيَهْنِهِ فوزه بمفاخر تأثّلت ومعاظم تألفت .

سيّـد قُلَّـبٌ سبـوق مُبِرٌّ فطـن مُغـرب عزوف عيوف
مخلف متلف أغـر فريد نابـه فاضـل ذكى أنوف

ولست عن الحق أميل ولا عن قوس مُنْقَدَّةٍ أرمى إذ أقول : أنى لأجد ريح اللسان العربى فى نظامه ونثاره لولا ان تفنّدون ولنعم ما قيل :

شقـا شقـه مَخْشِيَّـةٌ وشباته شَبَـا مَشرْ فىّ جاش للشعـر شاهره
شَأى الشعـراء المشمعلّـين شعره فشانيـه مشجـوٌ الحشـا ومشاغره
ويشـدو فيهتَشُّ الشحيـح بشدوه ويشغفـه إنشـاده فيشاطره
شفـا بالأناشيـد النشـاوى وشفّهم فمشفيّه مُشْفـىً وشاكيـه شاكره

هذا الأديب الكريم عثرت له على وهم هو موضع بحثنا اليوم ؛ لقد كتب فى مجلة « المنهل » (ج ٧ ع ٢١) بعنوان « شذرات الذهب » حديثا عن أبـى هريرة مرفوعاً وقف عليه فى مسند الامام أحمد ونصه : من أدرك من الفجر ركعةً قبل ان تطلع الشمس فقد أدركها . ثم ذكر الأستاذ الكبـير فى تعليقه على الحديث : ان هذه الفريضـة ورد فيهـا : لو علمتـم ما فى العتمـة لأتيتموهـا ولو حَبْواً .

قال ابو تراب : وهذا أشنع خطأ وقع فيه الأستاذ فان العتمة ليست هى صلاة الصبح بل هى صلاة العشاء الآخرة ؛ وفى صحيح الامام البخارى (ج ١ ص ٧٨ طبعة بولاق) : عن ابى هريرة قال لو يعلمون ما فى العتمة والفجر ؛ وهذا يفسر بأن العتمة غير الفجر . قال البخارى والاختيار ان يقول العشاء يعنى بدل العتمة لقوله تعالى (ومن بعد صلاة العشاء) ويذكر عن ابى موسى قال كنا

نتناوب النبى ﷺ عند صلاة العشاء فأعتم بها وقال ابن عباس وعائشة : عتم النبى ﷺ بالعشاء . وقال حدثنا عبد ان قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا يونس عن الزهرى قال سالم أخبرنى عبد الله قال صلى بنا رسول الله ﷺ ليلةً صلاة العشاء وهى التى يدعو الناس العتمة الخ .

قال ابو تراب : أمّا حديث ابى هريرة الذى نقله الأستاذ وعزاه الى المسند فقد أخرجه أيضاً مالك فى الموطأ والبخارى ومسلم وابو داود ﷺ الترمذى والنسائى ويروى عن عائشة أيضاً وروايتها فى سنن النسائى .

وأمّا الأحاديث الدالة على ان صلاة العشاء هى العتمة فقد روى فيها عن عائشة وابن عباس وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى ؛ وعن ابن عمر وأخرجه البخارى ومسلم وابو داود والنسائى ؛ وعن معاذ بن جبل وأخرجه ابو داود وعن أبى سعيد الخدرى وأخرجه ابو داود والنسائى وعن ابى موسى الأشعرى وأخرجه البخارى ومسلم وعن جابر بن سمرة وأخرجه مسلم وفيها تصريح بأنّ صلاة العتمة هى صلاة العشاء وبالله نتأيد .

***

الإستدراك على محمد محيي الدين عبد الحميد

قال أبو تراب :

كتبت قبل أيام فى جريدة « البلاد » اتعقب الأستاذ القسطى على استعماله (ثنى) مكان مثنى وثناء لأن المعدول التحقيقى من العدد وزنه مفعل وفعال وقلت جاء من هذا الى رباع على التحقيق وعشار ايضا مسموع وأمّا ما عدا ذلك فقياس وقوم ادعوا فيه السماع ايضا .

والبيت الذى أنشدته شاهدا هو من قول الكميت ذكره الرضى فى شرح الكافية لكن العجب غفلة الأستاذ الكبير محمد محيى الدين عنه فى تعليقه على أدب الكاتب وها نحن أولاء اليوم نستدرك على الشيخ العلاّمة مكملين بذلك البحث الذى شرعنا فيه مع ذكر ما جاء فيه من الشواذ والنوادر وأقوال العلماء .

قال ابن قتيبة فى كتاب الأبنية ص ٤٣٩ : وهو عشر الشىء فان فتحت العين قلت عشير فزدت ياء وكذلك ثمين وخميس وثليث ونصيف فى الثمن والخمس والثلث والنصف . قال ابو زيد وتسيع وسبيع وسديس وأنكر خميس وثليث قال الشاعر : فما صار لى فى القسم الاّ ثمينها

وقال آخر : لم يغذها مد ولا نصيفه

قال ابو تراب : ومن العشير قول حسان المحفوظ لدينا :

وما بلغت منى المديح عشيره ولكن نفسى بعض ما فيه تحمد

وأما قوله : (فما صار لى فى القسم الاّ ثمينها) فهو ليزيد بن الطثرية وأوله : (فألقيت سهمى وسطهم حين أوخشوا) وقبله :

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم ... له عند ليلى دينة يستدينها

وقال الدينورى : ويقال أحاد وثناء وثلاث ورباع كل ذلك لا ينصرف ولم نسمع فيما جاوز ذلك شيئا على هذا البناء غير قول الكميت : (... خصالاً عشارا) وأجرى هذا المجرى وأنشد لصخر السلمى :

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا ... وتركت مرة مثل أمس الدابر

ويقال مثنى كما قيل موحد ولا ينون لأنه معدول قال الشاعر :

ولكنما أهلى بواد أنيسه ... ذئاب تبغى الناس مثنى وموحد

قال البطليوسى فى شرح أدب الكتاب الصواب : (وتركت مرة مثل أمس المدبر) كذا أنشده ابو عبيدة فلعل التصويب من جهة الرواية ومرة قبيلة .

قال ابو تراب : وقوله : (ولكنما أهلى بواد أنيسه) الخ هو من شعر ساعدة بن جؤية يرثى ابن عمّ له وقبله :

ولو ان ما قد حم قد كان واقعا ... بجانب من يحفى ومن يتودد

وموضع التحقيق هنا فى هذا النقل قول الكميت (... خصالا عشارا) أنشده ابن قتيبة هكذا وترك محمد محيى الدين ثمة أصفاراً ولم يهتد الى الشطر بكماله ولا البيت بأسره فشق علينا ذلك وقد كنا أنشدناه فى تعقبنا الأستاذ القسطى على الوهم الذى وقع فيه كاملا وهو موجود فى شرح الرضى حيث يقول ج ١ ص ٣٦ وقد جاء فعال ومفعل فى باب العدد من واحد الى أربعة اتفاقاً وجاء فعال من عشرة فى قول الكميت :

ولم يستـر يشـوك حتـى رميت فوق الرجـال خـصـالا عشارا

والمبرد والكوفيون يقيسون عليها الى التسعة نحو خماس ومخمس وسداس ومسدس والسماع مفقود بلى يستعمل على وزن فعال من واحد الى عشرة مع يائى النسب نحو الخماسى والسداسى والسباعى والثمانى والتساعى .

قال ابو تراب : وقرأنا فى شرح المفصل لابن يعيش ج ١ ص ٦٢ بعض البيت المذكور ولم يكمله ولم يشر الى تكملته ولا إلى شرحه جماعة العلماء الذين قاموا بتحقيق الكتاب قال ابن يعيش :

وأمّا المعدول فى حال التنكير فنحو أحاد وثلاث ورباع وما كان منها نكرات بدليل قوله تعالى « أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » فمثنى وثلاث ورباع فى موضع الصفة لأجنحة وهى نكرة قال الشاعر :

ولـكنما أهلى بواد أنيسه ذئاب تبغى الناس مثنـى وموحد

فأجراه وصفا لذئاب وهو نكرة وصفة النكرة نكرة والمانع له من الصرف على هذا الوصف والعدل عن العدد المكرر فأما الوصف فظاهر وأما العدل فالمراد بمثنى اثنين اثنين وكذلك ثلاث ورباع فالعدل هنا يوجب التكرير فاذا قال جاء القوم ثلاث ورباع فمعناه انهم تحزبوا وقت المجىء ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وقالوا موحد كمثنى ومثلث فأما مثلث ومربع الى العقد فقياس ولم يسمع ونظير ثلاث ورباع فى الصفة والوزن أحاد وثناء وقد سمعا قال الشاعر :

منـت لك ان تلاقينـى المنايا أحـاد أحـاد فى شهـر حلال

وأما ما وراء ذلك الى عشار فغير مسموع والقياس لا يدفعه على انه قد جاء فى شعر الكميت (خصالا عشارا) .

فان سمي رجل بمثنى وثلاث ورباع ونظائرها انصرف في المعرفة فتقول فيه هذا مثنى وثلاث بالتنوين لأن الصفة بالتسمية قد زالت وزال العدل ايضا لزوال معنى العدد بالتسمية وحدث فيه سبب آخر غيرهما وهو التعريف فانصرف لبقائه على سبب واحد فان نكرته بعد التسمية لم ينصرف على قياس قول سيبويه لأنه أشبه حاله قبل النقل وينصرف على قياس قول ابى الحسن لخلوه من سبب البتة .

وحكى ان ابن كيسان قال قال أهل الكوفة مثنى وموحد بمنزلة عمر وان هذا الأسم معرفة فاذا سميت به رجلا لم ينصرف كما لم ينصرف عمر اسم رجل .

قال ابو تراب : والسبب الثاني في المعدول العددى من أسباب منع الصرف الصفة عند سيبويه .

قال ابن هشام في شذور الذهب ص ٥٥٢ : ومثاله مع الصفة أحاد وموحد وثناء ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع فانها معدولة عن واحد واحد واثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة قال الله تعالى « أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » فهذه الكلمات الثلاث مخفوضة لأنها صفة لأجنحة وهي ممنوعة الصرف لأنها معدولة عما ذكرنا فلهذا كان خفضها بالفتحة ولم يظهر ذلك في مثنى لأنه مقصور وظهر في ثلاث ورباع لأنهما اسمان صحيحا الآخر .

وقال في قطر الندى ص ٣٢٣ : والواقع في الصفات ضربان واقع في العدد وواقع في غيره فالواقع في العدد يأتي على صيغتين فعال ومفعل وذلك في الواحد والأربعة وما بينهما تقول أحاد وموحد وثناء ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع .

قال النجاري رحمه الله لا تتجاوز العرب الأربعة فهذه الألفاظ الثمانية

معدولة عن ألفاظ العدد الأربعة المكررة لأن أحاد معناه واحد واحد وثناء معناه اثنان اثنان وكذا الباقي قال الله تعالى « أولى أجنحة مثنى وثلاث وربـاع » فمثنى وما بعده صفة لأجنحة والمعنى والله أعلم أولى أجنحة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وأما قوله ﷺ صلاة الليل مثنى مثنى فمثنى الثانى للتأكيد لا لافادة التكرار لأن ذلك حاصل بالأولى .

قال ابو تراب : وقد تقدم فى كلام ابن يعيش انه لم يسمع مثلث ومربع الى العقد ولم ينبه على ذلك ابن هشام وجاء فى القاموس ص ٣٨٣ ج ١ جاؤوا أحاد أحاد وفى ص ٣٣٤ ج ١ جاؤوا فـراد فراد ولم يقل المجد ان اللفظ الثانـى للتأكيد لا لافادة التكرار كما شرحه ابن هشام ووقع فى نسخ القاموس فى بعض معدول العدد تنوينه بالشكل وهو تحريف .

قال ابن هشام فى أوضح المسالك ج ٢ ص ١٥٣ : وأما العدل فنوعـان أحدهما موازن فعال ومفعل من الواحد الى الأربعة باتفاق وفى الباقى على الأصح وهى معدولة عن ألفاظ العدد الأصول مكررة فأصل جاء القوم أحاد جاؤوا واحدا واحدا وكذا الباقى ولا تستعمل هذه الألفاظ الاّ نعوتا نحو أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع أو أحوالا نحو « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » أو أخباراً نحو صلاة الليل مثنى مثنى وانما كرر لقصد التوكيد لا لافادة التكرير .

وقال الجامى فى الفوائد الضيائية ص ٣٥ : الدليل على أصل ثلاث ومثلث ان فى معناهما تكراراً دون لفظهما والأصل انه اذا كان المعنى مكررا يكون اللفظ ايضا مكررا كما فى : « جاء القوم ثلاثة ثلاثة » فعلم ان أصلهما لفظ مكرر وهو

ثلاثة ثلاثة وكذا الحال فى أحاد وموحد وثناء ومثنى الى رباع ومربع بلا خلاف وفيما وراءها الى عشار ومعشر خلاف والصواب مجيئها والسبب فى منع صرف ثلاث ومثلث واخواتهما العدل والوصف لأن الوصفية العرضية التى كانت فى ثلاثة ثلاثة صارت أصلية فى ثلاث ومثلث لاعتبارها فيما وضعا له .

قال ابو تراب : والخلاف قائم فى مثلث ومربع على وزن مفعل ولم يتنبه له الجامى وغفل عنه الكثير من النحويين ولكنه وارد فى المعاجم ونص ابن يعيش على انهما قياسيان والعدل عند الكوفيين وزنه فى العدد مثنى وثلاث اى مفعل وفعال كما فى الموفى ص ١٦ للكنغراوى .

قال ابن مالك فى الكافية الشافية ص ٨١ :

ومنعوا انصراف وَزْنٍ عدلا	**الى فُعال أو مُضاهٍ مَفْعلا**
فى عدد من واحد صيغا الى	**أربعة ومخمسا زد ناقلا**
كذا عُشاراً نقلوا ومعشرا	**ونقل غيره أراه منكرا**
وقاس أهل الكوفة البواقى	**ورأيهم يرى ابو اسحاق**

وقال ايضا فى الألفية :

ومنع عدل مع وصف معتبر	**فى لفظ مثنى وثلاث وأخر**
ووزن مثنى وثلاث كهما	**من واحد لأربع فليعلما**

قال ابن عقيل فى شرحه ج ٢ ص ٢٥٥ :

وسمع استعمال هذين الوزنين أعنى فعال ومفعل من واحد واثنين وثلاثة وأربعة نحو أحاد وموحد وثناء ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع .

قال وسمع ايضا فى خمسة وعشرة نحو خماس ومخمس وعشار ومعشر وزعم

بعضهم انه سمع ايضا فى ستة وسبعة وثمانية وتسعة نحو سداس ومسدس وسباع ومسبع وثمان ومثمن وتساع ومتسع .

قال السيوطى فى البهجة المرضية ص ١٥٠ :

وسمع ايضا خماس ومخمس وعشار ومعشر وأجاز الكوفيون والزجاج القياس عليهما وساق الأمثلة قال ابو تراب وهذا من النصوص النادرة عندى .

والصواب عندى والله أعلم ان القياس سائغ لكن السماع لم يقع الاّ فى واحد واثنين وثلاثة وأربعة وعشرة على وزن فعال ومفعل وفيها وفى خمسة على وزن مفعل فقط وقول ابن يعيش انه لم يسمع مثلث ومربع غريب .

قال ابن الناظم فى شرحه ص ٢٣٤ :

المعدول فى العدد سماعاً موازن فعال من واحد واثنين وثلاثة وأربعة وعشرة وموازن مفعل منها ومن خمسة نحو أحاد وموحد وثناء ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع ومَخْمَس وعشار ومعشر وأقل هذه الأمثلة استعمالا الثلاثة الأواخر ولذلك لم ينبه عليها انما نبه على ما قبلها بقوله : (ووزن مثنى وثلاث كهما من واحد لأربع) أى الى أربع فعلم ان الألفاظ الأربعة يبنى منها للعدل مثال فعال ومفعل . وأجاز الكوفيون والزجاج قياسا على ما سمع خماس وسداس ومسدس وسباع ومسبع وثمان ومثمن وتساع ومتسع ولم يرد ما سمع من ذلك الا نكرة ولم يقع الاّ خبراً كقوله ﷺ صلاة الليل مثنى مثنى أو حالا كقوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » أو نعتا كقوله تعالى « أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » ومثل ذلك عند سيبويه قال الشاعر :

ولكنما أهلى بواد أنيسه ذئاب تبغى الناس مثنى وموحد

ولك ان تحمله على معنى بعضها مثنى وبعضها موحد

قال ابو تراب : الرواية فى البيت (مثنى وموحد) كما أورده غير واحد ولكن جاء فى أدب الكاتب (مثنى وموحدا) ولم ينبه عليه الشيخ محمد محيى الدين وذهب ابن الناظم الى ان ابن مالك لم يذكر ما بعد رباع لقلة الاستعمال والحق انه صرح فى الألفية الكبرى بأنه منكر عنده كما ذهب اليه غيره ايضا وهذه فائدة .

قال ابو تراب : ومن الفوائد المهمة فى هذا الباب ما قرأنا فى الأشباه والنظائر للسيوطى ج ٢ ص ٣٠ قال قال ابن مكتوم فى تذكرته أنشد ابن خالويه فى كتاب ليس :

فما خليت الاّ الثلاثة والثنى ولا قيلت الاّ قريبا مقالها

وهو حجة لأنه أدخل تاء التأنيث على ثلاث المعدول وهو غريب .

وقال فى الأشباه ص ١٥١ ج ٢ : مذهب الجمهور ان باب مثنى وثلاث منع الصرف للعدل مع الوصفية وذهب الفراء الى ان منعها للعدل والتعريف بنية الاضافة ويبتنى على الخلاف صرفها مذهوبا بها مذهب الأسماء اى منكرة فأجازه الفراء بناء على رأيه انها معرفة بنية الاضافة تقبل التنكير ومنعه الجمهور .

أما قول الكميت الذي لم يكمله ابن قتيبه ولا ابن يعيش ولم يجده محمد محيى الدين عبد الحميد ووضع مكان الحذف نقطا تدل على الفراغ فهو :

ولم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا

أنشده الرضى فى شرح الكافية ج ١ ص ٣٦ كاملا وهو الشاهد الثانى والعشرون من الشرح من قصيدة الكميت يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقبله :

رجوك ولم يبلغ العمر سنك عشرا ولا نبت فيك اتغارا
لأدنى خسا أو زكا من سنيك الى أربع فبقون انتظارا

وبعده بيت الشاهد على ان عشار المعدول عن عشرة قد جاء فيه .

قال البغدادى فى الخزانة ج ١ ص ٨٣ فى تفسيره : يقول تبينوا فيك السؤدد لسنة أو سنتين من مولدك فرجوا ان تكون سيدا أميرا مطاعا رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين . وقوله ولا نبت فيك اتغارا اى أثغرت ولم تنبت أسنانك بعد فى الصحاح واذا سقطت رواضع الصبى قيل ثغر فهو مثغور فاذا نبتت قيل اتغر وأصله اثتغر فقلبت الثاء ثم أدغمت وان شئت قلت اثغر بجعل الحرف الأصلى هو الظاهر . وقوله لأدنى خسا أو زكا الخسا بفتح الخاء المعجمة الفرد والزكا بفتح الزاى المعجمة الزوج وخسا وزكا ينون ولا ينون والمعنى انهم رجوك ان تكون كذلك لأقل ما يعبر عنه بخسا وزكا وهو سنة أو سنتان الى ان صار لك أربع سنين فظهر للناس ما دلهم على ما رجوه منك .

* * *

غفلة الطحاوى والنجّار

قال أبو تراب :

خرج من تراثنا كتاب لأبى طالب المفضل بن سلمة بن عاصم من علماء القرن الثالث يسمى « الفاخر » حققه عبدالعليم الطحاوى رئيس تحرير مجمع اللغة العربية وراجعه محمد على النجار عضو المجمع اللغوى وطبع بدار احياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبى سنة ١٣٨٠هـ .

والكتاب نشر قبل ذلك بتحقيق المستشرق تشارلس أنبروس ستورى ونشرت منه قطعة بعنوان غاية الأدب فى معانى ما يجرى على ألسن العامة وفى أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب نشرتها مطبعة الجوائب ضمن مجموعة سنة ١٣٠١هـ .

وذكره ابن النديم فى الفهرسة والحاج خليفة فى كشف الظنون وهو غير كتاب الفاخر للفراء وكتاب الفاخر للمنذرى .

ومؤلفه تلميذ ابن الأعرابى وثعلب وابن السكيت وغيرهم وترجم عنه ابن قاضى شهبة فى الطبقات وابن خلكان فى الوفيات وياقوت فى المعجم والسيوطى فى البغية وابو الطيب فى المراتب والخطيب فى التاريخ وابن الجزرى فى غاية النهاية . وغير هؤلاء ممّن لا يحضرنى الآن ذكرهم .

وقد بذل محققا الكتاب جهدا كبيراً فى تحشيته نشكر لهما ذلك غير انه لم يخل من إغفال أو وهم أو سقط شأن كل كتاب مهما بذل فيه من الجهد أو صرف اليه

العنان وذلك من أعظم آيات الله فى خلقه وأكبر الدلالات على عجز الآدميين واستحالة احاطتهم بالعلم كله وفوق كل ذى علم عليم .

فى هذا الكتاب جاء قولهم : (ويل للشجى من الخلى) ص ٢٤٨ والشجى يكثر على ألسن الناس تشديد يائه وهكذا ضبطه المحققان المذكوران وهو خطأ ومصنف الكتاب لم يضبطه ولكنه أشار الى ضبطه بالاشتقاق ولم يتنبه له المعلقان .

قال المصنف يقال شجى الرجل يشجى شجىً اذا أصابه ذلك ثم كثر حتى صار الحزن شجى وقال سويد بن كاهل اليشكرى :

ويرانى كالشجى فى حلقه عسرا مخرجه ماينتزع

وقال الشجى الحزين والشجىَ والشجو الحزن يقال شجاه الهم يشجوه شجوا وقال كثير عزة :

شجا أظعان غاضرة الغوادى بغير مشيئة عرضاً فؤادى

ويقال ان اصل الشجى عُظيم يعترى الحلق فيغص صاحبه بالطعام والشراب وربما قتله .

قال ابوتراب : وقول المصنف ان الشجى من شجى يشجى على وزن بقى يبقى موح بأنه بالتخفيف لأن الناقص من هذا الباب يحذف منه آخره وهو على وزن فعل كحذر ووجل فهو شجٍ وتثبت ياؤه عند الاضافة وادخال اداة التعريف عليه شأنه فى ذلك شأن القاضى تقول قاضى الكوفة وزيد القاضى فهو قاض فكذلك الشجى وشجى القوم فهو شج ومما أواخذ المعلقين عليه ضبطهم الشجى فى كل المواضع بالألف هكذا : (الشجا) مع ان هذا شأن الواوى وهو يأتى وقد

أتى منه الواوى ولكن ليس هو اسم شجى يشجى وفرق بين الشجا بالألف وبين الشجى بالياء فان الأول ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه كما فى القاموس والثانى بمعنى الحزن من شجى يشجى والأول من شجا يشجو وقد يستعار هذا الحرف بمعنى الحزن لمناسبة بينهما وهى ان من اعترض فى حلقة العظم اوماشابهه فلابد ان يحزن ويغتم فلذلك تداخلت الصيغتان فوقع بسببه كثير من اهل اللغة فى خلط عجيب .

قال فى القاموس شجاه حزنه وطربه كأشجاه فيهما ضد وبينهم شجر وأشجاه قهره وغلبه وأوقعه فى حزن والشجو الحاجة .

قال أبوتراب : وأنت ترى مابين هذه المعانى من مناسبة وتعلق بعضها ببعض غير أن شجا يشجو متعد وشجى يشجى لازم فينبغى علم ذلك وهو مالم ينبه عليه الفاضلان المحققان .

وقال المجد شجى به كرضى شجى والشجى المشغول وشدد ياؤه فى الشعر وتشاجت تمنعت وتحازنت . وبهذا النص تعلم تخفيف ياء الشجى وانها لاتشدد الاّ للضرورة الشعرية .

قال ابن سيده فيما نقله عنه صاحب اللسان ج ١٩ ص ١٥٠ : الأعرف تخفيف الشجى .

وقال المبرد فى الكامل ج١ ص١٣٦ عند شرح ابيات للاعرابى يقول فيها :

شكوت فقالـت كل هذا تبرماً ... بحبـى أراح الله قلبـك من حبى

فلما كتمت الحب قالـت لشـد ما ... صبرت وماهذا بفعل شجى القلب

وأدنـــو فتقصينـــى وأبعــد طالبا ... رضاها فتعتـد التباعـد من ذنبى

فشكواى تؤذيهـا وصبـرى يسوءها وتجزع من بعدى وتنفر من قربى
فياقــوم هل من حيلــة تعرفونها أشيروا بها واستوجبوا الشـكر من ربى

قال المبرد وشجى القلب مخفف الياء ومن شددها فقد أخطأ والمثل ويـل للشجى من الخلى الياء فى الشجى مخففة وفى الخلى مثقلة وقياسه انك اذا قلت فعِل يفعَل فَعَلا فالاسم منه على فِعل نحو فرق يفرق فرقا فهو فرق وحذر يحذر حذرا فهو حذر وبطر يبطر بطرا فهو بطر فعلى هذا شجى يشجى شجى فهو شج يافتى كما تقول هوى يهوى هوى فهو هَوٍ يافتى .

وقال ابوهلال العسكرى فى جمهرة الأمثال ج٢ص٢٤٧ : الخلى من الخلو من الهم وياؤه مشددة وياء الشجى مخففة من شجى يشجى فهو شج وأجاز بعضهم تشديده وجعله من شجا يشجو فهو مشجو وشجى فعيل بمعنى مفعول .

قال ابوتراب : وهذا التأويل غير سائغ فى اللازم وقد تقدم ان شجا يشجو متعد فاذا جعلنا الشجى على وزن فعيل بتشديد الياء المدغم فيها الواو بعد قلبها ياء فهو لايخرجه عن تعديه الى مفعول واستعمل مفعوله على وزن مشجو فكيف نجعل شجيا على معناه بل هو بمعنى الذى يشجو غيره وليس هو بذى شجى والمشجو هو الذى شجاه غيره فأصيب بالشجى ولايصح جعل فعيل من المتعدى على مفعول لنسلب منه معنى التعدية مع ان مفعوله مستعمل بصيغته والأنسب من هذا ان نجيزه ضرورة للشعر لا ان نجعله مسلوب المعنى مردد اللفظ من دون ان يستقيم على قاعدة صرفية او معنى مقصود فى اللفظ المراد منه الفعل وهذا هو معنى قول التفتازانى فى المطول ان شجى واوى ويائى اى انه لازم ومتعد وكل

حرف بعدئذ يؤدى معناه ويستعمل بصيغه المعروفة لدى العرب .

وقد استعمل الشجى مخففا ابوالقاسم الحريرى فى المقامة الشتوية (المقامات ص ٣٧٢) فى قوله : وهو يلهو بنا لهو الخلى بالشجى ويقول ليس بعشك فادرجى ولفظ فادرجى يشعر بتخفيف الشجى لمراعاة السجع ووزن الكلمة فيه .

ومن اللحن فى الشعر ما جاء فى الشرح انه مستفاد من المثل السائر قال :

ويـل الشجـى من الخلى فانه   نصـب الفـؤاد بشجـوه مغموم

فقد استعمله مشددا . كما استعمل ابن الفارض هذه الكلمة بالتشديد فى بعض شعره من الديوان .

وراجع الشافية لابن الحاجب والمصنف لابن جنى والرضى .

* * *

تتبع «أبى كبشة»

قال أبو تراب :

ومتتبع السقطات كثيراً مايعثر على الغلط ؛ وهكذا كان فقد كتبنا عن أبى كبشة نتعقب فاذا بنا نقف على غلط فى اسم ابى كبشة الانمارى فهو سعد بن عمرو اوعكسه اى عمروبن سعد على اختلاف ولـكن وجـدت فى الخلاصة للخزرجى انه ابن عمر وهو خلاف مافى القاموس للمجد فانه اثبت ابن عمرو وصححه جمهرة من العلماء .

ووجدت أثناء تتبعى البراء بن قيس ذكره الخزرجى فى التمييز ص ٤٥٨ وقد فاتنى ذكره فى التذييل الذى كتبته على كتاب اسماء المغتالين وتعقبت فيه الأستاذ عبدالسلام هارون وقد نشر لى ضبط البراء مخففا فى أسماء تعرف عند المحدثين وهو مشدد فى غيرها وانفردت بنشر البحث الذى كتبته مجلة « الرائد » ولم أذكر ثمة البراء بن قيس هذا وهو ابوكبشة السكونى روى عنه أياد بن لقيط .

أما أبو كبشة الأنمارى فهو من رواة ابى داود والترمذى وابن ماجه وهـو صحابى يروى عنه سالم بن ابى الجعد وترجمته فى التهذيب ووجدته فى اسماء رواة الصحابة لابن حزم وله احد عشر حديثا .

وقال ابن عبدالبر فى الأنباه على قبائل الرواة ص ٨٥ : أنماربن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس منهم ابوكبشة وقد قيل ان اباكبشة من أنمار مذحج وذكر بطونها ابن حزم فى الجمهرة ص ٤٥٠ وهى قبائل قيس عيلان بن مضر .

ووجدت ام كبشة وكبشة من أصحاب الأفراد وهما فى فهرسة مسند بقى بن مخلد .

وأبو كبشة مولى رسول الله ﷺ شهد بدراً وكان هو وحمزة وزيد بن حارثة وأنسة يعتقبون بعيرا كما فى الجوامع لابن حزم ص ١٠٨ وقال ابن حزم فى السيرة ص ١١٥ فى تسمية أهل بدر ان اباكبشة فارسى . وذكره ايضا فى الموالى الأعجام الذين حضروها (ص ١٢٣) وهم ثمانية نفر . وابوكبشة كنية سليم او اوس الدوسى وام كبشة قضاعية .

وأبو كبشة السدوسى البصرى من رواة ابى داود يروى عن ابى موسى ويروى عنه عاصم الأحول . وابو كبشة ايضا من رواة البخارى وابى داود والترمذى والنسائى هو السلولى الشامى يروى عن ابى الدرداء وعبدالله بن عمرو وعنه ابو سلام ممطور ويوسف بن سيف وثقه العجلى وقال ابوحاتم لا اعلم انه يسمى .

وفى الشعراء لابن قتيبة (ج ١ ص ٣٣٥) فى ترجمة عمروبن معد يكرب الزبيدى انه كان له اخ يقال له عبدالله وأخت يقال لها كبشة فقتل عبدالله أخوه وأراد عمرو أخذ الدية فقالت كبشة شعراً تعيرّ فيه عمراً :

فان أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فمُشُّوا بآذان النعام المصلّم

ودع عنك عمراً انّ عمراً مسالم ... وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم

والأبيات فى الحماسة بشرح التبريزى ج١ ص ٢١٧ والبيت الأول فى اللسان ج ٨ ص ٢٣٩ وج١٥ ص ٢٣٣ وقال عمرو :

أعـــاذلَ شِكَّتـــى بدنـــى ورمحى وكل مقلّص سلس القياد
أعـــاذلَ انمـــا أفنـــى شبابى ركوبـــى فى الصريـــخ الى المنادى

وهذان البيتان من أبيات فى الأغانى ج١٤ ص ٣٢ والاصابة ج٥ ص ٢٠ والمرزبانى ص ٢٠٩ ولباب الآداب ص ١٨٢ .

وفى لباب الانساب لابن الأثير : احمد بن محمد بن الصباح الكبشى واحمد بن على بن نصر الكبشى ينسبان الى موضع يقال له كبش . وكبيش ايضا موضع يذكر فى كتب الأمكنة والمواضع . وكبشات اجبل بديار بنى نؤيبة بها ماء .

ويذكر المؤرخون فى أيام العرب يوم كبشة وليس مشهورا لأنه لم يذكره الميدانى وماوجدته الاّ فى النوادر وكبشة ايضا قُنَّة بجبل الريَّان .

وابو كباش كندى محدث .

وفى الخلاصة : ابوكباش ايضا بكسر اوله تابعى سلمى او عبسى مجهول من رواة الترمذى يروى عن ابى هريرة وعنه كدام بن عبدالرحمن .

وأثبتوا فى كتـب التراجـم : (ابوكبـاش العنسى) وأراه خطـأً والصـواب « العبسى » .

وكباش بضم اوله هو جد احمد بن محمد القصاب المحدث .

والكباش بتشديد الباء هو جعفر بن الياس وابن الكباش هو ابوالحسـين ذكرهما السمعانى فى الأنساب وكلاهما محدثان .

* * *

الرد على العقاد (٢)

قال أبو تراب :

عثرت على وهم للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى يومياته المنشورة بجريدة الأخبار القاهرية فى ٣ من ربيع الآخر سنة ٨١ هـ ولست ممن يتابعون مطالعة الصحف ولا من هواتها البتة ، ولكن وقع نظرى على ما قرأت مصادفة فافترصت ان أقيد الوهم الذى تورط فيه أديب عظيم ليستفاد منه وهو لا يعزب عن أذهان العلماء .

ذلك انه عزا الى رسول الله ﷺ القولة التى تلوكها الألسن : « خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء » يعنى عائشة .

قال ابو تراب : لقد أخطأ العقاد فى الجزم بنسبة هذا الحديث الى النبى ﷺ وكأنه لم يعلم انه لا يصح مرفوعا حتى قال الحافظ ابن الجوزى انه من الاحاديث الباطلة وقال السخاوى لا يصح وقال الحافظ ابن حجر لا أعرف له اسنادا ولا رأيته فى شىء من كتب الحديث .

وسئل عنه الحافظ أبو الحجاج المزى والحافظ شمس الدين الذهبى فلم يعرفاه .

وذكر ابن الاثير هذا الحديث فى النهاية فى الغريب ولم يذكر من خرجه ونقل طعن كثير من أئمة الحديث فى هذه الرواية الساقطة المجهولة حتى قيل ان كل حديث فيه لفظة « الحميراء » فهو متكلم فيه .

ورأيت اليوم ١٧ ربيع الآخر ٨١ هـ فى جريدة الأخبار ذاتها كلاما للعقاد يدافع فيه عن نفسه بعد أن أعترض عليه الشيخ محمود أبو رية بما قلنا زاعما انه لم يقع فى الغلط وحاول أن يثبت الحديث فلم يستطع وأنى يتسنى له ذلك وليس هو من رجاله ودونه خرط القتاد .

وان تعجب فعجب استناد العقاد فى اثبات الحديث الى كتاب لسان العرب حيث ورد فيه الحديث بلفظ « خذوا شطر دينكم الخ » فكأن لسان العرب عند العقاد مرجع دينى أو كتاب حديث يعول عليه ولعمرى انه كمن يطلب دواء الماليخوليا من النجار أو الحداد ولا أدرى كيف صح فى حسبان العقاد الاستاذ أن يكون كتاب لغة يحتج برواياته فى الديانةوفقه الاسلام أفلم يدر العقاد ان اللغويين والادباء ما أكثر ما يحشون كتبهم بالصحيح والسقيم من الروايات وانهم يوردون كل ما هب ودب لمجرد تعلقه بالباب وليس غرضهم بعد ذلك التمييز وانما هو الايراد المطلق لكل ما يتصل بالموضوع .

قال العقاد اننا نحتج بكتب اللغة وقال ابو تراب هذا صحيح لكن فى حدود اللغة ولا تؤخذ روايات اللغويين للحديث حجة دونما سند قوى وانما يحتج بنصوصهم فى اللغة فقط لان كتبهم موضوعة لتحقيق هذا المقصد ولم توضع لمعرفة الحديث فأما الاحاديث ونقدها وتصحيحها وتضعيفها والرجال وجرحهم وتعديلهم وتوثيقهم وتضعيفهم فلذلك كتب أخرى غير تلك وبها تتميز الاحكام ولهذا الفن رجال مختصون عنهم يؤخذ علمه فكما ان البقال لا يعرف صنعة الصيارف ولا الصيارف أسرارا لكيمياء فكذلك لا يعرف اللغوى ولا النحوى فن المحدث ولا أهل الحديث والحفاظ النقلة يعرفون علوم العربية وقوانينها اللهم الا من جمع

بين فنين أو أكثر كالشافعى وأمثاله من العلماء .

فكيف يمكن بعد ذلك أن نحتج برواية حديث ورد فى كتاب لغة ليس موضوعه نقد الحديث وانما جل هم مؤلفه ايراد ما يتعلق بالباب حسبما اشتهر وكيفما جاء ، وما أرى العقاد بعد ذلك الا يتشبث بأوهى الاسباب اذ يقول علم الحديث ليس حكرا على المحدثين والرواة فكأنه يريد أن يخرج من المأزق الذى احر نجم فيه .

ويقول العقاد أن عائشة كانت مرجع الصحابة فى أحكام الدين وقد روى الشيخان عنها مئة وأربعة وسبعين حديثا وأورد الترمذى انه ما أشكل على اصحاب رسول الله ﷺ حديث الا وجدوا عندها علما منه ويريد العقاد ان يثبت بذلك حديث « خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء » لانها عرفت بالعلم الجم الوفير الكثير ثم يريد أن يثبت انكارها على أن الميت يعذب ببكاء أهله .

قال ابو تراب : أما كون عائشة عالمة فهذا صحيح فانها كانت من أوعية العلم ولكن ليس معنى ذلك أنها لم تخطىء فى اجتهادها أو أنه لم يفقها أحد فى العلم كيف وقد غاب عن جلة أصحاب رسول الله ﷺ وهى منهم علم كثير وعاه غيرهم ولم تكن هى المرجع فقط فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ عشرات الالوف حفظ الحديث منهم أكثر من ألف وثلاث مئة صحابى وروى الفقه والفتيا عن أكثر من مئة وأربعين صحابيا وكان أبو بكر وعمر وعلى وابن عباس وزيد بن ثابت وغيرهم مراجع للعلم لكن الاستاذ غاب عنه ذلك فاستكثر على عائشة مارواه عنها الشيخان وهو اقل من مئتى حديث ولكن نقول للعقاد انها روت أكثر من ذلك ومن الصحابة من روى أكثر منها وقد غاب عنها اشياء

وعلمها غيرها وغاب عن أجلة الأصحاب أشياء حفظهن غيرهم ، ان عائشة روت ألفى حديث ومئتى حديث وعشرة أحاديث ولكن أبا هريرة روى أكثر من خمسة آلاف حديث وثلاثمئة حديث .

وروى عبد الله بن عمر أكثر من ألفى حديث وستمئة حديث وروى أنس بن مالك أكثر من ألفى حديث ومئتى حديث فان روت عائشة ما تقدم فهى أقل من هؤلاء الذين ذكرناهم دون شك .

وان كانت هى المفتية بالعلم فما فتاوى عمر وعلى وابن مسعود وابن عمر وزيد بن ثابت وابن عباس بأقل منها فهؤلاء هم المكثرون وهى فى العلم والرواية والفتوى كغيرها من الصحابة المكثرين وان استدركت عليهم فقد رد قولها فى كثير من المواضع وخطأها رسول الله ﷺ فى فهمها مسألة الحساب يوم القيامة ورد الصحابة قولها فى الاسراء وفى خبر الميت يعذب ببكاء أهله حيث أنكرته ورد قولها فى المسح وفى المشى فى الخف الواحد وغاب عنها غير ذلك مما حفظه غيرها .

والخبر الذى أنكرته صحيح وهى مخطئة فى انكارها والعقاد مخطىء فى تأييدها لأنه يخالف الصحابة والنص الثابت وسبب انكارها أنه وقع فى نفسها أن راوى الخبر لم يحفظ وانه وهم وليس ذلك بغريب فقد أنكر عمر خبر فاطمة بنت قيس وهذا ظن لا معنى له أن أطلق بطلت الأخبار كلها وان خص به مكان دون مكان كان تحكما بالباطل .

وقد وقع فى نفس ابن عمر فى آية نكاح الكتابيات انها منسوخة فمال الى تحريمهن جملة وغلب قوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » على الاباحة المنصوصة فى آية أخرى ، وتأول بعض الصحابة فى الحمر الأهلية انها انما حرمت

لانها لم تخمس وقال آخر منهم لانها تأكل العذرة وقال آخر منهم لأنها حمولة الناس ، وتأول قدامة فى شرب الخمر قول الله تعالى « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » .

وقد كان علم التيمم عند عمار وغاب عن عمر وابن مسعود وكان حكم المسح عند على وحذيفة وغاب عن عائشة وابن عمر وأبى هريرة وكان علم النهى عن المشى فى الخف الواحد عند أبى هريرة وغاب عن عائشة وكا ـ حكم الاذن للحائض أن تنفر قبل الطواف عند ابن عباس وأم سليم وغاب عن زيد بن ثابت وعمر .

واحتج العقاد فى اثبات حديث الحميراء بوروده فى كنوز الحقائق للمناوى بلفظ : « خذوا ثلث دينكم من هذه الحميراء » قال ابو تراب وعلى رغم جهالة السند واضطراب اللفظ هنا فهذا أيضا لا ينهض به الاستدلال لجهالة الرواية عند المحدثين كما اسلفنا ولا يثبت حتما مادام السند ساقطا مجهولا ولم يقل المناوى ولا احد من المحدثين انه ثابت وانما أورده للعلم به ولعل الاستاذ يغفل عن صنيع المحدثين هذا لانه ليس من شأنه .

وكثيرا مايورد المحدثون روايات موضوعة وأخرى لاسند لها للعلم بها وليس ايرادهم دائما للاحتجاج والاثبات كما يتوهمه الجهلة من الناس وما أكثر هذه الروايات الواهية أوهى من نسج العنكبوت فى جامع المناوى والجامع الصغير والكبير والدر المنثور والخازن وغيرها من الكتب المشهورة وضعها المؤلفون للعلم بها والنقد بعد ذلك للعلماء وهو شأنهم .

قال يحيى بن معين كتبنا عن الكذابين عشرين قمطرا ثم سجرنا بها التنور

وبهذا تعلم أن العلماء كانوا يعنون بتدوين هذه الروايات وقيدها لنقدها ومعرفة رواتها الضعفاء أو جهالة أسانيدها كما فعل ذلك غير واحد من قدامى المحدثين ومتأخريهم وقد أورد البخارى فى التاريخ أشياء لا تقوم بها حجة وأورد الخطيب فى التاريخ وابن عساكر كثيرا من الواهيات والف المحدثون كتبا فى الموضوعات .

فهذا مسند الفردوس للديلمى محشو كذبا ومردودا وضعيفا وساقطا ومقطوعا وما لا أصل له وهذه زيادات القطيعى فى مسند الامام احمد قال عنها ابن تيمية فى المنهاج انها باطلة وهذه فوائد البزار ومسند سعيد بن منصور ومعجم الطبرانى والسنن الكبرى للبيهقى وغيرها من كتب الحديث كلها تضم كثيرا من الروايات التى لا تصح ثم يميزها العلماء فاذا كان الحديث لا يكون حجة بمجرد وروده فى كتاب من كتب الحديث حتى يصح سندا ومتنا فكيف يكون حجة بوروده فى كتاب لغة كلسان العرب ورد فيه حديث الحميراء فاحتج به الاستاذ العقاد أو بوروده فى كتاب ككتاب المناوى أورد الغث والسمين وخلط صالحا وآخر سيئا كحاطب ليل ولا أدرى كيف يناقض العقاد نفسه اذ يقول اننا نستند الى أقوال ثقات اللغويين فى تحقيق الشواهد اللغوية ثم يعود فيحتج بايرادهم حديثا لم يثبت عند أهله وهو يعلم أن الأدباء ملأوا كتبهم بالسقيم والصحيح وهم لا يبالون بايراد كل ذلك لان همهم ينصب على الجمع لكل ما يقال ويروى دونما تمحيص أو نقد أو عراض على أصول الفن .

والشىء لا يؤخذ الا من أهله اذا أريد الوصول الى الحقيقة وبدون ذلك لا يتم المراد ، وعجبا فان العقاد يقول ان طعن المحدثين فى هذا الحديث لا يستطاع معه تكذيبه لأن سكوتهم عن السند لايدل على امتناع صحة الحديث

قال ابو تراب وهكذا يستطيع كل مصحح حديث موضوع بهواه ودعواه أن يقول هذا والعياذ بالله وكيف يصح ما لاأصل له ولاسند وأما المحدثون فلم يسكتوا كما يزعم الاستاذ بل قالوا انه لا يعرف له أصل ولم يقفوا على من رواه أو أخرجه وهم أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ ورواته تفرغوا له فكأن الله خلقهم له فاذا كان هؤلاء لايعرفونه فكيف يصح للعقاد أن يصحح حديثا بالظن وهو أكذب الحديث أما بعد فانا نطالب الاستاذ بسنده والا فلتسقط دعوى الثبوت والصحة .

قال أبو تراب : ان العقاد اراد اثبات حديث « خذوا نصف دينكم من عائشة » وانها لم تخطيء فى انكار عذاب الميت ببكاء أهله وكنا بصدد بيان أخطاء الصحابة واستدراك بعضهم على بعض وان العلم لم ينته الى واحد منهم قطعا .

فهذه عائشة أخطأت فى اشياء نعرفها ورد قولها الصحابة وهذا عمر لم يعلم أشياء حتى علمها من غيره وهذا أبو بكر خطأه رسول الله ﷺ وهذه قصة سبيعة الاسلمية دالة على أن رسول الله ﷺ كان يخطئهم ويردّ على بعضهم فى آرائهم واجتهادهم فكذلك كانت عائشة ونحن لا نأخذ بآراء الصحابة ولا أقوالهم الا اذا أيدتها السنن الصحيحة من أحاديث رسول الله ﷺ .

نعم لقد غاب عن علم عمر حكم الاستيذان ووعاه ابو موسى وأبو سعيد وأبى وكان حكم تحرير المتعة . عند على بن أبى طالب وغيره وغاب عن ابن عباس وكان حكم الاجلاء عند ابن عباس نسيه عمر سنين فلما ذكر ذكر فأجلى أهل الذمة ، وكان حكم الجدة عند المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة ولم يعلم أبو بكر وعمر وكان حكم ميراث الجد عند معقل بن سنان وغفل عنه عمر ولم تلتفت عائشة الى رواية أبى هريرة فى النهى عن المشى فى الخف الواحد حتى قالت

لأحنثنه ولم تعلم الرواية وابن عمر لم يلتفت الى رواية اجازة كلب الزرع وكان ذلك عند أبى هريرة محفوظا وما علمه معاوية فلم يلتفت الى رواية عبادة بن الصامت وأبى الدرداء فى النهى عن الفضة بالفضة بتفاضل يدا بيد .

كل ذلك لأنه وقع فى نفوسهم ان الرواة ربما وهموا كما قال عمر فى رواية فاطمة بنت قيس أن لا نفقة للمبتوتة ثلاثا : لاندع كتاب الله لكلام امرأة لاندرى لعلها نسيت وتوعد أبا موسى بضرب الظهر والبطن ان لم يأته بشاهد فى الاستيذان ولكن مع ذلك لا يترك الخبر لظن ظنه صحابى وقد غاب عن أجلتهم علم كثير حفظه غيرهم حتى كان عمر يقول ألهانا الصفق بالاسواق يعنى عن حمل ما حمله غيرنا من العلم .

وقد ذكرنا من قبل أن عائشة من هؤلاء الحفاظ للعلم حفظت وغاب عنها شىء وما غاب عنها حفظه غيرها وهاكذا كان العلم متداولا بينهم لم يكن قط وقفا على عائشة ولا غيرها ولا هى حفظت نصف العلم كما يزعم العقاد استنادا الى الرواية الباطلة .

أما قول العقاد بأن الصحابة كانوا يراجعونها فى المسائل فهذا صحيح ونقول أنهم كانوا يراجعون غيرها أيضا وقد رحل اليها بعض الصحابة لطلب العلم وكذلك رحل الى غيرها ايضا وأى شىء فى ذلك فقد راجع كبار الصحابة صغارهم وصغارهم كبارهم فى مسائل العلم رحل علقمة الى أبى الدرداء بالشام ورحل أبو أيوب الى عقبة بن عامر بمصر ولو أردنا أن نرسل عنان القلم لكتبنا فى ذلك شيئا كثيرا وليس كل ذلك يدل على المفاضلة التى يقيمها العقاد ولو أردنا لنقضنا قوله هذا بأثر ثابت عن رسول الله ﷺ فى شهادته بعلم عمر ومع ذلك فقد غاب عنه

اشياء وخطأه رسول الله ﷺ فى أشياء ولم يكن قط علم عائشة دليلا على ثبوت حديث الحميراء فى حقها .

قال ابو تراب : ولو صح أن نصف علم الدين عند عائشة كما يزعم الاستاذ العقاد لوجب على الصحابة سماعه منها ذلك النصف دون غيرها من العلماء النقلة ولكان من حاد عن ذلك عاصيا بعد أن أمر بأخذ نصف العلم من عائشة ولكنا وجدنا الصحابة كانوا يخالفونها فى الروايات وخطأوها فى انكارها فى سماع الموتى وغير ذلك من المسائل فلذلك كان هذا باطلا بيقين وما كانت الصحابة تقلد عائشة ولا أحدا غيرها وكان يخالف بعضهم بعضا وانما هناك موافقات فى الاستدلال كما يقع بين المجتهدين .

وما افترض الله قط السماع من عائشة دون سائر العلماء فيما رووا من الدين ولا أمر سبحانه وتعالى بأن نقتصر على عائشة فى أخذ نصف الدين عنها وقد ايقنا ان الله لا يأمر بشىء الا وقد سبب طرق الوصول اليه وسهلها وبينها اتم بيان قال تعالى « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » فلم يخص عائشة ولا غيرها ، وعائشة من اهل الذكر يجب علينا اخذ العلم عنها كما يجب علينا أخذه عن سائر علماء الملة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم الى يوم الدين لا فرق فى ذلك بين عائشة وغيرها أصلا فكيف يصح بعد أن علمنا ذلك أن نأخذ نصف الدين عن عائشة دون غيرها كما يلزمنا ذلك العقاد بحديث الحميراء اللهم ان هذا لبهتان وانه لتناقض شنيع نعوذ بالله منه .

ولو كان العلم الكثير الذى رزقه الله عائشة يصحح لنا هذا الحديث الباطل كما يزعم العقاد لكان علم مالك شفيعا له أن يصح فى حقه الحديث المكذوب

القائل : فلايجدون عالما أعلم من عالم المدينة لان طريقة العقاد فى تصحيح الاحاديث بالمعنى الحاصل تبيح هذا الزور فلقائل ان يقول يجوز صحة هذا الحديث فى حق مالك لعلمه الوفير الجم كما صحح العقاد حديث الحميراء لعلم عائشة الكثير ولا ادرى كيف يفعل العقاد اذا ذكرنا له ما يكذب حديث الحميراء عن رسول الله ﷺ من قوله : معاذ بن جبل افقهكم وهو أعلمكم بالحلال والحرام اخرجه الحاكم فى المستدرك وهم يخالفون معاذا فى توريث المؤمن من الكافر وفى قتل المرتد دون ان يستتاب فهلا خولفت عائشة فى البكاء على الميت ولكن مهلا فما هكذا تصحح الاحاديث وما كانت يوما تتخرج على طريقة العقاد المبتدعة المتناقضة .

ولقد وجد فى كل عصر وزمان علماء يجب الأخذ عنهم ما حفظوه من كلام الله وما وعوه من حديث رسوله كما أمرنا الله بذلك وليس علم نصف الدين ولا عشر معشاره وقفا على عائشة أو غيرها من الصحابة ويحاول العقاد ان يقرر ان عائشة كانت أعلم الصحابة لمراجعتهم اياها .

وقلنا لقد كان فى عصر الصحابة بالعراق ابن مسعود وعلى وسلمان وكان بالشام معاذ وابو الدرداء وكان بمكة ابن عباس وكلهم علماء هذه الأمة كعائشة فلا يحل لامرىء ذى ورع ومعرفة ان يقول ان عائشة افقه من على وابن مسعود ومعاذ وعمر وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وما ابن عباس بمتأخر عمن ذكرنا وقال ابن مسعود أنا اعلمهم بالكتاب فلم ينكر عليه . كما لا يقدر انسان ان يقول ان سعيد بن المسيب وسليان بن يسار من التابعين كانا افقه من عطاء والحسن وعلقمة والاسود أو أن ربيعة والزهرى وأبا الزناد كانوا أفقه من ابراهيم النخعى وعامر

الشعبى وسعيد بن جبير وأيوب السختيانى وعمر بن عبد العزيز وليس أحد ممن ذكرنا دون أحد فى رواية ولا دراية ولا ورع .

قال ابو تراب : وعائشة مجتهدة كسائر المجتهدين من الصحابة ولها شواذ كما لهم شواذ وكانت تتأول فى أشياء كما ان لهم تأولا فى أخرى وقد استدركت عليهم كما استدركوا عليها وغاب عنها علم وغاب عنهم علم وهكذا شأن العلماء وليس ذلك يعيبها ولا هو يعيبهم بل هو عين الصواب وكذلك دأب العلماء وشأن الاجتهاد وقد خالف عمر ابا بكر فى مسائل كثيرة .

ونذكر من الخلاف ما قيل للقاسم بن محمد بن أبى بكر عجبا لعائشة كانت تصلى فى السفر أربعا ورسول الله ﷺ كان يصلى ركعتين فقال يا ابن اخى عليك بسنة رسول الله ﷺ حيث وجدتها فان من الناس من لا يعاب .

وقلنا للعقاد ان القاسم بن محمد ابن ابى بكر أمر بترك ماذهبت اليه عائشة فى صلاة السفر أربعا ونذكر الآن من ذلك ما أنكرته عائشة على ابى هريرة من سرعة القراءة وكانت على غير علم من ذلك ونذكر منه ما كانت لا تعلمه وكان يعلمه حذيفة الى غير هذه الأشياء الثابتة عنها وعنهم .

ولئن رجعنا الى باب الرواية والرواة فثمة من أصحاب رسول الله ﷺ من هو اروى منها للحديث كما قد اسلفنا ثم ان رجعنا الى الفتيا فمن الصحابة من نقل عنه مثلها من الفقه والفتاوى ومع ذلك فلا نقول بقلة علمها ولا بجهلها الدين وانما العلم شىء والرواية شىء آخر فلربما كان راو قليل الحفظ افقه وأدرى من آخر كثير الرواية فلذلك لا يستطاع الجزم قطعا بفضل أحد على سواه فى العلم ممن هم فى طبقة واحدة من المعرفة والاطلاع وانما يقع التفاضل والتسامى

بين أهل طبقتين مختلفتين ممن تتبين فيهم مقادير العلم لذلك قال الزمخشرى فى مقدمة الكشاف ما معناه انه لا يمكن ان تفاضل بين العلماء من جهة العلم اذا كانوا سواء فى العلم اى يكون معلوم كل واحد منهم كمعلوم الآخر وانما يقع التمايز فى الفهم .

قال ابو تراب : اذا شئت فانظر الى قصة ابى بكر حين بكى بعد اذ سمع « اليوم اكملت لكم دينكم » وكان غيره فرحا بهذه الآية التى تشير الى كمال الدين لكن ابا بكر كان أفهم الصحابة فى هذه المسألة اذ فهم منها ما لم يفهموه مع انهم فى علم هذه المسألة كانوا سواسية غير أنهم لم يدركوا ما أدركه ابو بكر من ايذان هذه الآية بوفاة رسول الله ﷺ وقد فهم سلمان ما لم يفهمه ابو الدرداء فمنعه من قيام سائر الليل فقال رسول الله ﷺ سلمان افقه منك .

وبهذا تعرف بطلان رواية الحميراء عقلاً كما ثبت بطلانها نقلا لأنه لا يمكن ان يكون نصف العلم الدينى عند عائشة يجهله غيرها مع وجود علم عائشة وتحققه عند غيرها من الصحابة ومع كون رسول الله ﷺ مكلفا بتبليغ الدين سائر الامة لم يخص عائشة ولا غيرها وانما بلغ الدين وقال اللهم الا هل بلغت وقال بلغوا عنى فرب مبلغ اوعى من سامع وقال فليبلغ الشاهد الغائب أفيمكن بعد ذلك أن يكون رسول الله ﷺ يخالف ما أمر به من اشاعة أحكام الدين فيستأثر عائشة ويودعها نصف العلم ثم يقول خذوه عنها وهو الذى كان لا يستأثر احدا على احد فى التعليم كان يخطب على ملأ ويذكر ويعظ كأنه منذر جيش حتى أن وجهه ليحمر وان اوداجه لتنتفخ يأتى الرجال والنساء ليبين ما نزل اليه .

اللهم الا فى علم الفتن فقد حمل عنه الدوسى وحذيفة ما لم يحضروه ولم يكن ذلك من الدين فى شىء من احكامه والا لبثه كل بث وكذلك ما يضارع هذا من اسراره الى بعض نسائه بعض الأمور التى تتعلق بالأحكام واستئثاره فى ذلك بعضا على بعض عند الوفاة لحكمة ومصلحة مقتضية .

قال ابو تراب : وحاول العقاد ان يثبت لنا صحة هذا الحديث الباطل حديث الحميراء من جهة مراجعة الصحابة عائشة فى العلم فقلنا وبالله نتأيد من العجب ان يحتج العقاد بهذا أفغاب عن علمه مراجعة جلة الصحابة بعضهم بعضا ولم تكن قط والله عائشة هى الوحيدة التى تراجع فان كانت المراجعة هى مدار صحة الحديث ففى مناقب الليث وابن الماجشون والشافعى أحاديث واهية وضعها الوضاعون تدل على صيرورة العلم كله الى الشافعى وامثاله فأين الابطحى من عائشة ولا شك فى أن علم الصحابة كان أتم من علم الأئمة هؤلاء ولكن مع ذلك فان كثرة العلم لاحد ليس دليلا على انحصاره فيه ولو علم العقاد ما استدركته عائشة على الصحابة فيما جمعه بدر الدين الزركشى لكنا نظنه قاطعا بأن كل العلم صار اليها ولكذب حديث الحميراء بنفسه ولكن الله سلمنا من هذا التخبط الاعشى فعلمنا ان عائشة ايضا كانت لا تعلم اشياء من العلم علمها غيرها .

قال ابو تراب : ولم يعلم العقاد بعد ذلك أن الحديث الذى عجز عن اثباته بالنظريات الواهية موجود فى مسند الفردوس للديلمى ولو علم ذلك لطار فرحا ولاحتج علينا بوجوده فى كتاب قديم ولكنه لم يدر عنه لذلك راح يبحث عنه فى كتاب المناوى حتى عثر عليه هناك بدون سند كالمعلقة ونحن الآن نزيده علما بأن

الحديث أورده الديلمى وذكره ابن الاثير ووقف عليه ابن حجر ولكن يا أسفا فانه لم يثبت لا سندا ولا متنا ولا معنى ولا مبنى بدليل قرائن الآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ كما ذكرنا من قبل ، ولو ثبت لكان للأستاذ مندوحة للتعلق به والتشدق بفحواه والتشبث بأهدابه لكنه باطل أصلا كما نص عليه العلماء الذين قيضهم الله للحديث ومعرفته وهم أكبر من العقاد بيقين .

وأما وجوده فى مسند الديلمى فلا يزيده الا خسارة لان هذا المسند كتاب واهيات وأباطيل ومدلسين ومجروحين ووضاع وضعفاء وروايات مقطوعة قال عنه ابن تيمية فى المنهاج انه لا يحتج به لاحتوائه على الغث والفج .

واذ قد أثبتنا أن علم عائشة لم يشفع للعقاد أن يصحح فى حقها الحديث المذكور ولامراجعة الصحابة لها نفعته كما تعلق بهذا ليجعل الحديث صحيحا فقد تعين اذن أن الحديث باطل لايصح سنده ولا معناه لأنه مخالف لعموم قوله تعالى « فاسألوا أهل الذكر » ولعموم الاحاديث الواردة فى طلب العلم وليس فى كل ذلك أن نصف الدين عند عائشة .

وهو مخالف أيضا للواقع فان الصحابة لم يقتصروا على سؤال عائشة فقط لأنه لم يأمر الله نبيه أن يضع نصف الدين عندها ولاهو فعل ذلك لانه كان مكلفا بتبليغ الدين كل أحد فلا يحل لعاقل مسلم أن يقول بأن رسول الله ﷺ وضع عند عائشة علم نصف الدين أو ثلثه يجب أخذه عنها لأن هذا القول المشين يجعل رسول الله ﷺ بهذا الادعاء الباطل مخالفا لما أمره الله به والعياذ بالله من هذا الخذلان .

وما أغنى الناس والعقاد لو أرادوا ذكر مناقب عائشة وفضائلها عن هذه الواهيات ففى الآثار شيء يغنى عن هذا الباطل المرذول ويثبت فضل عائشة وعلمها وزهدها وورعها وتقواها وحرصها على السنة كدأب سائر من أخذ عنهم الدين من المجتهدين فى الصدر الأول وكلهم مأجورون أما أجرين وأما أجرا وليس العلم موقوفا على أحد .

بل كيف يكون كثر علم عائشة كما هو معلوم محددا لعلمها نصف الدين ولعمرى انه لانتقاص من شأنها وقدمها الراسخة فى العلم أفيقال أنها كانت تجهل نصف الدين لأننا اذا قلنا أنها كانت تعلم نصف العلم الدينى لزمنا ان نقول انها كانت تجهل النصف الآخر ولو كان كذلك بشهادة رسول الله ﷺ فهلا علمها كل العلم ولماذا تركها تجهل نصف دينها اللهم انه لتناقض للعقاد .

وقلنا ان علمها الكثير ليس بموجب لأن لا يغيب عنها شيء فليس من حفظ اشياء كثيرة أن يكون ذلك مانعا أن يحفظ غيره بعض ما غاب عنه مما جرى فى تلك الأشياء التى حفظ أكثرها .

وقد سمع انس والبراء وحفصة من فم النبى ﷺ فى حجة الوداع مالم يسمع جابر وثقفوا مالم يثقفه جابر وجابر عالم كبير وحديثه فى الحج طويل وكذلك عائشة عالمة كبيرة وعلمها كثير وعلى رغم كونها زوج رسول الله ﷺ غاب عنها مالم يغب عن غيرها .

ثم اقول للعقاد أخبرنى هل كل ما ذهبت اليه عائشة هو من علم نصف الدين الذى أمرنا بأخذه أم لا فان قال نعم فقد أتى بالبلية الكاذبة لان فى علمها أوهاما صريحة وضحت على الصحابة ومن بعدهم وان كثيرا من الصحابة لم

يحذوا بما كانت تراه فى بعض المسائل فهلا أخذوا عنها مادامت هى من نصف الدين وبذلك يلزم أن نعتد أهل خير القرون تاركين للحديث المذكور الـذى يأمرهم باتباع عائشة وحاشاهم أن يتركوا حديثا عامدين لو كان صحيحا ولماذا كانوا يردون عليها فى انكارها سماع الموتى فلم توافق عليه وأنكرت خبر الخف الواحد فلم يلتفت اليها وكانت تخالف ابا هريرة وتأولت الآية فما روعى جانبها لانها بشر ولقد خطئت فى تفسيرها قول الله « لا تزر وازرة وزر أخرى » الذى يريد العقاد أن يصححه الى غير ذلك من المسائل التى لسنا بصدد تقصيها .

فاذا ثبت ان الصحابة وهم المأمورون بأخذ نصف الدين عنهـا أو ثلثـه حسبما يشاء هوى العقاد رفضوا كثيرا من رواياتها وأوهامها وآرائها الاجتهادية فقل لنا بالله يا عقاد ماذا يلزمهم اذن أيعقل أن يتركوا أمر رسول الله ﷺ اذا كان صحيحا أم يعتبرهم العقاد مخالفين لأمره لأنهم ما أخذوا عنها تلك الافراد الشواذ وهى من نصف الدين بموجب الحديث الذى صححه العقاد أم أن رسول الله ﷺ أخطأ فى عموم قوله ولم يستثن شواذها ام ان الامر لم يبلغهم وبلغ العقاد فى هذا القرن ولم يعرفه المحدثون وعرفه العقاد اليوم ام ماذا ؟ « فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » والعياذ بالله من ذلك .

وان قال العقاد ان ذلك النصف الذى كلفنا بأخذه عنهـا ليس هو كل ما عندها بل هو بعضه قلنا وكيف يتحدد ذلك أو تحدد للصحابة ما رفضوه عنها انه ليس من ذلك النصف المأمور باتباعه وأخذه وكيف تسنى لهم تمييزه أبأمر أم بوهم هذا أمر يحتاج الى بيان ولم لم يبينه رسول الله ﷺ فهل تركنا فى حيرة من

نصف أمر ديننا وهو المكلف بقوله « لتبين للناس ما نزل اليهم » .

اعقلوا يا قوم فان حديث الحميراء افتراء وبهتان والافكيف نترك روايتها لحديث ابى هريرة وقد قالت لأحنتنه فلو كان كل ما قالت من ذلك النصف للدين للزمنا الكفر بما ننكره عليها أفيصح هذا ؟ كلا انه لضلال وربى وليت العقاد يتأمل .

* * *

تعقب الألباني

قال أبو تراب

وقعت بيدى رسالة من الطبعة الثالثة فى صفة الصلاة وهى تأليف الشيخ الفاضل محمد ناصر الدين الالبانى المدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة عنونها بـ : « صفة صلاة النبى ﷺ من التكبير الى التسليم كأنك تراها » وقد وصف رسالته بأن فيها زيادات (هامة) كذا وهى من منشورات المكتب الاسلامى بدمشق راجعها الشيخ بنفسه وعلق عليها كثيرا .

ووقفت فى (ص ١٤٤) و (ص ١٥٧) منها على هذه الصيغة المروية :

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على (ابراهيم « ١ » وعلى) آل ابراهيم انك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على (ابراهيم « ٢ » وعلى) آل ابراهيم انك حميد مجيد .

واستغربت هناك صنيع الشيخ عفا الله عنه حيث قال ما نصه :

« ١ » و « ٢ » هاتان الزيادتان ثابتتان فى رواية البخارى والطحاوى والبيهقى وأحمد وكذا النسائى وجاءت أيضا من طرق أخرى فى بعض الصيغ .

قال : فلا تغتر بقول ابن القيم فى « جلاء الافهام » ـ ص ١٩٨ ـ تبعا لشيخه ابن تيمية فى « الفتاوى » ـ ج ١ ص ١٦ ـ (ولم يجىء حديث صحيح فيه لفظ ـ ابراهيم وآل ابراهيم ـ معا) فها قد جئناك به صحيحا .

ثم قال : وهذا فى الحقيقة من فوائد هذا الكتاب ودقة تتبعه للروايات والالفاظ والجمع بينهما وهو شىء لم نسبق اليه والفضل لله تعالى وله الشكر والمنة ، ومما يؤكد خطأ ابن القيم ان النوع السابع الآتى قد صححه هو نفسه وفيه ما أنكره »

انتهى كلام الشيخ الالبانى .

قال ابو تراب : والعجب من انه نسب هذا الاستدراك الى نفسه قائلا : « وهو شىء لم نسبق اليه » مع ان الذى استدركه هو الحافظ ابن حجر العسقلانى وقد سبقه اليه بقرون وتناقله عنه العلماء والمحدثون وسمعناه من الاشياخ فى حلقات الدرس .

وقد اخذناه عن الوالد الشيخ ابى محمد عبد الحق المحدث الهاشمى ايام قراءتنا عليه الحديث منذ سنين وكنت احفظ ذلك عنه وغاب عنى من عزا اليه النقل ، فلما وقفت على كلام الشيخ الالبانى ونسبته هذه الفائدة المستدركة الى نفسه رابنى هذا وشق على فرحت ابحث عنه حتى عثرت عليه فى « فتح البارى » ـ ج ١١ ص ١٣٤ ـ ولولا ان الفاضل الالبانى أكثر من النقل من فتح البارى فى هذا المبحث ذاته لقلنا ربما كان من تتبعه ولكن نقوله من « الفتح » تدلنا على انه اطلع على هذا الاستدراك فى الفتح ثم نسبه الى نفسه وهذا ليس من الامانة العلمية فى شىء ومثله فى ذلك مثل العينى يأخذ عن الحافظ ثم يجحد فضله ويتصدى له بالطعن والاعتراض مما اضطر العسقلانى الى تأليف « الانتقاض » وهو عندى بخطى نقلا من النسخة التيمورية .

واليك قول الحافظ الذى اشرنا اليه وفيه استدراكه على ابن القيم مصرحا به .

قال الحافظ رحمه الله :

وادعى ابن القيم ان اكثر الاحاديث بل كلها مصرحة بذكر (محمد وآل محمد) وبذكر (آل ابراهيم) فقط أو بذكر (ابراهيم) فقط قال : ولم يجيء فى حديث بلفظ (ابراهيم) و (آل ابراهيم) معا وانما اخرجه البيهقى من طريق يحيى بن السباق عن رجل من بنى الحارث عن ابن مسعود ويحيى مجهول وشيخه مبهم فهو سند ضعيف ، واخرجه ابن ماجة من وجه آخر قوى لكنه موقوف على ابن مسعود واخرجه النسائى والدار قطنى من حديث طلحة » .

قال الحافظ : وغفل عما وقع فى صحيح البخارى كما تقدم فى احاديث الأنبياء فى ترجمة ابراهيم عليه السلام من طريق عبد الله بن عيسى بن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن عبدالرحمن بن أبى ليلى بلفظ كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد .. وكذا فى قوله : « كما باركت » .

قال ابو تراب : وبهذا ظهر لك ان الفاضل الالبانى استفاد الاستدراك من الحافظ العسقلانى وقد سبقه بكثير ثم عزاه الى نفسه وهو مما لايجوز البتة وفيه من انكار الفضل لاهله مالا يخفى .. وقد اقتضت الامانة العلمية ان ننبه طلبة العلم على هذا الخطأ الذى وقع فيه الشيخ الفاضل سامحه الله ونرجو له العفو عن هذا السطو الشائن والاقامة على المحجة للنقل الامين كدأب أهل العلم من الرواة والمحدثين ..

* * *

مع حمد الجاسر

قال أبو تراب

اطلع المحقق العلامة الكبير الشيخ حمد الجاسر على مقال لى نشر بجريدة « البلاد » .. وكنت قد تعرضت فيه لغزوات رسول الله ﷺ إجمالا من غير تفصيل .. وقد لاحظ الفاضل الكريم ذكر غزوة (نجران) من بين الغزوات ـ جاءت هكذا تصحيفا ـ فشق عليه وله الحق ان يبقى العلم طى الخطأ فاتصل بالجريدة يتعقب لأن رسول الله ﷺ لم يغز (نجران) قط ولا كانت من بين غزواته .

فلما علمت هذا من الجريدة رأيت من الواجب استدراك هذا الغلط لئلا يتبادر الى الذهن انى وقعت فى وهم لا عصمة لى منه .. والأمانة العلمية تقتضى ان نصحح ما نكتب .

والحقيقة ان الغزوة ليست هى (غزوة نجران) بل هى غزوة (بحران) جاءت مصحفة فأوقعت فى اشكال والتصحيف يأتى بالعجائب وللمتعقب ان يصحح .. وغزوة (بحران) هى التى كنت اعنيها وهكذا كتبتها لكن الصفاف صحفها (نجران) كما هى مصحفة فى كتب السيرة وقد كانت بعد غزوة (ذى امر) وأراد فيها رسول الله ﷺ قريشا واستخلف على المدينة عبد الله بن ام مكتوم ولم يلق فيها حربا واقام هنالك ربيع الآخر وجمادى الأولى من السنة الثالثة بحساب ابن حزم ـ ولنا فيه تحقيق ـ ثم اتى المدينة .

وخبر غزوة (بحران) أورده ابن هشام ج ٣ ص ٥٠ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ٢٤ والمقريزى فى الامتاع ص ١١١ وابن كثير ج ٤ ص ٣ وابن سيد الناس ج ١ ص ٣٠٤ وغيرهم .

وبحران بفتح الباء وضمها معدن بالحجاز بناحية الفرع والجاسر به اخبر وهو الموضع الذى أضل فيه سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه وذلك فى بعث عبد الله بن جحش الذى اصاب فيه عبد الله بن واقد التميمى رجلا يقال له عمرو بن الحضرمى فقتله فى الشهر الحرام واسروا الكثيرين فأنكر النبى ﷺ ما فعلوا وفيه نزل : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » .

أما بعد فانى أشكر الأستاذ حمدا على ملاحظته فلولاه لمضى الخطأ ساريا لأنى قلما اقرأ كلاما كتبته بعد النشر .. والجرائد ربما صحفت الأسماء والصفات والآيات والبينات بالعجب الذى يضحك منه المرء مالئاً فاه .

ومثل انقلاب (بحران) الى (نجران) من الأخطاء التى لا يتفطن لها الا المؤرخ ومن له مسكة من العلم بالوقائع والأحداث والمغازى والسرايا .

وهيهات ان يعرف قارىء من العوام ما الصواب فى (غزوة نجران) ؟ وانى له العلم ببحران ..

* * *

الرد على ابن عاشور

قال أبو تراب

فاضل كبير واستاذ شهير حقق ديوان بشار بن برد وشرحه . هو الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة فى تونس .

وصدر الديوان فى ثلاثة أجزاء من لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

وعلق عليه ووقف على طبعه استاذان أحدهما فى كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، وثانيهما عمل فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وهما محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقى أمين .

ولقد غاب عن علم كل هؤلاء نسبة بيت نحن ذاكروه فيما يلى ، ولا أدرى كيف وقعوا فى الوهم الذى نسوقه فى مراجعتنا هذه ونسجله عليهم للتصويب .

وأحسب أن شيخ جامع الزيتونة قال قولا فى النسبة فوهم فأمضيا وهمه ولم يعقبا !

فان شئت فارم ببصرك فى (ص ١٩٧) من الجزء الأول من الديوان ، فهناك قصيدة لبشار مطلعها :

يا خليلاً نبا بنا فى المشيب ... لم يعرج على مشار الطبيب

علق عليه بأن مشار الطبيب يعنى به اشارة العليم فان الطبيب بمعنى الخبير والمجرب .

ثم استشهد لذلك ببيت فقال قال عبدة بن الطبيب :

فان تسألونى بالنساء فاننى خبير بأدواء النساء طبيب

قال ابو تراب : انما أراد بيت علقمة لأن بيت عبدة :

فان تسألونى بالنساء فاننى خبير بأدواء النساء مجرب

وهما بيتان مختلفان وهذا البيت ليس لعبدة بل هو لعلقمة ، واعتراضى على نسبة البيت الذى ذكره الشارح الى عبدة . ثم سكوت الاستاذين المعلقين عليها ولعلهما لم يتنبها لخطأ النسبة فيه .

وهكذا تعرف ان الأمر اختلط على الشارح الفاضل فوهم فى نسبة البيت الذى أراد انشاده الى عبدة وهما اثنان مختلفان أوقعاه فى وهم ذى لتشابهما .

ولعل سبب الوهم لمن وقع فيه هو ان علقمة أبوه عبدة بن النعمان بن قيس فوجود اسم عبدة فى نسبه كان مجلبة الوهم الذى وقع فيه المعلق كما وقع فيه غيره فظن الشاهد الذى قصده له ، ولا يبعد ان يكون الاشتباه جاء لكون عبدة ابنا (للطبيب) .

وعبدة مخضرم ترجم عنه الحافظ فى الاصابة والطبرى فى التاريخ وابن قتيبة فى الشعراء وأبو الفرج فى الأغانى .

وبيت علقمة الذى فيه الشاهد على لفظة « الطبيب » قال ابن قتيبة فى الشعراء (ج ١ ص ١٧١) : انه من جيد قوله .

وقال ابو عمرو ابن العلاء : اعلم الناس بالنساء علقمة حيث يقول : « فان تسألونى الخ » .

وهذان امامان فى رواية الشعر يجزمان بكون البيت الذى يتضمن الشاهد لعلقمة دون غيره وبقولهما ينقطع كل ريب .

وهكذا رواه المفضل الضبى ناسبا البيت الى علقمة من القصيدة « رقم ١١٩ » (ص ١٩٢ ج ٢ من المفضليات) .

وهو من قصيدة لعلقمة مذكورة فى ديوانه أولها :

طحا بك قلب فى الحسان طروب — بعيد الشباب عصر حان مشيب
تكلفنى ليلى وقد شط وليها — وعادت عواد بيننا وخطوب

وبعد البيت الشاهد الذى ذكرناه آنفا :

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله — فليس له من ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه — وشرخ الشباب عندهن عجيب

ويروى عليم بأدواء النساء وبصير أيضا بدل خبير الخ .. وترجمة علقمة صاحب البيت الشاهد :

فى الشعراء لابن قتيبة (ج ١ ص ١٠٧) والموشح للمرزبانى (ص ٢٨) والأغانى (ج ٧ ص ١٢١) والاشتقاق لابن دريد (ص ١١٣) والنقائض (ص ١٨٦) وشرح الانبارى (ص ٧٧٢) وجمهرة الانساب لابن حزم (ص ٢١١) وأنساب ابن غدة (ص ١١٧) وغير ذلك من الكتب .

قال أبو تراب : ومن راجع الديوان رأى ان الشيخ غلط فى العزو فقط أما اللفظ فقد أورد البيت على الصواب حيث انشده على ما يستقيم به الاستشهاد فقد ذكر :

(خبير بأدواء النساء طبيب) ولم يقل : « مجرب » كما سبق ، ومنشأ الاشكال خطأ فى النقل فانشاد الشيخ البيت صحيح فلا يرد عليه الاعتراض بأنه انشد البيت انشادا غلطا لا يقوم به الاستشهاد بعد ان اندفع ذلك بالمراجعة ..

وانما نتعقب خطأ الشيخ فى عزوه البيت الى عبدة فقط وهو ليس له بل هو لعلقمة وهذا الوهم يبقى قائما لأن الشيخ صرح بانه لعبدة وثبت هذا بمراجعة شرحه وقد ذكرنا من قبل ان ذلك خطأ وقع فيه الشيخ الفاضل .

واذ نحن اعدنا القول فى هذه النسبة الخاطئة لاستدراك ما وقع فيه من خطأ .

فلا نرى بأسا ان نذيل هذه الكليمة المستدركة المتعقبة بذكر شيء من تعريف عبدة هذا الذى جرى الكلام عنه ..

فهو عبدة بن الطبيب من بنى عبد شمس بن سعد بن زيد مناة ابن تميم شاعر مقدم مخضرم مجيد ليس بالمكثر يكنى ابا يزيد ذكره البكرى فى شرح الأمالى (ج ١ ص ٦٩) .

والطبيب اسمه يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله ابن عبد نهم بن جشم بن عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

وفى الاصابة (ص ٦٣٩٠) جاء : (على) بدل (وعلة) فى نسبه ، وفى الأغانى (ج ١٨ ص ١٦٣) : (عبد تيم) مصحفا من (عبد نهم) وعلى الصواب فى الانبارى (ص ٢٦٨) ، وروى عن ابن حبيب قال اخبرنى ابو عبيدة قال : تميم كلها كانت فى الجاهلية يقال لها : عبد نهم ونهم صنم لهم كانوا يعبدونه .

ونقل الشيخ احمد شاكر فى شرح المفضليات (ج ١ ص ١٣٨) ما ذكره الراجكوتى فى حاشية شرح الأمالى من تصحيف ما فى الأغانى حيث جاء : (عبد تيم) بدل (عبد نهم) وزاد قائلا : لأنه لم يوجد فى اصنام العرب فيما نعرف صنم اسمه تيم ولأن التيم هو العبد ولذلك كان من اسمائهم تيم الله وتيم اللات ..

ولعبدة قصيدتان فى المفضليات (رقم ٢٦ و ٢٧) احداهما لامية والأخرى عينية (انظر ص ٢٦٨) ومنها ابيات فى شرح البكرى (ص ٣٢ و ١٤٦ و ٦٩) وقد ذكرنا من قبل مراجع ترجمة عبدة .

ونضيف هنا انه شهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ وله فى ذلك آثار مشهورة ، وكان فى جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا الفرس بالمدائن (انظر تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٤٣ و ١١٥) ..

وكان عبدة اسود وهو من لصوص الرباب وهو الذى رثى قيس بن عاصم المنقرى التميمى بقصيدته التى يقول فيها :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وهذا البيت من عيون الشعر العربى طار شرقا وغربا فى عصر ازدهار العربية وقل من يعرفه فى زماننا هذا ولعمرو الحق اننى ما سمعت احدا ينشده فى مقام منذ عشرين سنة اللهم الا شيخ الأدب أحمد حسن الزيات حين رثى العقاد ..

قال ابو عمر وابن العلاء : هذا البيت ارثى بيت قيل . وقال ابن الاعرابى هو قائم بنفسه ما له نظير فى الجاهلية والاسلام .

ويروى ان رجلا قال لخالد بن صفوان : كان عبدة بن الطبيب لا يحسن ان

يهجو فقال لا تقل ذاك فوالله ما ابى من عى ولكنه كان يترفع عن الهجاء لأنه يرى اتيانه ضعة كما يرى تركه مروءة وشرفا ..

وقصيدته اللامية أولها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول   أم انت عنها بعيد الدار مشغول

وهى فى المفضليات (ج ١ ص ١٣٣) كاملة واجزاء منها توجد فى منتهى الطلب (ج ١ ص ١٨٩) وتاريخ الطبرى (ج ٤ ص ٤٣) و ـ ج ١ ص ٣ ـ والأغانى (ج ١٨ ص ١٦٣) وحماسة البحترى (ص ١٩٦) والأمالى لابى على (ج ١ ص ٢٦) و ـ ج ٣ ص ١٦٩ ـ والنوادر (ص ٤٢) وديوان المعانى (ج ١ ص ١٠٨) والحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ١٤٩) والشعراء (ص ٤٥٧) وشرح الحماسة للتبريزى (ج ٤ ص ٣٠٧) والعينية التى فى المفضليات (ج ١ ص ١٤٣) أولها :

أبنـــىّ انـــى قد كبـــرت ورابنى   بصرى وفى لمصلـــح مستمتع

وبعضها فى منتهى الطلب (ج ١ ص ١٩٣) والشعراء لابن قتيبة (ص ٤٥٦) وحماسة البحترى (ص ١٥٥) وديوان المعانى لابى هلال العسكرى (ج ٢ ص ١٤٤) والنوادر للقالى (ص ٢٣) .

* * *

المستدرك على السرحان (١)

قال أبو تراب :

واقتعد كرسى الكتابة وقد قوى عوده واشتد على ساقه فهو لها اهل وهى به مخطومة لأن هذا الاهاب محشو ثقافة وأدبا وهذا المعين مستعذب ريا ودفقا فأولى بمثله ان يرى مالئا شدقيه وكأنه حادر والغ فى النجيع أو وبر تحدر من ضال .

وامتشق القلم امتشاقا كما يمتشق الكمى حسامه فجعلت رسائله تأتينا مواكبة وأخذت مقالاته ترد علينا غابقة صابحة رافدة ناسقة فرب قول فيه المتعة ورب لفظة فيها النضج وقد حق انه رب البيان ورب القريض يلز فى قرن من أدبائنا .

ذلكم هو الأديب الفكه راوى العيمة بالغيمة الأستاذ الصديق العزيز الفاضل الحسين بن السرحان أدام الله فضله ، ما ذر شارق أو كر الملوان .

وكتب ولست بدار ما كتب مع طول العهد وانفصام التذكر وعلق بالخاطر ما علق اذ حيث استغلق عليه وكان فى جزمه هميعا وكان ثمةمنى تعقب جرى ذكره فى مجلس ضمنا به ولما عرضت عليه الاستدراك فاذا به يلبى دعوة البحث والنقب عن صدق لهجة وحسن طوية هو بهما معروف لدى صحبه الذين لا ينسون له فضلا ولا يجحدون له طولا على انى لا أعفيه ـ وانا أقلهم عنده حظا ـ من عتاب على صرم حبل الزورة كرة بعد مرة منشدا قول الحريرى :

له منى المدح الذى طاب نشره ولى منه طيّ الود من بعد نشره

قال ـ جدد الله به الأيام ـ فى بعض افتتاحات صفحة الأدب المرونقة

يستعيد ذكريات عفى الزمان عليها ولم يصوح زهرها .

انه كان فى احدى مدارس التعليم يتلقن الاملاء والخط ويزاول صنعة الكتابة على أشياخها ، وكانوا يسمون الطريقة التى رسموها لهم فى المنهج ـ المشك ـ وجمعه ـ أمشاك ـ .

قال : ولم اعرف على امتداد الزمان معنى هذه الكلمة ولعلها ـ تركية ـ نزحت الينا مع حكم الأتراك ابان ذاك .

واستدركت على الصديق فيما توهم بأن قلت : الكلمة بالقاف وهى عربية فصيحة وانما انقلبت قافها كافا بعامل ورودها على لسان الأعاجم ولم تزل تستعمل بمعناها فى لغة أهل الهند على أصلها وبنائها بالقاف .

والمشق هو الكتابة الممدودة السريعة أو المجذوبة الى حروفها أو ما يؤدى الى معنى التمرن عليها .

ويؤخذ من استقراء كلام العلماء فى معاجم اللغة ان معانى لفظة المشق فى الكتابة تدور حول :

١ ـ الجذب للمد والتطويل .

٢ ـ والسرعة مع الخفة .

٣ ـ والنزع والتجريد .

وهذه كلها فيما يتعلق بالاشتقاق منها للكتابة فقط والا فان من معانيها ما هو غير هذا مما لا يمت بصلة الى موضوعنا .

فأكثر اللغوين بنى مشق الكتابة على معنى السرعة واشتقه ابن دريد ومن تبعه كالمجد من المد والجذب ولا استبعد ان يكون من النزع والتجريد والاستلال

لأن اليراع يحتاج الى ذلك فى البرى وغيره .

غير ان الزمخشرى اشتقه من السرعة والخفة وهو حجة وجعله من المجاز الذى يطلب فى العربية وكذلك فعل ابن فارس ..

ولم ينبه احد غير الزبيدى على ان فعله من باب نصر اذا كان فى غير الكتابة ومن باب ضرب اذا كان فيها دون غيرها وهذه فائـدة لا أدرى هل الشيرازى نقلها فى معيار اللغة لأنه ليس الآن بين يدى وفى اللسان ما يخالف بعض ذلك ..

وعلى كل فان مشق الكتابة اذا كان مأخوذا من الجذب أو المد فهذا حاصل فى مد حروفها وجذب القلم فيها وكذلك اذا كان مشتقا من معنـى السرعـة وأما اشتقاقه من التجريد والنزع فهو كما بينا من قبل وهاك نصوصا نقلناها من أعظم معاجم العربية التليدة للتدليل على ما ذهبنا اليه .

ففى الجمهرة لابن دريد ـ ج ٣ ص ٦٦ ـ المشق مشقك بيدك فى عجلة فى قرطاس أو غيره وهو مدك الخط بالقلم ومشقت الوتر أمشقه مشقا ومشقته تمشيقا اذا مددته ثم مسحته ليستوى ويلين فتله .

قال ابو تراب : وبهذا يعرف ان مشق القلم مشتق من مشق الوتر وهو مده فكذلك مشق القلم لأنه يمد الحروف لتستوى .

وفى المقاييس لابن فارس ـ ج ٥ ص ٣٢٤ ـ :

الميم والشين والقاف اصل صحيح يدل على سرعة وخفة يقولون مشق اذا اسرع الكتابة ومشق طعن طعنا بسرعة ومشق فى أكله أسرع واشتد والمشق جذب الشىء ليمتد ويطول .

قال ابو تراب : وهذا هو الأصل الثانى الذى بنوا عليه اشتقاق المشق وهو السرعة والنصوص التى تأتى بعد هذا تحوم حول ذلك .

ففى صحاح الجوهرى ـ ج ٢ ص ١٢٠ ـ المشق السرعة فى الطعن والضرب والأكل والكتابة قال ذو الرمة :

فكر يمشق طعنا فى جواشنها　　كأنه الأجر فى الاقبال يحتسب

قال والمشق جذب الشيء ليمتد ويطول . وفى الأساس للزمخشرى ـ ص ٤٣٠ ـ الطاعن يمشق برمحه والكاتب يمشق بقلمه والآكل يمشق فى أكله مشقا وهو السرعة وقلم مشاق وامتشق السيف استله .

وفى القاموس للمجد ـ ج ٣ ص ٢٩٢ ـ :

المشق فى الكتابة مد حروفها .

وفى اللسان لابن منظور ـ ج ١٢ ص ٢٢١ ـ :

قلم مشاق سريع الجرى فى القرطاس ومشق الخط يمشقه مشقا مده وقيل اسرع فيه والمشق السرعة فى الطعن والضرب والأكل والكتابة وقد مشق يمشق والمشق الطعن الخفيف السريع والفعل كالفعل وأنشد قول ذى الرمة المتقدم فى وصف الثور الوحشى ـ ثم قال :

ومشقت الابل فى سيرها تمشق مشقا اسرعت وقيل كل سرعة مشق ، قال الأزهرى : سمعت غير واحد من العرب وهو يمارس عملا فيحتثه ويقول : أمشق أمشق اى اسرع وبادر مثل حلب الابل وما أشبهه وقال أيضا : المشق جذب الشيء ليمتد ويطول والسير يمشق حتى يلين والوتر يمشق حتى يلين ويجوف كما يمشق الخياط خيطه بخريقة ومشق الوتر جذبه ليمتد ووتر ممشق وممشق ممتد .

وفى تاج العروس للزبيدى ـ ج ٧ ص ٧١ ـ :

المشق سرعة فى الطعن والضرب قال رؤبة :

(اذا مضت فيه السياط المشق)

وقال ايضا :

والخيل تجرى بعد خرق خرقا   تنجو وأدناهن يلقى مشقا

قال وهو من حد نصر ويقال انما هو مشقه ومن سجعات الأساس مشقه بسوطه مشقات ورشقه بلسانه رشقات ، والمشق ايضا سرعة فى الأكل وشدة فيه يأخذ النحضة فيمشقها بفيه مشقا جذبا والمشق فى الكتابة مد حروفها مشق يمشق من حد ضرب فيهما والمشق جذب الشيء ليمتد .

قال : ويقال تمشق الغصن اذا انقشر وتحسر قال رؤبة :

من ذات اسلام عصيا شققا   من سيسبان أوقنا تمشقا

ويقال تماشقوا اللحم اى تجاذبوه .

قال الراعى :

فلا يزال لهم فى كل منزلة   لحم تماشقه الأيدى رعابيل

وقول الحسين بن مطير :

تفرى السباع سلى عنه تماشقه   كأنه برد عصب فيه تضريح

والمماشقة المجاذبة وانشد الأصمعى :

قولا لسحبان أرى نوارا   جالعة عن رأسها الخمارا

تدعو بشكل أمها وتارا   تماشق البادين والحضارا

لم تعرف الوقف ولا السوارا

وقال فى المستدرك : وقلم مشاق ككتان سريع الجرى فى القرطاس ونقل نص الأزهرى فى المشق بمعنى المبادرة ثم قال والتماشق التنازع ايضا .

قال ابو تراب : وقد أشرنا الى ان اشتقاقه يمكن ان يتأتـى من النـزع والتجريد واليه رمينا حين نقلنا عدة معان تتصل بذلك وهذا كالقول فى تمشق الغصن وتحسره والقلم فى هذا كالقنا وكلاهما يبريان واما التجاذب فواضح واما التنازع فهو من تنازع الحروف أو اختلاف جرات اليراع وفى المغرب للمطرزى (ج ٢ ص ١٨٥) ذكر للمشـق بمعنى الجذب وفى دليل عطية ـ ص ٣٢٤ ـ مشق الدرق عن الشجر اى نزعه عنه والاسم عندهم المشاق قال أبو تراب : والقلم يتخذ من الشجر ولا فرق : ولا نورد هذا الا لتأييد اشتقاقه من معنى تمشق الغصن او تحسر القنا أو النزع عن الشجر هذا ما عـدا نص الجمهـرة والأساس مما يؤيد ما ذهبنا اليه ونقلناه فى غـير هذا من كون الاشتقـاق من الجذب والجمهور على ما ذكرنا عنهم وأسلفنا النقول وبعضهم أورد الاشتقاقين معا دون ترجيح وبعضهم رجح كما فعل ابن منظور .

وبالجملة فقد تبين ما سبق ان ـ المشك ـ الذى أورده الأستاذ السرحان هو ـ المشق ـ وليس ـ تركيا ـ بل هو عربى فصيح صحيح وليس فى كلام الغرب لفظ ـ مشك ـ وانما جاء ـ المسك ـ بالسين وهو معروف وهو بالفارسية ـ مشك ـ بالشين بمعناه ولكن بضم الميم وأما ـ المشك ـ من الكتابة فهو بالقـاف على الصواب وهو أصل صحيح والكاف الأعجمية الشائعة مبدلة غالبا بفعل العجمة فى اللسان عن القاف العربية الأصلية الصحيحة وما علينا الا رد الكلمة الى أصلها وبيانها مع فصلها وقد قدمنا معناها واشتقاقها .

ثم السلام منا على السرحان وقد صححنا له كلمة الى أخرى وردت فى اللسان لابن منظور الا فليحرر فى نسخته ففى مادة مشق جاءت كلمة - خرنقة - وصوابها كما أوردنا ههنا فى النقل - خريقة - عله يهنأ به ويرضى .

وأنشده قول الرضى :

فهيهات من ذكرى حبيب تعرضت لنا دون لقياه مهامه بيد

* * *

الاستدراك على زكار وشاويش

قال أبو تراب :

فى شرح مقصورة الأمام ابن دريد الكبرى للخطيب التبريزى احد علماء اللغة والنحو والادب وهم وقفت عليه وهو غريب علقه الشيخ عبد القادر زكار وذلك عند البيت الثامن والتسعين من المقصورة اذ يقول ابن دريد :

ان كنت أبصرت لهم من بعدهم
مثلا فاغضيت على وخز السفا

قال الخطيب فى الشرح (ص ١٣١) :

(أغضيت) قاربت ما بين جفونى يقال اغضى فلان عن كذا اذا كسر جفونه عنه . قال امرؤ القيس بن حجر :

يغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم

والعجب من الخطيب نسب هذا البيت الى امرىء القيس صاحب المعلقة ولا ندرى كيف جاء من مثله هذا القول لان المتواتر كونه للفرزدق من قصيدة يمدح بها زين العابدين على بن الحسين وهى موجودة فى ديوانه ومنها :

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم

وأورد الشريف المرتضى فى الامالى ج ١ ص ٦٨ هذا البيت منسوبا الى الفرزدق فى جملة ابيات له .

قال ابو تراب وخفى على الشيخ عبد القادر زكار والأستاذ أبى بكر شاويش محقّقى شرح المقصورة ان البيت للحزين وليس هو للفرزدق لانهما رجحا كونه له ولم يقفا فى الاغانى الا على النص الذى يدل على ان الناس يروون هذا البيت وما قبله للفرزدق فى جملة ابيات مع أنه قال الاصبهانى فى ج ١٤ ص ٤٧ و٧٧ :

وهو غلط ممن رواه فيها وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل على بن الحسين وله من الفضل المتعالم ما ليس لاحد والصحيح انها للحزين فى عبد الله بن عبد الملك وقد غلط ابن عائشة فى ادخاله البيتين فى تلك الابيات وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعانى متشابهة تنبىء عن نفسها ثم ساق ابيات الحزين .

وذكر ابن قتيبة فى أقسام الشعر ص ٩ مما حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل فى بعض بنى أمية :

فى كفه خيزران ريحه عبق ... من كف اروع فى عرنينه شمم

يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم

قال لم يقل فى الهيبة شىء احسن منه . وذكر المعلقان زكار وشاويش البيتين وغلطا فى الرواية .

فقالا (فى عرنينه شحم) وهو ناب عن الذوق والصواب (شمم) ولعل الخطأ من الأصل ولم يصححاه ونسب المرزبانى فى المؤتلف ص ٨٨ البيتين للحزين وهو الكنانى وقال ابو تمام فى الحماسة أنهما فى مدح زين العابدين (أنظر شرح التبريزى على الحماسة ج ٤ ص ١٦٧ كما هو عند غيره للفرزدق وليس بصواب .

وذكر ايضا ابو الفرج فى الاغانى هذا البيت للفرزدق واورد قبله :

فى كفه خيزران ريحه عبق من كف اروع فى عرنينه شحم

وقال : والناس يروون هذين البيتين للفرزدق فى أبياته التى يمدح بها على بن الحسين بن على ابى أبى طالب أولها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

قال أبو تراب : وما كنت أعرف فى هذا خلافا حتى وقفت على كلام الخطيب ووجدته ينسب البيت الى امرىء القيس ونسبته اليه بعيدة الا أن فى نسبته الى الفرزدق خلافا عرفناه فان هذا البيت ساقط من القصيدة فى صحيح بعض الروايات حتى ان الشريف فى أماليه ج ١ ص **٥٢٥** أورده بشك فى نسبته الى الفرزدق ذلك بعد أن أورده منسوبا اليه فى موضع آخر كما تقدم .

ونسبه الجرجانى فى كتاب الوساطة وهو موجود بين يدى الآن وأنا أكتب هذا فى ص ٢٩٦ للحزين والله أعلم .

قال أبو تراب : أما قوله :

يغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم !

فهذا مما وقع فيه الخلاف الذى لا يحيط بعلمه كثير من الناس وربما استغرب بعضهم من أن فى نسبة هذا البيت خلافا : اذ المشهور لدى الأكثرين أنه للفرزدق فى مدح زين العابدين على بن الحسين من قصيدة جاءت فى ديوانه .

لكن الامر غير هذا !؟

وأول اشكال ورد فى نسبة البيت هو كلام الخطيب التبريزى اذ عزاه الى أمرىء القيس وهو غريب جدا .

وقد ذكر التبريزى هذه النسبة فى شرح المقصورة الكبرى للامام ابى بكر ابن دريد الازدى عند قوله :

هم البحــور زاخــر آذيها والناس ضحضـاح ثغـاب وأضى
ان كنت أبصرت هـم من بعدهم مثـلا فاغضيـت على وخـز السفا

والآذى الموج ، والضحضاح الماء القليل الـذى لا يغـرف الا بالـكف ، والثغاب جمع ثغب وهو ما يستنقع من الماء فى صخرة ، والأضى جمع أضاة وهى الغدران والصغار بمنزلة الأحواض ، والسفا شوك البهمى .

واستشهد التبريزى على كلمة (أغضيت) فى كلام ابن دريد بالبيت الذى نحن بصدده قائلا :

« وأغضيت قاربت ما بين جفونى . يقال أغضى فلان عن كذا اذا كسر جفونه عنه قال امرؤ القيس بن حُجر : يغضى حياء .. الخ » .

ولعل هذا وهم من التبريزى علق عليه الشيخ عبد القادر زكار والاستاذ ابو بكر محمد زهير شاويش بأنه عجيب من القول .

ولكن المعلقين الفاضلين خفى عليهما ايضا معرفة صحة النسبة الى من هى ؟ لأنهما مالا الى انه للفرزدق وليس هو له كما يرويه الكثيرون من قصيدة يقول فيها :

هذا ابـن خـير عبـاد الله كلهمو هذا التقـى النقـى الطاهـر العلم

وأولها :

هذا الذى تعـرف البطحـاء وطأته والبيـت يعرفــه والحـل والحرم

ولم يقف المعلقان مما يؤيد كونـه للفـرزدق الا على قول الأصبهانـى فى

الاغانى الذى يقول فيه : « والناس يروون هذا البيت وما قبله للفرزدق فى جملة أبيات » .

مع أن الاصبهانى نفسه أنكر هذا فى موضع آخر من كتابه الأغانى وليس فى قوله المتقدم سوى حكاية وان شئت فانظر (الأغانى ج ١٤ ص ٧٤ و٧٧) .

وأورد الشريف المرتضى فى الأمالى (ج ١ ص ٦٨) البيت المبحوث عنه منسوبا الى الفرزدق فى جملة أبيات له ثم أورده أيضا (ج ١ ص ٥٢٥) بالشك فى النسبة . وقال ابو تمام فى الحماسة : انهما فى مدح زين العابدين ـ أى البيتان اللذان أوردهما ابن قتيبة ـ وليس بصواب كما قدمنا (انظر شرح التبريزى على الحماسة ج ٤ ص ١٦٧) والصواب هو الذى ذكره المرزبانى فى المؤتلف (ص ٧٧ » من أنهما للحزين الكنانى . وفى تحقيق ذلك كلام للحافظ ابن عبدالبر نقلناه فى غير هذا الموضع .

* * *

الرد على الهاتف

قال أبو تراب : على رسلك يا اخا العرب .. وسامحك الله لقد تعجلت وما تأملت فالقصة التى وقعت لابن عربى فى اشبيلية هى فى سنة ٥٩٢ والبلية بلية التطبيع احالها الى ٦٥٢ حتى اشكل عليك ان كيف يقع هذا مع ان ابن عربى ولد فى ٥٦٠ وتوفى فى ٦٣٨ .

فلو لم تعجل يا صاحبى لما عضضت على اليافوخ واللمم ولزال الاشكال البتة من الهامات والجمم فاذا كان من السهل انقلاب الرقم من ٥٩٢ الى ٩٥٢ فى التصحيف فليس من العسير على من عانى التصحيح ان يرجعه الى الصواب الذى تستقيم به فحوى الخطاب . ومن العجب ان يقع للفاضل الخاقان ما وقع لى فقد تصحف تاريخ الوفاة عنده .

ثم انت على عتبة المجازفة تستغرب منى كيف انعته برأس التصوف وقد قيل فيه ما قيل . واقول : المقول لا يخرج الرجل من صفة هى له كالظل وهو بها القسور الوقاص فاذا خلعت عليه لقبه الذى اشتهر به كالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر فليس معناه انى ادين بآرائه أو أميل الى حجة اقناعه وانما هو ذكر الشىء بما يوصف به لا التحلى بصبغه او التغنى بجوهره .

وهذا الامام الذهبى وغيره يترجمون عنه فيخلعون عليه هذا الازار وهم من أئمة السلف لا تحتجب عنهم المعرفة ولا يعتاص عليهم العلم على ان القوم مختلفون فيه وليس كلهم يكفرونه كالبقاعى .

بل الحافظ ابن حجر العسقلانى يقول عنه فى لسان الميزان : ما فهم من كلامه فهو مفيد وما لم يفهم فحسن السكوت عنه . هذا ويعلم الله انى لست بهذا ادافع عن الشيخ او اعتقد معتقده بل انى سلفى المذهب اتبع القرآن والحديث فى الاسماء والصفات وانما ذكرت كل هذا للتدليل على ان الأمر اهون مما تصورته .

ثم زد على ذلك ان ابن عربى كان ظاهريا فى العبادات كما ذكر عنه المؤرخون وكما قرره هو فى كتبه وقد قرأت له كلاما فى الفتوحات والديوان يثنى فيه على الامام ابن حزم رحمه الله .

وقد ذكر ايضا ابن مسدى انه كان ظاهريا فى المذهب باطنيا فى المعتقد والناس فيه على ثلاثة اقسام فمنهم من كفره كالسخاوى والتفتازانى والقارى ومنهم من جعله من المجتهدين كالفيروزابادى والشعرانى والكورانى والنابلسى ومنهم من توقف كالسيوطى والحصفكى .

وان شئت فراجع ترجمته فى فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٥١ ونفح الطيب ج ١ ص ٤٠٤ وروضات الجنات ج ٤ ص ١٩٣ وجلاء العينين ص ٤٣ ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٨٧ .

* * *

وَهْمُ القسطى

قال أبو تراب :

كتب فى باب « فى الأذن » بجريدة البلاد صاحبنا الشاعر الرقيق الحاشية مطبوع الديباجة الاستاذ عبد الغنى القسطى وكأنه نشط من عقال فنراه برصين اسلوبه يضرب يمنة ويسرة فى مصبحه وممساه فيتوقع من الخبر مادة فضله وينتظر من القلم عادة بره ونحن نشكر مأتاه وذلك ماكنا قصدناه : ـ

ولقد قرأت فى (٩ ـ٧ ـ ٨١) قوله :

« جاؤا فرادى وثنى وجماعات » وعرفت ان الاستاذ لم يتحقق ترجمه ولم يصب قياسه وأخطأ ظنه وتصريفه لانه استعمل (ثنى) بمعنى اثنين اثنين وهذا ما ينكره عليه علماء الصرف واللغة ويؤاخذونه به فاذا استعفانى الصديق الكريم من معاتبته وأعفى نفسه من كلف الافضال يتجشمها فليس الا حلل الصبر أتدرعها لكن التنبيه لا بد من ان يزم عن الجواب قلمه ثم يستميل فؤاده ويقيم منآده .

أما بعد فان القياس الصرفى والاستعمال العربى والنص اللغوى كل ذلك يقتضى أن يقال « جاؤ (ثناء) بضم الثاء غير منصرف لانه معدول من اثنين اثنين ومثله ثلاث ورباع ويقال جاءوا مثنى بمعناه وقد استعمله القرآن ووزن هذا العدل فعال ومفعل اجماعا .

كما يقال جاؤا (احاد) أى واحدا واحدا و(فراد) أى فردا فردا اما الثنى كهدى والثنى كالى فجمع ثنية وليس مكانه هنا .

قال المجد فى القاموس ج ٤ ص ٣١٠ جاؤا مثنى وثناء كغراب أى اثنين اثنين وقال فى ج ١ ص ٣٨٣ جاؤا أحاد أحاد أى واحدا واحدا وقال فى ج ١ ص ٣٣٤ جاؤا فراد فراد وفرادا وفرادى وفردى اى واحدا بعد واحد .

قال ابو تراب ومثل ذلك ثلاث ومثلث اى ثلثة ثلثة ورباع معدول من اربعة اربعة فلذلك ترك الصرف هاهنا وفى قراءة الأعمش وربع كزفر على ارادة رباع ويقال عليه جاؤا خماس ومخمس اى خمسة خمسة والست بالكسر اصله سدس فأبدلت السين تاء والقياس منه سداس معدولا من ستة ستة وكذلك ونص اللغويون على ان قولهم جاؤا عشار عشار ومعشر معشر اى عشرة عشرة .

والعدل اخراج الاسم عن صيغته الاصلية بغير القلب لا للتخفيف ولا للالحاق وقد جاء فعال ومفعل فى باب العدد من واحد الى اربعة اتفاقا وجاء فعال من عشرة فى قول الكميت :

(ولم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا)

والمبرد والكوفيون يقيسون عليها التسعة نحو خماس ومخمس وسداس ومسدس كما ذكرنا غير ان السماع مفقود بلى يستعمل على وزن فعال من واحد الى عشرة مع يائى النسب نحو الخماسى والسداسى والسباعى والثمانى والتساعى .

قال الامام الرضى فى شرح الكافية لابن الحاجب ج ١ص ٣٦ أما ثلاث ومثلث فقد قام دليل على انهما معدولان عن ثلاثة ثلاثة وذلك أنا وجدنا ثلاث وثلاثة ثلاثة بمعنى واحد وفائدتهما تقسيم امر ذى أجزاء على هذا العدد المعين ولفظ

المقسوم عليه فى غير لفظ العدد مكرر على الاطراد فى كلام العرب فكان القياس فى باب العدد ايضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلاث غير مكرر لفظا حكم بان أصله لفظ مكرر ولم يأت لفظ مكرر بمعنى ثلاث الا ثلاثة ثلاثة فقلنا انه أصله ؟

***

وَهْم عبدالسلام هارون - ٢ -

قال أبو تراب : وقفت على خطأ للأستاذ الفاضل عبدالسلام محمد هارون المحقق القاهرى الذائع الصيت فى شرح بيت لعلى بن جبلة حيث يقول :

أيا ذا الجود فاسلم ما جرت حقب الى حقب
فأنت الغيث فى السلم وأنت الموت فى الحرب

وترجمته فى الأغانى (ج ١٨ ص ١٠٠) ونكت الهميان للصفدى (ص ٢٠٩) وتاريخ ابن خلكان (ج ١ ص ٣٤٨) وتاريخ الخطيب البغدادى (ج١١ ص ٣٥٩) . وشرحه الأستاذ فى تعليقه على الشعراء (ج ٢ ص ٥٥١) قائلا :

(الحقب جمع أحقب وحقباء وهو الحمار الوحشى فى بطنه بياض) .

فعلى هذا الشرح يكون المعنى : أيا ذا الجود اسلم مادامت الحمير تجرى الى حمير ، ومعاذ الله ان يكون كذلك فان الشاعر لم يعن هذا وانما اراد الحقب بمعنى الدهر والسنين اى اسلم ايها الممدوح مادامت السنون تمضى اثر سنين .

أما تعليق الدعاء بالحمير كما توهمه الأستاذ فلا يصح قطعا لعدم الائتلاف ولكن تعليقه بطول الدهر حسن فكأنه يقول : أسلم أبد الدهر على ممر الزمان ماطال ومهما امتد .

ولأنه لايستقيم فى الذهن ان يدعو الشاعر بالسلامة لممدوحه مادامت حمير

الوحش جارية فى مدارها ، فانه لايتصور لها مدار ولافلك تجرى فيه وتسبح وبنحو الذى قلنا قال الشاعر وشرح الأستاذ غريب جدا ناب عن الذوق والطبع السليمين ومناف لمقتضى مقام المديح وهو كمن يقول : عش ماعاشت الكلاب تنبح والحمير تنهق أو كقول القائل فى معرض المدح :

أنت كالكلب فى حفاظك للود   وكالتيس فى قراع الخطوب

أما البيتان المذكوران فهما من قصيدة يمدح ابن جبلة بها حميد بن عبدالحميد الطوسى ويقول فيها :

الى اكرم قحطان   وصلنا السهب بالسهب
الى مجتمع النيل   وملقى ارحل الركب
حميد مفزع الأمـ   ـة فى الشرق وفى الغرب
كأن الناس جسم وهـ   ـو منه موضع القلب
اذا سالم أرضا غـ   ـليت آمنة السرب
وان حاربها حلت   بها راغية السقب
اذا لاقى رعيل المو   ت بالشطبة والشطب
وبالماذية الخضر   وبالهندية القضب
غدا مجتمع القلب   له جند من الرعب
فيافوز الذى والى   ويا بؤسى أخى الذنب

ودليل المعنى الذى أشرنا اليه ماجاء فى القاموس (ج١ ص٥٩) قال الفيروز آبادى : الحقبة بالكسر من الدهر مدة لاوقت لها والحقبة السنة والجمع حقب كعنب وحقوب كحبوب والحقب بالضم وبضمتين ثمانون سنة او اكثر والحقب

الدهر والسنة او السنون والجمع احقاب واحقب .

وبنحو ماقال قال الجوهرى وغيره لسنا بصدد جمع اقوالهم فى المعنى الواضح .

وأما على بن جبلة فكان شاعرا ضريرا مشهورا بالعكوك ولد سنة ١٦٠هـ وتوفى سنة ٢١٣هـ وشعره فى حميد كثير .

وبعد البيتين اللذين وهم فى أحدهما الأستاذ المذكور قوله الآتى ونقله ابن قتيبة :

وأنت الجامع الفارق	بين البعد والقرب
بك الله تلافى النا	س بعد العثر والنكب
ورد البيض والبيض	الى الأغماد والحجب
بأقدامك فى الحرب	واطعامك فى اللزب
فكم أمنت من خوف	وكم اشغبت من شغب
وكم اصلحت من خطب	وكم ايمت من خطب
وما تمهرها ، الا	دراك الطعن والضرب
تناهت بك قحطان	الى الغاية والحسب
ففاتت شرف الأحيا	ء فوت الرأس للعجب

وتجد بعض هذه الأبيات مفرقا فى كتب شتى وربما عثرت على مالم أورد .

* * *

تعقب الزيدان -٣-

قال أبو تراب : وهم الأستاذ محمد حسين زيدان فى ترجمة عمير بن الحمام المنشورة بجريدة البلاد ٢٨ ـ ٣ ـ ١٣٨١هـ حيث قال أنه أول قتيل يوم وقعة بدر وكرر هذه الجملة بقوله : هو أول قتلانا ببدر فى صدر الكلام وآخره وهذا غلط صراح لم يذهب اليه أحد من حفاظ الملة ولا رواة الاسلام .

أما كيف تطرق هذا الوهم الى الأستاذ فأظن لأنه راجع الاستيعاب للحافظ ابن عبدالبر وفيه فى (ص ٤٧٥ هامش الاصابة ج٢) مانصه : « كان رسول الله (ﷺ) قد آخى بينه وبين عبيدة بن الحارث فقتلا يوم بدر جميعا وقيل انه اول قتيل من الأنصار فى الاسلام » .

ومثل ذلك ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة (ج٤ص١٤٣) قال : هو أول قتيل من الأنصار فى الاسلام . ومثله ايضا فى الطبقات الكبرى (ج٣ ق٢ ص١٨١ طبعة ليدن) : قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة قال أول قتيل من الأنصار فى الاسلام عمير بن الحمام وليس له عقب .

قال أبوتراب هذا هو موضع الوهم الذى وقع فيه الأستاذ فانه ظن ان عميرا اول قتيل فى المعركة تعلقا خاطئا بهذا الخبر وليس الأمر كذلك فان هؤلاء الحفاظ لم يقولوا هذا وانما قالوا انه اول قتيل من الأنصار يوم بدر وهذا صحيح لاريب فيه لكن الأستاذ لم يتأمل .

وموضع آخر لوهم الأستاذ هو اعتماده على نقل الحافظ ابن حجر فى الاصابة (ج ٣ ص ٣١) : حيث قال فى ترجمة عمير مانصه : كان أول قتيل قتل فى سبيل الله فى الحرب .

قال ابوتراب وسقط من النسخة المطبوعة قوله « من الأنصار » فظن الأستاذ ان هذا هو أول قتيل ولم ينتبه لذلك احد من المحققين .

ونعوذ بالله من ان ننسب فضيلة احد الى آخر فان عميرا ليس اول قتيل بل هو مهجع العكى وابوه صالح وهو مولى عمر بن الخطاب يمان من عليه عمر فأعتقه وكان من السابقين الى الاسلام شهد بدرا فكان أول قتيل بذلك اليوم وهو الذى نزلت فيه وفى رفاقه « ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى » هكذا نص الحافظ ابن حزم فى الجوامع (ص ١١٣) .

وكذلك ذكره الحافظ العسقلانى فى الاصابة (ج ٣ ص ٤٤٦) وقال الحافظ ابن عبدالبر فى الاستيعاب كان مهجع اول قتيل من المسلمين يوم بدر اتاه سهم غرب فقتله قال ابوتراب وجدت ان قاتله عامر بن الحضرمى .

وقال ابن الاثير (ج٤ ص٤٨٤) مهجع اول قتيل من المسلمين يوم بدر أتاه سهم وهو بين الصفين فقتله وقال ابن سعد (ج٣ ق١ ص٢٩٥ طبعة ليدن) : اخبرنا وكيع بن الجراح والفضل بن دكين عن المسعودى عن القاسم بن عبدالرحمن قال اول من استشهد من المسلمين يوم بدر مهجع واخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا ابراهيم بن اسماعيل بن ابى حبيبة عن داود بن الحصين قال محمد بن عمر وأخبرنا محمد بن عبدالله عن الزهرى قالا كان اول قتيل قتل من المسلمين يوم بدر مهجع .

وبهذا لاح ان عميرا ليس أول قتيل من المسلمين بل هو أول قتيل من الأنصار قتل مع عبيدة ولكن عبيدة مات على ليلة من بدر بالصفراء على اثر انقطاع رجله فى المعركة فارتث منها فمات وقطعها عتبة بن ربيعة أو شيبة بن ربيعة على اختلاف فى ذلك وقتل قاتله بعدئذ وكان عبيدة مع على وحمزة وأما قاتل عمير وهو خالد بن الأعلم فلم يذكروا عنه شيئا لكنى وجدت فى جوامع ابن حزم ص ١٥١ وص ١٧٤ انه خزاعى ويقال عقيلى وهو اول من فر من المشركين يوم بدر فأدرك وأسر وقتل يوم أحد وروى انه من قتلى بدر ويمكن الجمع بين الروايتين لمن تأمل ان شاء الله ...

* * *

وتعقب الزيدان -٤-

قال أبو تراب : وهم زيدان وهو الأستاذ الذى آخذ عنه نتفا متخيرة من معرفة الأنساب والتواريخ واحمل عنه من علم الأودية ومساقط القطر والبقاع ماشاء الله ان احمل فى مجالس تعمر بالأدب والظرف وحسن المذاكرة وتأدية الأمانة فكأنى فى تحديد الأمكنة ببلاد العرب ومواضع الحروب والغزوات ومسائل النسب والأصهار والأظآر على الخبير وقعت وفى النار نفخت لأنه عذيقها المرجّب وجذيلها المحكك فاذا سألته عن شىء بشأنها وجدت لذاكرته اسعافا وآنست من رافدته انصافا فهو الأستاذ بحق وشيخ محجّتنا بصدق ولكن الغلط لايسلم منه انسان وهذا من آيات عجز الآدميين فى الأكوان .

تذاكرنا فى ابن أبى كبشة ولم دعى رسول الله ﷺ بذلك فاختلط عليه الأمر فظن انه كان احتقارا من المشركين وتعييرا ارادوه وانفض المجلس على ان نرى من هو ابوكبشة لأنه لم يحضرنا ساعة البحث وقلت له أنّى قرأت الكلام عنه فى شروح البخارى لأن الحديث فى الجامع الصحيح فى قصة هرقل ونصه : (فقال ابوسفيان بن حرب لما قرأ هرقل كتاب النبى ﷺ : لقد أمر أمر ابن ابى كبشة انه يخافه ملك بنى الأصفر) .

وكان المشركون يقولون للنبى ﷺ ابن ابى كبشة .

ورجعت الى البيت وفى نفسى خلجة وليس عندى من المراجع بجدة

ماأستطيع معه البحث اللهم الا بعض المدونات المتداولة فطفقت نقبا عن الأسفار والمجلدات حتى وجدت فى كتاب ـ تحفة الأبيه ـ للمجد ص ١٠٠ مانصه : (قيل نزع فى الشبه الى ابى كبشة احد اجداده فقالوا ابن ابى كبشة قال الزبير بن بكار ليس مرادهم عيب النبى ﷺ وانما مرادهم مجرد التشبيه) .

وبهذا علمت ان الزيدان أخطأ اذ قال انهم كانوا يعيرونه بشىء ولكن نقل هذا الرأى ايضا على ضعفه فقد قال بعضهم : هذا منهم ايذاء للنبى ﷺ وأقبح ماكانوا يدعون به من الكنى والأسماء .

وليس بين يدى الآن أى شرح للبخارى لأقف على وجه التحقيق ولكنى قرأت فى « جمهرة النسب لابن الكلبى » يقول : أم وهب جد النبى ﷺ قيلة بنت أبى قيلة وهو وجز بن غالب بن الحارث بن عمرو بن حوى بن ملكان ابن افصى بن حارثة بن خزاعة تقول خزاعة ابوكبشة هو ابوقيلة .

ولم أجد هذا عند ابن حزم ولا عند ابن عبدالبر .

وقرأت فى كتاب « من نسب الى غير ابيه » للفيروز آبادى وهو عندى ان العلماء اختلفوا فى ذلك فقيل :

١ ـ ابوكبشة كنية زوج حليمة السعدية التى أرضعت النبى ﷺ وهو ابوه من الرضاعة واسمه الحارث بن رفاعة السعدى قاله ابوالحسن على بن خلف بن بطال .

٢ ـ وقيل هو كنية وهب بن عبدمناف جد النبى ﷺ من قبل أمه آمنة بنت وهب بن عبدمناف جد النبى ﷺ لأنه كان نزع اليه فى الشبه .

٣ ـ وقيل أبوكبشة رجل من خزاعة خالف قريشا فى عبادة الأوثان وعبدالشعرى العبور فشبهوا النبى ﷺ به ومعناه انه خالفهم كما خالفهم ابوكبشة .

٤ ـ وقيل ابوكبشة عم ولد حليمة السعدية .

ونقل بعض ذلك فى القاموس ولم اجد اباكبشة فى شىء من نسب بنى سعد ولاعبدمناف عند القلقشندى فى كتابه الجمهرة ولا فى الأنباه على قبائل الرواة للنمرى .

وفى كتابنا هذا « أوهام الكتاب » استدراكات لنا فى « أبى كبشة » فلتنظر فى موضعها منه .

* * *

تعقب عمر عبد الجبّار

قال أبو تراب : قرأت فى هامش كتاب تاريخ الكعبة المعظمة للمؤرخ الحجازي حسين باسلامة الذى طبع بعناية المربى الشيخ عمر عبد الجبار تعليقا فى الأوائل على رواية البخارى فى قول خديجة رضى الله عنها فى بدء الوحى حين ذهبت برسول الله ﷺ الى ورقة بن نوفل : انك لتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق كلا والله لا يخزيك الله ابدا .

قال المعلق : ان هذا خطأ والصواب (وتعين على نوائب الدهر) .

قال أبو تراب : الرواية كما وردت فى صحيح البخارى : وتعين على نوائب الحق وتناقلها العلماء صدرا عن صدر وكابرا عن كابر وفيها البلاغة كل البلاغة تتمتع بها زوج رسول الله ﷺ خديجة الكبرى رضى الله عنها والتاريخ يشهد بعقلها ورزانتها وصائب فهمها ودقيق قولها .

وكانت خديجة رضى الله عنها بعيدة النظر عميقة الغور عظيمة العقل جليلة المعنى حين قالت : وتعين على نوائب الحق ولم تقل وتعين على نوائب الدهر لأنه لا يمكن ان يكون رسول الله ﷺ يعين على نوائب الدهر وما كان ينبغى له ان يعين على نوائب الدهر كلها فان نوائب الدهر منها ما هو خير ومنها ما هو شر ويأبى الله ان يكون رسول الاسلام يعين الناس على شرور فلو كانت الجملة (وتعين على نوائب الدهر) كما يريد المعلق اذا لكانت ذما نعوذ بالله من ذلك ،

فلذلك قالت خديجة .. وتعين على نوائب الحق لأنه لا يعين إلا على الخير وكان ذلك منها اعجازا فى البيان وتناهيا الى المعنى السامى الذى يليق بمقام النبوة الا ان المعلق الفاضل لم يصل الى هذا المعنى الكريم العزيز فأشكل عليه الأمر وكان من واجبه ان يلجأ الى العلماء وكتب الشرح لينفتح له ما انغلق على عقله

غير انه لم يتبع طريقة طلب العلم فتعدى على الرواية والرواة والحديث والمحدثين وجعل من رأيه معيار التصحيح لرواية طالما خرجت من احبار اقلام المحدثين الحفاظ ووعتها عقول وسمعتها آذان وقرأتها ألسن كانت تتقن وتضبط وتنقط ولا تهمل وتشكل ولا ترسل وتقف ولا تتعدى فأين هذا من آداب المتعلم اليوم وأدب العالم يملأ شدقيه بتكذيب رواية وتصحيح دراية .

وبمثل ما قلنا قال الأئمة والمحدثون والحفاظ والشراح ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلانى والامام الكرمانى والامام النووى والعينى والقسطلانى وغيرهم وهاك نصوص هؤلاء فى شروحهم لتقف على المعنى الذى رمت اليه خديجة رضى الله عنها فى قولها « نوائب الحق » من اعانته ﷺ على النوازل فى الأمور التى تؤل الى الخير وبعده عن النوائب التى تكون فى الشر والدهر كلمة شاملة تكون فيه نوائب من الصنفين فلم يكن من الصواب ان تطلق فى مقام صفة النبى ﷺ ونعته بما جعله الله من خلقه لئلا يصدق عليه معنى اعانته على نوائب تكون فى الشر لأن ذلك بعيد عن اخلاق النبوة ومقام المحمدة فوجب ان تكون اعانته على نوائب الحق فقط دون سائر النوائب التى تكون فى الدهر من خير وشر فهو عليه الصلاة والسلام كان يعين على الخير منها وهى تسمى نوائب الحق .

قال الكرمانى ج ١ ص ٣٧ :

نوائب الحق جمع نائبة وهى الحادثة خيرا أو شرا وانما قالت نوائب الحق لأنها تكون فى الحق والباطل قال لبيد :

نوائب من خير وشر كلاهما فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

وقال الحافظ فى الفتح ج ١ ص ٢٥ :

نوائب الحق كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم وقال العينى فى عمدة القارى ج ١ ص ٥١ :

النائبة هى الحادثة والنازلة خيرا او شرا وانما قال نوائب الحق لأنها تكون فى الحق والباطل تقول ناب الأمر نوبة نزل وهى النوائب والنوب .

وقال النووى فى شرح مسلم ج ١ ص ٢٠٢ : وانما قالت نوائب الحق لأنها قد تكون فى الخير وقد تكون فى الشر قال العلماء : معنى كلام خديجة رضى الله عنها انك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الاخلاق وكرم الشمائل ، وذكرت ضروبا من ذلك وفى هذا دلالة على ان مكارم الاخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء وفيه مدح الانسان فى وجهه فى بعض الأحوال لمصلحة وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره وذكر اسباب السلامة له .

وفيه ابلغ دليل واعظم حجة على كمال خديجة وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها .

ومثله فى شرحه على البخارى ج ١ ص ٥٤ والقسطلانى ج ١ ص ٥٥ وعون البارى للنواب صديق حسن القنوجى ج ١ ص ٦١ قالوا : النوائب فى الحق والباطل لذلك قالت نوائب الحق فاضافتها الى الحق فيه اشارة الى فضل خديجة

وجزالة رأيها وهذه الخصلة جامعة لأفراد ما سبق وغيره .

وبهذا عرفت أيها القارىء ان كلام المعلق كان خاطئا لأنه أراد اضافة نوائب الدهر كلها من خير وشر وحاشا ان يكون رسول الله ﷺ يعين على شرها .

***

تعقب غوستاف وزعيتر

قال أبو تراب : قال الدكتور غوستاف لوبون فى كتاب حضارة العرب الذى نقله الى العربية الاستاذ عادل زعيتر (ص ٤٤٧) فى الكلام عن الأدب العربى والشعر عند العرب وبلوغه الذروة فى القرن الذى سبق الدعوة : انه انتهت الينا المعلقات السبع بفضل حفظ اهم اشعار العرب فى الكعبة ، ويرى فى المعلقات السبع وصفا لحروب العرب ولحياة البادية الجافية القاسية ولمغامرات الأعراب .. الخ .

واقتطف أبياتا من معلقة طرفة بن العبد البكرى وصف بها الحياة . قال : لا أرى أكثر الفلاسفة ارتيابا يضيف اليها شيئا كبيرا ..

وتلك الأبيات هى التى يقول فيها طرفة :

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة ۞ ومـا تنقص الأيـام والدهـر ينفد

الى ان قال :

وتقرب من تلك الأفكار الممتازة انشودة حرب جاء بها بلغريف من نجد ولم يعرف زمن قرضها ، فمنها يبدو بوضوح - كما يبدو له من القصيدة السابقة - ماذا كان يجول فى خاطر المحارب العربى .

ثم ذكر الأبيات التى أولها :

اقـول لهـا وقـد طارت شعاعا ۞ من الأبطـال ويحـك لن تراعى

وأقول فى استدراكى على الدكتور غوستاف : انه ليس العجب من خفاء قائل الأبيات عليه فقد نلتمس له عذرا فى ذلك لبعده عن الثقافة العربية وانما العجب من الأستاذ عادل زعيتر حيث لم يطلع على من قال تلك القصيدة ثم لم يكلف نفسه عناء البحث والمراجعة لتتسنى له الاشارة الى ذلك فى حاشية الكتاب وها أنا ذا آتى على تخريج الأبيات وترجمة قائلها فدونك ما سقناه .

أما قائل الأبيات فهو قطرى بن الفجاءة ، ففى شرح البكرى على أمالى القالى (ج ١ ص ٥٧٥) : اخذ قطرى ابن الفجاءة قوله :

اقول لها وقد طارت شعاعا	من الأبطال ويحك لا تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم	على الأجل الذى لك لم تطاعى

من قول ابن الاطنابة فى حديث معاوية حيث قال : لقد وضعت رجلى فى الركاب يوم صفين غير مرة فما يمنعنى من الانهزام الا أبيات ابن الاطنابة :

أبت لى عفتى وابى بلائى	وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واعطائى على الاعدام مالى	وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت	مكانك تحمدى او تستريحى
لادفع عن مآثر صالحات	واحمى بعد عن عرض صحيح
بذى شطب كمثل الملح صاف	ونفس ما تقر على القبيح

أنشدها ابو على فى الأمالى (ج ١ ص ٢٦٢ و ٢٥٨) ويروى « رويدك » بدل : « مكانك » ، « واقدامى على المكروه نفسى » بدل :« واعطائى » .. الخ ، والمشيح فى البيت بمعنى المبادر المنكمش ، ويروى « لن تطاعى » بدل :

« لم تطأعى » فى قول قطرى ، « وأكسبها » بدل : « وأدفع عن » فى قول ابن الاطنابة .

وروى ابن الجراح : « وقولى كلما جشأت لنفسى » . قال البكرى رواه غير واحد وهو احسن من وجهين : احدهما ان جشأت وجاشت بمعنى واحد معناهما الارتفاع ، والثانى الضمير على مذكور .

وعلق الراجكوتى على هذا بقوله : مثل هذا الاستدلال أصلح بكتب المنطق منه بالشعر وذلك ان الشعر بابه التجوز والفسحة ، وقد قال لبيد :

(سبعا تؤاما كاملا أيامها)

والليالى السبع التؤام هى التى مع الأيام فما معنى كاملا ايامها اذن ..

وابن الاطنابة الذى اخذ من قوله قطرى هو عامر وقيل عمرو بن زيد بن مناة الخزرجى شاعر جاهلى ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء (ص ٨) والاطنابة أمه ، قال الطبرى وهى من بلقين ، وكان فارسا ..

وأبياته أجود ما قيل فى الصبر على مواطن الحروب كما قاله العينى وهى فى عيون الاخبار لابن قتيبة (ج ١ ص ١٢٦) والكامل للمبرد (ج ٢ ص ٧٥٣) وتاريخ الامام الطبرى (ج ٦ ص ١٣) والمزهر للسيوطى (ج ٢ ص ١٩٧) وشرح شواهد المغنى (ص ١٨٦) وشرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد (ج ٢ ص ٦٨٦) وابن الجراح (ص ٢٣) والشواهد الكبرى للبدر العينى (ج ٤ ص ٤١٥) وانظر ايضا معجم المرزبانى (ص ٨) .

وفى رواية السيوطى :

« بأبيض مثل لون الملح » بدل : « بذى شطب كمثل الملح » .

ورواية معاوية المتقدم ذكرها أخرجها ابن عساكر فى تاريخه .

وها هنا قصة لابد من ذكرها لمناسبتها أوردها السيوطى وأخرجها ابو احمد العسكرى فى كتاب ربيع الآداب بسنده عن ابى حاتم قال : قال عبد الملك بن مروان وجد فرسان العرب فى أشعارها ثمانية اثنان منهم لم يجزعا من الموت وستة جزعوا فمن الستة عمرو بن الاطنابة حيث يقول : « أبت لى عفتى » .. الخ فلم تجش نفسه الا وقد جبن .

وعنترة حيث يقول :

يدعــون عنتــر والرمــاح كأنها ... أشطــان بئــر فى لبــان الأدهم

إذ يتقــون بى الأسنــة لم احم ... عنهــا ولكنــى تضايــق مقدمى

فلم يضق مقدمه الا وقد جبن ، وابو القيس ابن الأسلت حيث يقول :

وقــولى كلما جشــأت لنفسى ... من الأبطــال ويحــك لن تراعى

فما جشأت نفسه الا وقد جبن ، ودريد بن الصمة حيث يقول :

ولقــد اصرفهــا مدبرة ... حــين للنفس من الموت هدير

ولقــد أجمــع رجلى بها ... حذر الموت وانــى لوقور

كلما ذلل منــى خلق ... وبــكل انــا فى الــروع جدير

فلم يحذر الموت الا وقد جبن ، وعمرو بن معد يكرب حيث يقول :

ولما رأيــت الخيــل زورا كأنها ... جداول زرع أرسلــت فاسبطرت

فجاشــت الى النفس اول مرة ... فردت الى مكروههــا فاسبطرت

الخ .. فلم تجش نفسه الا وقد جبن ..

وأما اللذان لم يجزعا من الموت فعباس بن مرداس حيث يقول :

اكر على الكتيبة لا أبالى أحتفى كان فيها أم سواها

وقيس بن الخطيم حيث يقول :

وانى بالحرب العوان موكل باقدام نفس ما أريد بقاها

وفى هذه الرواية وهم لابد من التنبيه عليه وهو إن نسبة قول قطرى المبحوث عنه جاءت فيه الى ابى قيس بن الأسلت وذلك خطأ كما حقق .

أما ابيات قطرى التى لم يعرف الدكتور غوستاف قائلها ولا الاستاذ عادل المترجم فهى بتصريح النسبة اليه فى الحماسة لابى تمام (ج ١ ص ٥٠) بشرح التبريزى : وأمالى المرتضى (ج ٣ ص ٨٩) : والشواهد الكبرى للبدر العينى (ج ٣ ص ٥٢) والوفيات لابن خلكان (ج ١ ص ٤٣٠) وشواهد المغنى (ص ١٨٦) .

وقد أثبت التبريزى الأبيات فى شرحه (ج ١ ص ٩٦) وأغفلها المرزوقى فلم نجدها فى النسخة المطبوعة بعد بحث فلتكن على علم وبعد البيتين السابقين :

فصبرا فى مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع

ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخنع اليراع

ومن لا يعتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون الى انقطاع

وما للمرء خير فى حياة اذا ما عد من سقط المتاع

واخو الخنع فى البيت هو الذليل واليراع الرجل الجبان . وأما قطرى بن الفجاءة فهو رجل خارجى ازرقى تميمى سلم له بالخلافة عشرين سنة ويكنى ابا نعامة .

وقيل ثلاث عشرة سنة نقله الاستاذ محيى الدين عبد الحميد فى تعليقه على شرح التبريزىَ وذكره السيوطى فى الشواهد قائلا وقتله عسكر عبد الملك بن مروان سنة ٧٩ ، ونقل الاستاذان احمد امين وعبد السلام هارون فى تعليقهما على شرح المرزوقى عشرين سنة والقول السابق فيه نظر ، لأن ابن حزم وهو المؤرخ المدقق يقول فى الجمهرة : (ص ٢٠١) انه سلم عليه بالخلافة عشرين سنة : وابن حزم أبصر بالتواريخ .

قال والفجاءة لقب لأبيه لأنه غاب الى اليمن ثم أتاه قومه فجاءة .

واسم قطرى جعونة بن يزيد من بنى مازن ، وأخوه جرموز بن الفجاءة كان على السنة ، وكان يقاتل أخاه.

والقطرى منسوب الى موضع يقال له : قطر بين البحرين وعمان وهكذا نسب اليه لعلة وانما مولده موضع يقال له الاعدان قاله أبو العلاء.[1]

***

(١) قال أبو تراب :

هذا ماجرى به القلم سابقاً ، ثم أوضح لنا الكاتب البارع الأديب اللامع الأستاذ أكرم زعيتر فى تعقيبه المنشور بـ « البلاد » أن شقيقه المترجم ـ وهو من هو علماً واطلاعاً وبحثاً وتقصياً وبلوغ شأو لا يدانى ـ أورد القصيدة بالنص العربى منظومة ، ولم تكن بالأصل الفرنسوى إلا مترجمة منثورة ، فلو لم يطلع عليها فى مكانها لما استطاع إيرادها ، فهو إذ أوردها فقد اطلع على قائلها لأن معظم المراجع ذكرت اسمه ، فلو قلت : ليت عادلاً أشار الى القائل بالهامش ، لكان أليق وشق على الأستاذ مانعت به أخاه ، وله الحق فى ذلك ولكن هل تنفع الكسعّى الندامة ؟

المستدرك على الرفاعي

قال أبو تراب : فى صفحة الأدب تحت عنوان (الى مجهولة) من جريدة الندوة كتب الأديب الصديق الاستاذ النبيل البارع عبد العزيز الرفاعى خماسية عن بعض انطباعاته اللطيفة فى مدينة برلين وهى من البحر الخفيف ووزنها :

فاعلاتــن متفــع لن فاعلاتن فاعلاتــن متفــع لن فاعلاتن

لكن جاء البيت الثالث منها مكسورا بزيادة متحركين بينهما ساكن وهو الوتد المفروق فى اول الشطر الثانى حيث قال الفاضل :

ليس الا السماء تبــكى على البا كين حينما ترسـل الدمــوع رذاذا

فقوله : حينما ترسل الدموع رذاذا مصراع مستقيم لان وزنه : (حينما تر. فاعلاتن . سل الدمو. متفع لن . ع رذاذا . فعلاتن) .. غير ان لفظة (كين) فى اول هذا المصراع - وهى تتمة كلمة (الباكين) - التى جاءت متخلفة من المصراع الأول لتمامه على لفظة (البا) زائدة على الوزن فلا وزن الشطر الأول يحتملها ولا وزن الشطر الثانـى فالشطـران بدونهـا تامـان وان لم تتـم كلمـة « الباكين » اذن يحتاج الأمر الى المعالجة ..

فرأينا ان نغير كلمة : (حينما) ونبدلها بلفظة (إذْ) الزمانية وهى بمعناها ايضا ذلك اننا نحتاج الى تفعيلة (فاعلاتن) فى اول الشطر فاذا فعلنا كما قلت حصل لنا هذا الغرض اذ يصير الشطر هكذا :(- كين اذ ترسل الدموع رذاذا)

ووزنه : (كين اذ تر . فاعلاتن . سل الدمو . متفعلن . ع رذاذا . فعلاتن)
وبهذا تفادينا الغلط الذى أشرنا اليه لانا كنا نحتاج فى التفعيلة الأولى من هذا الوزن الى سبب خفيف ووتد مجموع ثم سبب خفيف آخر ويعنى هذا « فعلاتن » متحرك فساكن ومتحركان فساكن ثم متحرك فساكن وهو الذى حصل اذ قلنا : (كين اذ تر) اى (فعلاتن) وتبقى (كين) زائدة فعالجنا الأمر بما رأيته ليستقيم لنا الوزن والمقام .

* * *

التعقيب على الشيال (٢)

قال أبو تراب : نشرت مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة **١٩٤٦** م كتاب « نحل عبر النحل » لتقي الدين المقريزي بتحقيق الأستاذ جمال الدين الشيال ، أفرغ جهده في شرح الكتاب وتحشيته وتهميشه ومع ذلك لم يخل الكتاب من مآخذ وأوهام وقع فيها المحقق الفاضل .

وأول هذه الأوهام خطأ عجيب وقع فيه الشارح هو في ترجمة يحيى بن سعيد في اسناد حديث ابن ماجه عن ابي بشر بكر بن خلف قال حدثني يحيى بن سعيد عن موسى بن أبي عيسى الطحان عن عبدالله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير .

زعم الأستاذ أن يحيى بن سعيد هذا هو الانصاري ثم ذكر انه مات سنة **١٤٣** وذكر في ترجمة بكر بن خلف الذي يروى عنه أنه مات في سنة ٢٤٠ .

فكيف يتصور العاقل أن يسمع بكر من يحيى وبينهما هذا الدهر الطويل .

نعم ان خطأ الأستاذ الشيال في التباس يحيى عليه فقد زعم انه الانصاري وليس كذلك بل هو القطان المتوفى **١٩٨** ولو كان الاستاذ يمارس علم الرجال والرواة لرجع الى ترجمة موسى بن أبي عيسى في التهذيب لابن حجر اذن لوجد ان من الرواة عنه يحيى القطان .

وخطأ آخر هو انه أثبت (موسى ابن أبي عيسى الطحان) وليس كذلك بل

هو الحناط كما فى كتب الرجال والخطأ جاء من نسخة الدميرى التى اعتمد عليها المحقق ولم يفتش أو ينتبه .

وأثبت الاستاذ ايضا (عن عبد الله عن أبيه) كما أسلفنا والصواب عن عون بن عبد الله عن أبيه كما فى الدميرى ج ٢ ص ٤٠٣ (طبعة بولاق) .

ثم نؤاخذ الأستاذ على انه زاد فى آخر الرواية على سياق المقريزى جملة : (ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم) وأخذ هذه الزيادة عن الدميرى وزادها على متن المقريزى ولم يقلها المقريزى أصلا ولا ساق السند بل نسب الحديث الى ابن ماجة قائلا (ولابن ماجة من حديث النعمان) فما الذى يدعو الى أن نزيد على سياق المقريزى دون ما فائدة والزيادة الأخيرة يحسن أن تكون فى الحاشية تعليقا لا زيادة فى المتن والأصل .

وأيضا ففى هذه الاضافة فقدان للفائدة لأن الحديث يصبح صحيحا بتصحيح الحاكم وحده أما لو كان الكلام بقى على أصله لكان لنا تصحيحان تصحيح الحاكم وتصحيح المقريزى لأن المقريزى محدث يصحح على شرط مسلم .

* * *

وتعقيب آخر على الشيال (٣)

قال أبو تراب : ووقفت على كتاب النحل لتقى الدين المقريزى ففتننى مرآه كأنه نهر تجرى فيه السابحات وتنبسط على حفافيه شطآن خضر تحفها نخل باسقات يكلل هاماتها تيجان الطلع النضيد فاذا تصديت لنعت هذا الكتاب آدنى الثناء عليه بما هو له أهل .

فان شئت فارم ببصرك تجد العلم يموج بين ثناياه وتحس بعمق البحث ومكانة المتقدمين فى حلبة الدراسات الواسعة وجلدهم وطول اصطبارهم على وعثاء المراجعات والتنقيب والغربلة والتمحيص .

وحق لى ان اندهش فقد اندهش قبلى الامام الذهبى على جلالة قدره وعلو كعبه اذ رأى مجلدا ضخما للامام الطبرى جمعه فى طرق حديث الطير و (كذاك الكريم يجلّ الكراما) .

لكن لم يستمر اعجابى ببحوث الكتاب ومضامينه حتى نعيتها وان لم ينعها الناعون لأخطاء كثيرة وقع فيها محقق الكتاب وكلمات ندت عنه ظامئة الى تحقيقها وأخرى تشوهت بالتحريف فهى تشكو جراحا لم تندمل على مر زمن عليها فارتاعت حشاشتى فرحت اعمل فيها قلمى واسهر عليها ناظرى واتعب عليها خاطرى بغية الاصلاح واقامة الأود .

وهاك اول هذه الأوهام التى عثرت بالدكتور جمال الدين محقق نص

النسخة . جاء فى كلام المقريزى عند حكاية اختلاف القراء فى قراءة حرف من القرآن ما لفظه : « اختلف القراء فى كلمة (يعرشون) من آية النحل « وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » قال فقرأ ابن عامر (يعرشون) بضم الراء والباقون بكسرها الا عاصما فانه اختلف عنه فروى الوجهان جميعا » .

واصلح الدكتور هذا النص الجلى الواضح المعنى بقوله : « الا عاصما فانه اختلف عنهم فروى الوجهين جميعا » ولعمرى ان فى هذا الاصلاح لا فسادا افضى الى التحريف الذى لا معنى له فان المقريزى يقول : ان القراء قرأوا بكسر الراء وقرأ ابن عامر بضمها وقرأ عاصم بهما جميعا وهذا معنى قوله : روى عنه الوجهان معا . وغير الأستاذ كلمة (عنه) فجعلها (عنهم) وكلمة (الوجهان) الى (الوجهين) ثم اثبت الأصل فى الهامش وادعى التصحيح والعياذ بالله . وليعذرنى الفاضل الكريم اذا قلت ان هذه جرأة واقدام وعبث بكلام العلماء لا ينبغى لمن لا يعرف اصطلاح علماء القراءات فى حكايتهم للروايات ولا طالع شيئا من كتب القوم ولا سأل العلماء ان يتعرض لهذا التصرف فى كلام المؤلفين فيحرفه كما شاء استقام أم اعوج لا يبالى بأمانة العلم ولا الحفاظ على النقل ولا التثبت بالرجوع الى الأصل .

* * *

ورد أيضًا على الشيال (٤)

قال أبو تراب : قال الأستاذ جمال الدين الشيال فى تحقيقه لكتاب المقريزى الذى سبق أن أشرنا اليه فى ص ٤٩ ما نصه بعد قوله : « وقال ابو بكر ابن ابى شيبة حدثنا ابو معاوية عن الأعمش عن خيثمة عن الأسود قال قال عبد الله(؟) » ان الأعمش مات سنة ١٤٨ نقلا من كتاب المعارف وترجم لشيخه نقلا من كتاب الاعلام فذكر انه ابو الحسن خيثمة بن سليمان القرشى الطرابلسى وانه مات سنة ٣٤٣ .

قلنا وكيف يعقل يا أستاذ ان يروى الأعمش المتوفى ١٤٨ عن شيخ مات بعده بنحو ٢٠٠ سنة وهذا خيثمة الذى يزعمه يروى عن الأسود بن يزيد الذى ذكر المحقق الفاضل انه مات سنة ٧٤ أو ٧٥ وفى ذلك عجب .

ولو رجع الأستاذ الى تهذيب التهذيب لسلم من هذا الخبط خبط عشواء ولوجد أن خيثمة هو ابن عبد الرحمن الجعفى الكوفى وهو تابعى يروى عن الصحابة وعن كبار التابعين وهو الذى يروى هذا الأثر الذى علق عليه الأستاذ الشيال .

والغريب ان الأستاذ وضع علامة استفهام هكذا (؟) بجانب اسم عبد الله فى السند وهذا يدل انه لم يعرفه ومن المعلوم أنه عبد الله بن مسعود لدى علماء

الحديث والطلبة لأن الأسود بن يزيد إذا روى عن عبد الله باطلاق فهو ابن مسعود .

وكذلك فعل الشارح الفاضل فى أثر بعد هذا عن عبد الله فى ص ٥٠ فوضع بجوار اسمه علامة استفهام لخفائه عليه وهو ليس بخاف .

ومما لا يعجبنا من المحقق انه يرجع فى التراجم الى غير المراجع التى وضعت فى الفن فيجعله ذلك يتخبط ويتيه فيظن ظنونا بعيدة وذلك كرجوعه فى ترجمة الأعمش الى المعارف وترجمة خيثمة الى الاعلام وأبعد من ذلك ان يرجع فى تراجم المحدثين المشاهير الى كتب الفرنجة ودوائر المعارف والمعاجم وكتب الأدب وهذا يدل على عدم التمكن من الفن وقلة الممارسة والدراية .

وظهر لنا بعد التتبع ان المحقق الفاضل ليس من علماء الحديث ولا من طلبته ولا كانت علوم الحديث صناعته لذلك تراه يرجع فى تخريج الأحاديث الى كتب الأدب وفى تراجم العلماء الى كتب ليست مرجعا لها فيقع بذلك فى أوهام شنيعة وأخطاء فاحشة تشين وتسقط من قيمة تعليقاته وأهميتها .

ولنا بعد ذلك عودة الى الكتاب لنصلح من تعليقاته ما كان غير صائب يغير التاريخ ويبدل نصوص العلم ونسأل الله التوفيق .

* * *

وهم الشيخ أحمد شاكر (٣)

قال أبو تراب :

ووهم الشيخ احمد شارك ايضا فى قول الطرماح وهو ابن حكيم من قبيلة طىء ويكنى ابا نفر .

وترجمته فى كتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٣٤) والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى (ج ١٠ ص ١٤٨) والمؤتلف (١٤٨) وشواهد العينى (ج ٢ ص ٢٧٦) .

وجاء فى طبقات الدينورى (ج ٢ ص ٥٦٧) انه قال يهجو تميا :

أفخرا تميا إذ فتية خبت ولؤما اذا ما المشرفية سلت

قال الشيخ احمد شاكر :

(فتية) بالتصغير والتكبير .. يريد الحرب سماها بذلك كأنه علم لها وأخذه من الحديث .

وقال فى النهاية : وفى حديث البخارى : الحرب أول ما تكون فتية . هكذا جاء فى الرواية على التصغير (أى شابة) .

ورواه بعضهم (فتية)بالفتح وهو خطأ يختل به الوزن وهى بمثابة العلم لا تصرف .

قال أبو تراب : رحم الله الشيخ :

فقد أخطأ فان الطرماح الشاعر لم يقل : (فتية) لا بالتصغير ولا بالتكبير

ولم يسم الحرب بذلك ولم يأخذه من الحديث ، وانما قال :

(أفخرا تميميا اذا فتنة خبت)

وهو النص فى ديوانه : ص (١٣١)

ومعناه :

أتفخر فخرا تميميا يا فرزدق بعد ان سكنت الفتنة وتأتى عند التسابق باللوم فتفر أنت وقومك .

وبعد البيت :

ولو خرج الدجال ينشد دينه   لوافت تميم حوله واحزألت

الى آخر القصيدة . واشترك مع الشيخ احمد شاكر فى هذا الخطأ الأستاذ عبد السلام هارون فجعلا قوله (تميميا) تميا وقوله (فتنة) (فتية) وقوله (خبت) من خبا يخبو (خبت) من خب يخب فهذه ثلاثة أخطاء فى بيت واحد أوقعهما فيها الوهم لا الجهل .

وكان الطرماح خطيبا شاع خبره فى القبائل ، وكان رؤبة بمثابة شيخ له . يقول كان يسألنى عن الغريب ثم أجده فى شعره .

وكان يرى رأى الخوارج .

والأصمعى يستجيد شعره فى صفة الظليم .

مجتاب شملة برجد لسراته   قدرا واسلم ما سواه البرجد

وفى صفة الثور :

يبدو وتضمره البلاد كأنه   سيف على شرف يسل ويغمد

* * *

الاستدراك على الشيخ أحمد شاكر (٤)

قال أبو تراب :

وأذكر غفلة أخرى وقع فيها الشيخ احمد رحمه الله فقد علق على قول لابن ميادة ـ وهو شاعر من بنى مرة ذبيانى واسمه الرماح بن يزيد وميادة أمه وترجمته فى الاشتقاق (ص ١٧٥) والأغانى (ج ٢ ص ٨٥) واللآلى (ص ٣٠٦) والخزانة (ج ١ ص ٧٦) قال للوليد بن يزيد :

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بحرة ليلى حيث ربتنى أهلى

الى آخر الأبيات وهى موجودة فى « الشعر والشعراء » لابن قتيبة (ج ٢ ص ٤٨٥) وقد كتب عليها أحد المحشين : ان أول الأبيات من شعر بلال بن حمامة حيث يقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى أذخر وجليل

وكتب الشيخ احمد شاكر تحت هذا التعليق : (لست أدرى من بلال بن حمامة هذا ؟ أما صدر البيت « ألا ليت شعرى ») الخ فانه كثير الدوران على السنة الناس كأنه صار شبيهها بالأمثال) .

قال أبو تراب : كيف خفى على شيخ جليل مثل احمد شاكر اشتغل بالحديث ورواته هذا الصحابى السيد وهو بلال بن رباح مؤذن الرسول ، وحمامة هذه أمه يقال انها بنت أحد الكبار من حبش أبرهة صاحب الفيل والشعر موجود

فى رواية البخارى بسنده عن عائشة انها قالت : كان بلال اذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة — بواد وحولى أذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة — وهل يبدون لى شامة وطفيل

ورواه أبو اسحاق بسنده .

ولا يعرف أهو شعر بلال أم مما تمثل به والحافظ لم يذكر نسبة البيتين .

وقال ابن هشام فى السيرة (ج ١ ص ٣٣٩) : بلال بن رباح كان اسم أمه حمامة . وقال ابن حجر الحافظ فى الاصابة : هو بلال بن حمامة وهى أمه . وقال الذهبى فى التجريد (ج ١ ص ٥٩) : بلال بن رباح أمه حمامة وهو فى تاريخ دمشق .

وذكره الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب وقبله ابن منده وأبو نعيم .

وبلال مشهور جدا شهد بدرا والمشاهد وسكن دمشق وله أربعة وأربعون حديثا كما يقول ابن حزم وهو سابق الحبشة الى الاسلام ومات سنة عشرين عن بضع وستين سنة وكان ممن عذب فى سبيل الله وأخرج حديثه الأئمة الستة .

* * *

بين الأنصاري وأبي تراب

من ابى تراب الظاهرى الى العالم الفاضل الأديب اللقن ميمون النقيبة محمود الخلة الاستاذ الكبير الشيخ عبد القدوس الانصارى ابقى الله عليك نعمته ما اختلف الملوان وذر شارق وهطل من المزن سجم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فلقد وقفت على الهامش الذى نشرته لكم جريدة « البلاد » بتاريخ ٢٠ ـ ١٠ ـ ١٣٨١ هـ فرأيت أنكم أحسنتم فيه التحبير وأحكمتم فيه القول فكان منطقه مهذبا ولفظه مزوقا ولا يضادك فى هذا الا من كان حظه أنكس وثمنه أبخس . وأنت المعروف لدينا بقوة الحجة ولزوم المحجة وصحة البرهان ووضوح البيان .

الا انه وقع نظرى على نص من كلامك أشكلت على استقامته وهو قولك : « وكلا التكليف والاداء ممثلان .. الخ » فكتبت اليك هذه الرسالة تعليقا على هذه الجملة وتفسيرا لمكان هذه العبارة من الاعراب ، وأنا أعلم أنه لا ينازلك الا مفلول ولا يجادلك الا محجوج ولكنه العلم يقتضينا طلبه أن نبحث ونتدارس فى سبيله . فاذا وجدت فى كلامى أمتا فأقمه أو أودا فأصلحه فكلانا رضيعا لبان المعرفة ان فاتتنا مصة نولتنا أم العلوم حلمة ثديها بحنان ، ثم ان رأيت فانشر كامل نص رسالتى هذه بمجلتك « المنهل » العذب فانها خير ميدان لمعترك الآراء واجمل بساط لمناقشتها ، وما اخالك تنبذ ما اكتب وراءك ظهريا .

أما وجه استغرابى للمقولة المذكورة فلانى قرأت قديما فى كتاب سيبويه نصه على لزوم اضافة (كلا وكلتا) للمثنى أو ماهو فى معناه ولا تقع اضافتهما للمفرد اصلا ، واعرف ان البصريين والكوفيين أجمعوا على ذلك ولم يختلفوا وانما اختلفوا فى اضافتهما الى النكرة وفى كونهما مثنيين لفظا أو معنى واذا كانا مثنيين على رأى أهل الكوفة فهل يستعمل مفرداهما وهما (كل وكلت) وكذلك اختلفوا فى اعرابهما حالة كونهما مضافين الى مضمر . هذا ولا اعرف بينهم خلافا فى كونهما يضافان الى المثنى أو ما حكمه حكم المثنى سواء أكان مظهرا أو مضمرا ويقول ابن مالك :

لمفهم اثنين معرف بلا تفرق أضيف كلتا وكلا

غير انهم ذكروا جواز اضافتهما الى مفرد معطوف عليه مفرد آخر فى الشعر خاصة ضرورة وهو نادر شاذ فكأن الاعتبار فيه اعتبار التثنية المعنوية المجازية اذ العطف يدل على الجمع فاذا اجتمع مفرد ومفرد كانا اثنين ولم يجيزوا هذا الاستعمال فى النثر عند سعة الكلام أما الشاهدان اللذان أوردوهما فهما شاذان ولا يعرف قائلهما وحملهما بعضهم على جواز الامر فى الشعر دون غيره .

وها أنا ذا أورد بعض النصوص النحوية معتمدا على مدوناتها الكبرى مختصرا بعض عباراتها خشية الاطالة وحسب مقتضى المقام قال الرضى فى شرح الكافية (ج ١ ص ٢٨) ان المضاف اليه (لكلا وكلتا) يجب أن يكون مثنى اما لفظا نحو كلا الرجلين واما معنى نحو كلانا ولا يجوز تفريق المثنى الا فى الشعر نحو كلا زيد وعمرو .

وقال ابن هشام فى المغنى (ج ١ ص ١٧٢) كلا وكلتا مضافان ابدا الى

كلمة واحدة دالة على اثنين اما بالحقيقة والتنصيص نحو كلتا الجنتين ونحو كلاهما أو بالحقيقة والاشتراك نحو كلانا فان (نا) مشتركة بين الاثنين والجماعة أو بالمجاز كقوله : (قائله ابن الزبعرى)

ان للخير وللشر مدى   وكلا ذلك وجه وقبل

فان (ذلك) حقيقة فى الواحد وأشير بها الى المثنى على معنى : (كلا ما ذكر) كقوله تعالى : (لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) قال وقولنا : مضافان الى كلمة واحدة احتراز من قوله : (كلا أخى وخليلى واجد عضدا) فانه ضرورة نادرة .

قال وأجاز ابن الأنبارى إضافتهما الى المفرد بشرط تكريرهما نحو كلاىَ وكلاكَ محُسنانِ .

وقال ابن يعيش فى شرح المفصل (ج ٢ ص ١٣٠) كلا اسم مفرد عندنا معناه التثنية ولا يدل بلفظه على جنس ذلك المثنى فلزمت اضافته الى جنسه ليعلم نحو جاءنى كلا اخويك .

وقال فى (ج ٣ ص ٢) : (كلا) موضوعة لتأكيد التثنية وهى من الالفاظ المضافة التى يؤكد بها المعرف وكل لفظ مضاف يؤكد به المعنى يكون مضافا الى ضمير ذلك المؤكد وانما كان كذلك ليعلم انه له وممكن لمعناه فلذلك وجب ان تكون كلا مضافة الى معرفة ومثنى لانه لا يؤكد بها الا ما هذه سبيله ، وان خرج عن سنن التأكيد بأن يكون مبتدئا نحو كلا اخويك جاءنى أو فاعلا نحو جاءنى كلا اخويك فلن يخرج عن حكم التأكيد ومعناه ومجاز ذلك على اقامة التأكيد مقام المؤكد فاصله جاءنى اخواك كلاهما فلذلك لزم ان يضاف الى المثنى .

الى ان قال : ويجوز التفريق فى الشعر كأن تضيفه الى اسم واحد ثم تعطف عليه اسما آخر بالواو نحو كلا زيد وعمرو إذَنْ الواو نظير التثنية اذ كانت الواو لا ترتب كالتثنية فحمل الكلام فى الشعر على المعنى نحو قوله :

كلا السيف والساق الذى ضربت به
على دهش ألقاه باثنين صاحبه

وصار ذلك كقولك زيد وعمرو قاما كما تقول الزيدان قاما ولا يجوز مثله فى حال الاختيار والسعة الا ترى انك لا تقول كلا اخيك وابيك ذاهب ولو قلت كلا زيد فعمرو جاءنى لم يجز فى الشعر ولا غيره لانك كنت تضيف كلا الى مفرد مخصوص وانما يضاف الى اثنين أوالى مفرد فى معنى التثنية أو الى لفظ مشترك بين التثنية والجمع فاعرفه .

وقال الزمخشرى فى المفصل (ص ١٧) : وحق ما يضاف اليه كلا ان يكون معرفة ومثنى أو ماهو فى معنى المثنى كقوله : (قائله النمر بن تولب)

فان الله يعلمنى ووهبا ويعلم ان سيلقاه كلانا

قال ويجوز التفريق فى الشعر كقولك كلا زيد وعمرو .

وقال الرضى فى شرح الكافية ايضا (ج ١ ص ٣٠٥) فى - جاءنى الرجلان كلاهما - لفظة (كلا) موضوعة للاثنينية التى هى مدلول (الرجلان) ضمنا وهو مع ذلك تأكيد فان قلت بل معنى (كلاهما) كلا الزيدين وكلا الزيدين هما الزيدان فمفهوم التأكيد مفهوم المؤكد قلت هذا وهم لان التأكيد هو (كلا) المضاف فمعنى كلا الزيدين اثناهما الا انه لم يستعمل لفظ (اثناهما) والاثنان مدلول لفظ الزيدين ضمنا لا مطابقة .

وقال ابن عقيل فى شرح الالفية (ج ٢ ص ٥٢) عند قول ابن مالك :

لمفهم اثنين معرف بلا   تفرق اضيف كلتا وكلا

انهما لا يضافان الى معرفة مثنى لفظاً ومعنى قال واحترز بقوله (بلا تفرق) من معرف أفهم الاثنين بتفرق فانه لا يضاف اليه (كلا وكلتا) فلا تقول كلا زيد وعمرو جاء وقد جاء شاذا كقوله :

كلا اخى وخليلى واجدى عضدا

فى النائبات والمام الملمات

وقال ابن مالك فى الكافية الشافية الكبرى (ص ١٥) ما نصه :

لمفهم اثنين بلا عطف ولا   تنكراضيف كلتا وكلا

وقال ابن الناظم فى الشرح (ص ٢٠٧) ولا يجوز اضافة كلتا وكلا الى مفهم اثنين بتفريق وعطف فلا يقال رأيت كلا زيد وعمرو والبيت المذكور من نوادر الضرورات .

وقال السيوطى فى البهجة المرضية (ص ١٠٥) ولا يضافان الى مفرد ولا لمنكر خلافا للكوفيين ولا لمفرق وشذ البيت المذكور .

وقال ابن هشام فى اوضح المسالك (ج ٢ ص ٢٠) مما يلزم الاضافة (كلا وكلتا) ولا يضافان الا لما استكمل ثلاثة شروط احدها :التعريف والثانى ، الدلالة على اثنين والثالث ان يكون كلمة واحدة فلا يجوز كلا زيد وعمرو اما البيت المذكور فمن نوادر الضرورات .

وقال فى شرح قطر الندى (ص ٣٠١) انما يؤكد بكلا وكلتا بشروط احدها ان يكون المؤكد بها دالا على اثنين . الثانى ان يصح حلول الواحد محلها

فلا يجوز على المذهب الصحيح ان يقال اختصم الزيدان كلاهما لانه لا يحتمل ان يكون المراد اختصم احد الزيدين فلا حاجة للتأكيد . الثالث ان يكون ما اسندته اليهما غير مختلف فى المعنى فلا يجوز مات زيد وعاش عمرو كلاهما . الرابع ان يتصل بهما ضمير عائد على المؤكد بهما .

وقال الدسوقى فى الحاشية (ج ١ ص ٢١٥) كلا وكلتا مثنيان معنى مضافان لفظا ومعنى الى كلمة لا كلمتين واما ما جاء فى الشعر فهو ضرورة .

وقال العدوى فى فتح الجليل (ص ٢٧٩) قوله : (كلا اخى وخليلى الخ) حيث اضفيت (كلا) الى اثنين متفرقين هو شاذ لان من شروط اضافتها ان يكون المضاف اليه مفهم اثنين بدون تفرق .

وقال الجرجاوى فى شرح الشواهد (ص ٢٨٠) اضافية (كلا) لزوما الى مفهم اثْنِيّ مُعَرَّفٍ بتفريق بالعاطف وهو شاذ لانه يشترط ان يضاف لمفهم اثنين معرف بلا تفريق .

وقال السيوطى فى الشواهد (ص ١٨٨) قوله : (كلا اخى وخليلى الخ) لم يسم قائله استشهد به على اضافة (كلا) الى اثنين مفرقين شذوذا .

قال ابو تراب : وعلى هذا الوجه يتخرج المقول المذكور فى كلام الاستاذ الانصارى بجريدة البلاد عن « مشروعات بلدية جدة حيث اضاف (كلا) الى « التكليف » وهو مفرد ثم عطف عليه « بالاداء » اما الخلاف فى (كلا وكلتا) هل هما مثنيان لفظا ام معنى فذهب الكوفيون الى الاول والبصريون الى الثانى ولسنا بصدد البحث فى ذلك وقد شرح المسألة الانبارى فى الانصاف (ص ١٨٢) والبغدادى فى الخزانة (ج ١ ص ١٢٦) هذا ما اردنا ايراده وكلام

العلماء طويل الذيل فى ذلك اخذنا منه ما يتعلق بالمقصود وتركنا النقل من بعض المراجع الأخرى غير ماذكرنا لان فيها طولا وتكرارا واعادة لما سبق تفصيله وبيانه وفيه الكفاية ان شاء الله وهو اعلم بالصواب .

قال أبو تراب : هذا وقد أجابنى الشيخ عبدالقدوس الأنصارى بما يلى :

من عبد القدوس الانصارى
الى الاخ الفاضل الاستاذ اللغوى الضليع
ابى تراب الظاهرى

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته :

وبعد فقد تلوت بامعان وشكر كبير رسالتك القيمة التى تنافح بها مشكورا مقدرا عن ام اللغات فى صحة صيغها وتقويم اودها والمحافظة على قوامها القويم العظيم ، وكانت رسالتك الى فيما كنت كتبته بجريدة البلاد عن « مشروعات بلدية جدة » رسالة اديب متمكن فى درسه متمكن فى نفسه ، وما كان لى من دأبى ان ارد على من ينقدون ما أقول اذا رأيت انهم الى الهوى يميلون . كنت اصمت واقول فى نفسى : ان خاصة القراء سيعرفون الغث من السمين ، اما العامة فلا يفرقون بين الجمل والناقة فى هذا المجال .. وان بالغت فى تقديم الحجج واظهار الحق وابطال الزيف .. وقديما قال الشاعر :

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

اما كلمتك هذه فانى مع الشكر الجم والتقدير الحتم اوسع لها من صدر « المنهل » واحتفى بها واقدرها واقدر كاتبها واقدر السبب الفكرى الوجيه الذى جعله يبعث بها الى تقديرا عميقا سامقا .

ولقد احسنت فيما عرضته كله عن اثبات ان (كلا وكلتا) انما تضافان نثرا الى معرف مثنى حقيقى أو مجازى .. وذلك على ما قرره ائمة النحو من قديم .. تباعا .. وعلى ما حققوه تحقيقا واضحا لا لبس فيه ولا امت وانا مؤيد لكل ما جاء فى رسالتك تأييدا صادقا عميقا واشكره لك شكرا صادقا عميقا ، وارجو ان يشكره لك معى القراء وان يتبينوا منه مكانتك العلمية واللغوية الراجحة وان يقدروا تحقيقاتك النحوية التى ترسل منها كثيرا فى واد فيمر بها الكثيرون من الكرام ولا يقدرون ذلك العلم والجهد والعرق والتأمل وكل ما يقوم به باحث طلعة مثلك فى هذا الميدان الذى قل قاصدوه وكثر جاحدوه .

ولكن ارجو ان استميحك عفوا .. وان استجلب منك فكرا ، وان اوجه لك نظرا الى ان ما كتبته انا ونقدته مشكورا انت وهو قولى : (وكلا الاداء والتكليف) كتبته وانا على علم وذكر لما قاله النحاة فى وجوب اضافة كلمتى (كلا وكلتا) الى المثنى المعرف حقيقة أو مجازا ، وقد كتبت هذه الصيغة وانا لست فيها منكرا لما حققه العلماء ولا مبتدعا فانت تذكر ما كنت قلته لك فى امسية من امسيات جلوسنا فى حديقة منزلنا ذات ليلة بجدة ونحن نقابل جزازات (الكتاب الفضى للمنهل) سنة ١٣٨١ هـ ان الرجل المتضلع فى النحو ليس من اليسير ان يخطىء .. وهذه القاعدة قررها العلماء الاثبات قديما .. فاننا اذا عرفنا كما كنت قلت لك : ان العرب نصبوا الفاعل ورفعوا المفعول فى كلامهم . وقد

اثبت ذلك علماء النحو واقروه وادعوه .

عندما نعرف ان نسبة الخطأ الى من له المام كاف بالنحو ينبغى ان يسار اليها بعد كثير من عناء البحث وتقليب وجوه النظر . بما يعيى ولا يعنى ... وانا شاكر لك التخريج الذى خرجته للصيغة المذكورة ومقدر له كل التقدير .. ولكنى ما قصدت هذا التخريج .. انى اعلم ان ابن هشام فى مغنى اللبيب (قعد قواعد إحدى عشرة وعقد لها الباب الثامن من الكتاب .. وافادنا بان هذا الباب الثامن هو (فى ذكر امور كلية يتخرج عليها مالا ينحصر من الصور الجزئية وهى احدى عشرة قاعدة) .. وانت اذا تتبعت هذا الباب فستجد فيه القاعدة السابعة . وفيها يقول المغنى ما نصه : (القاعدة السابعة ان اللفظ قد يكون على تقدير وذلك المقدر على تقدير آخر نجد قوله تعالى : (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله) فان « يفترى » مؤول بالافتراء ، والافتراء مؤول بمفترى وقال :

لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى
ولكنما الفتيان كل فتى ندى

وقالوا : عسى زيد أن يقوم . فقيل هو على ذلك ، وقيل على حذف مضاف

اى عسى أمر زيد أو عسى زيد صاحب القيام ، وقيل : ان زائدة ، ويرده عدم صلاحيتها للسقوط فى الاكثر وانها قد عملت والزائد لا يعمل)

وعلى الشاهد يا صديقى هنا فى قول المغنى مؤولا قولهم : (عسى زيدان يقوم) . وقيل على حذف مضاف .. اى عسى أمر زيد أو زيد صاحب القيام .. اننى آخذ بزمام هذه القاعدة الكلية المقررة من امام النحو فى صحة الصيغة التى

اتيت بها فى مقالى : « مشروعات جدة فى الميزان » .. فان هناك مضافا اليه محذوفا مقدرا ، ويقول ابن مالك فى الفيته :

وحذف ما يعلم جائز كما
تقول : زيد : بعد : من عندكما ؟

وتقدير المضاف اليه المحذوف هو (وكلا هذين : التكليف والاداء) .. وبهذا نكون قد وسعنا مداركنا اللغوية وسايرنا ما قرره كبار النحاة من ضرورة اضافة (كلا وكلتا) الى مثنى حقيقى أو معنوى ومستندنا فى هذا الصنيع يتمثل فى « قاعدة عامة » قعدها امام النحاة الذى بلور النحو ووصل به الى ذروة العلوم المقررة السامية فقيل عنه بحق (سيبويه زمانه) بل انى اراه يرجح سيبويه فى امور اهمها فلسفة النحو وتقعيده ووضعه فى اطار قوانين عقلية متكاملة .. الا وهو « ابن هشام الانصارى » صاحب كتاب (مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب) اسمى كتاب نحوى فى التحقيق والشمول والتركيز والعمق والسموق .

وعلى القاعدة المذكورة يمكننى ان افسر قول الشاعرين : (كلا اخى وخليلى) .. و (كلا السيف والساق) بانهما يقصدان : « كلا هذين : اخى وخليلى » و(كلا هذين : السيف والساق) . وعندها يكون الشاعران لم يخلا بالبيان العربى . ولم يخلا بقاعدة اضافة اللفظين الى مثنى حقيقى أو معنوى .. وهذا رأى رأيته ولم ينتبه له علماء النحو الاوائل وكم ترك الاول للآخر . حتى ابن هشام نفسه لم ينتبه له .. فانه رسم خطوط القاعدة العامة التى تخرج الشاعرين من هذه الورطة ولكنه نسيها حينما حلل بينهما أو بعضهما فى بحث (كلا وكلتا) وليس هذا بالامر المستغرب على مقررى القواعد العامة وواضعيها من العلماء فان

ابن خلدون وضع لتاريخه (مقدمة) صاغ فيها قواعد الاجتماع التاريخية العامة الخالدة ولكنه لم يطبقها فى تاريخه الكبير .

وعلى سبيل الاستئناس والاستشهاد نذكر بيتا لابن الوردى اضـاف فيه (كلا) الى اسم الاشارة المثنى حيث قال :

بـــين اسراف وبخـــل سطة وكلا هذين ان زاد قتل

وختاما اكرر لك يا أخى الاديب الاريب شكرى على رسالتك ، ومنشأ تكرار هذا الشكر اهتمامك الخفى بالمحافظة على صحة ام اللغات وادبك الجم فى الحوار مما يذكرنا بادب العلماء وعلم الادباء وهو ما نحن احوج اليه كثيرا فى مناقشتنا ومحاوراتنا الادبية والعلمية حتى تفيد وتنير ، بدلا من ان تبيد وتثير .. تبيد العلم والادب ، وتثير الضغائن والشغب ، ودم واسلم لاخيك .

* * *

تذييل تصحيح أحمد شاكر (٥)

قال أبو تراب : كنت عند الشيخ الجليل أحمد محمد شاكر عام ٦٥ هـ بالقاهرة فأطلعنى على مجموعة نفيسة وقعت له بالشراء وهى مجلد واحد فيه الموطأ وصحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن ابى داوود وجامع الترمذى ومجتبى النسائى قابلها العالم العظيم الشيخ محمد عابد السندى محدث المدينة المنورة فى القرن الماضى والشيخ محمد عابد ذكره شيخنا فى « الفهرس » المطبوع بفاس ووصفه بمحدث الحجاز ومسنده ونحن نعرف المذكور بآثاره واسانيده وهو يقع فى اسانيدنا وأنا اروى كتبه عن الوالد رحمه الله .

ووقفت فى النسخة التى رأيتها عند الشيخ أحمد شاكر على زيادات صحيحة ليست فى سائر النسخ المتداولة وكتب عليها الشيخ السندى بخطه ما نصه : « بلغت مقابلته على أصل صحيح معتمد فى ١٥ من ذى الحجة ١٢٢١ هـ .

وفى هذه النسخة تصحيحات مفيدة هى كالدرر للغواص حرصت على جمع بعضها أثناء مقامى بدار الشيخ أحمد شاكر طيب الله ثراه ، وقد مات والنسخة عنده لم يتح لى أن أقيد منها الا بعض التصحيحات المهمة فى مذكراتى الخاصة .

وهانذا اليوم أقلب ذلك السجل فاجد فيه تنبيها كتبته ابان ذلك على وهم وقع فيه كثير من المحدثين فى سند حديث ثم أراجع اليوم نسخة الترمذى التى

علق عليها الشيخ أحمد شاكر وخرجت للناس دون أن يكملها الشيخ فاذا بنا نتفق فى مراجعة الأصول وتحقيق السند ولعمرى ان هذا لمن غريب الوفاق ولا يستبعد اذ أن أصل السندى كان عند الشيخ رحمه الله وكان يعنى بالرد اليه عناية فائقة عند تحقيق النص فربما كانت صحة السند فى نسخة السندى حافزا للشيخ على مراجعة الاصول وكتب الرجال فمن ثم تسنى له تحقيق المبحث وهو ذو باع طويل فى هذا الفن نور الله ضريحه .

أما موضع الوهم فهو حديث أبى عيسى فى قول رسول الله ﷺ : « غفرانك » اذا خرج من الخلاء ، وسند الحديث فى نسخة طبعة بولاق ١٢٩٢ هـ ما نصه : « حدثنا محمد بن اسماعيل قال حدثنا حميد قال حدثنا مالك بن اسماعيل » وهذا وهم فاحش جدا .

واذا راجعت النسخة المطبوعة فى دهلى ١٣٤١ هـ مع تحفة الاحوذى للشيخ المباركفورى وهو أحد كبار علماء الحديث وجدت فيه خطأ آخر فى السند وهذا الخطأ سرى ايضا الى كتاب نفع قوت المغتذى للبجمعوى وقد طبع فى دهلى ١٣٢٨ هـ ففى هاتين النسختين : « حدثنا محمد بن حميد بن اسماعيل قال حدثنا مالك بن اسماعيل » وكل هذا تخبط فانه ليس فى الشيوخ شيخ يدعى حميد ويروى عن مالك بن اسماعيل ثم يروى عنه البخارى كما فى نسخة بولاق وليس فيهم أيضا من يدعى محمد بن حميد بن اسماعيل كما فى شرح المباركفورى والبجمعوى .

والصواب ان محمد بن اسماعيل هو البخارى شيخ الترمذى روى عن مالك بن اسماعيل وهو ابن درهم النهدى الحافظ وبهذا يستقيم السند وكذلك هو المثبت

فى نسخة السندى . والحديث يرويه مالك بن اسماعيل عن اسرائيل بن يونس عن يوسف بن أبى بردة عن ابيه عن عائشة قالت كان النبى ﷺ اذا خرج من الخلاء قال غفرانك ، قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من حديث اسرائيل عن يوسف بن أبى بردة وأبو بردة ابن أبى موسى اسمه عامر بن عبد اللهِ بن قيس الاشعرى ولانعرف فى هذا الباب الا حديث عائشة .

قلت واخرجه احمد وأبو داوود وابن ماجه والدارمى وابن حبان وابن خزيمة وابن الجارود والحاكم وصححه ابو حاتم وقال النووى فى شرح المهذب هو حديث حسن صحيح وغرابته لانفراد اسرائيل به وهو ثقة حجة .

***

من تعليقاتى على القاموس

قال أبو تراب : ذكر المجد الفيروز ابادى فى القاموس من اسماء الاعلام مما موضعه غير كتب اللغة ومن ذلك قوله فى مادة (كهف) : واصحاب الكهف مكسلمينا أمليخا مرطوكش نوالس ساينوس بطنيوس كشفوطط .

وساق أيضا : مليخا مكسلمينا مرطوس نوانس اربطانس اونوس كند سلططنوس .

وساق ايضا : مكسلمينا مليخا مرطونس يونيونس ساربونس كفشيطوس ذونواس وساق ايضا : مكسلمينا أمليخا مرطونس يوانس ساربنوس بطنيوس كشفوطط وساق أيضا : مكسلمينا يمليخا مرطونس ينيونس دوا نوانس كشفيطط نونس .

ولا ادرى ما الذى حمله على رواية هذه التهاويل التى لا اصل لها يصح والخلاف كثير جدا فى ضبط هذه الاسماء حاول المصنف أن يخلص منه الى خمس روايات وأقول ان كان ثمة قول يشبه أصل الوضع فهو قول أبى العباس البونى وهو من قدماء المالكيين وقل من يعرف ذلك لأن كثيرا من كتب التراجم خلا عن ترجمته ووجدت هذه الاشارة فى كلام الدميرى فى حياة الحيوان أما النقل عنه فمستفيض فى كتب الاقدمين وكتب هذا الرجل كثيرة مشهورة فى الفن ولأهله فيه كلام وعنه رواية وبالتتبع عرفنا ان بعض شمس المعارف مدخول من كلام غيره .

وقال بعض العلماء أن صيغة مكسلمينا أو مليخا أو يمليخا او مليخا تشبه

صيغة اللغة الكلدانية وصيغة الاسماء التى تنتهى بالسين تشبه اللغة اليونانية فهل يحتمل أن أصحاب الكهف كانوا من جيلين مختلفين . نقل ذلك عن شيخه أحمد فارس على أن الزمخشرى ذكر فى الكشاف غير هذه الاسماء ونص عبارته : عن على رضى الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشليتيا ومشلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرتوش ودبرنوش وشادنوش وكان يستشير هؤلاء الستة فى أمره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير ونحوها عبارة القاضى البيضاوى .

فالعجب ان المصنف مع فرط حرصه على ضبط هذه الأسماء فاتته رواية الزمخشرى والبونى وليس شىء من هذه الاسماء فى التهذيب ولا فى الصحاح ولا فى المحكم ولا التكملة ولا اللسان وقد ذكرها الآلوسى فى التفسير .

***

التعقيب على إحسان عباس

قال أبو تراب :

للدكتور احسان رشيد عباس جهود أدنت من منهومى العلم يوانع ثمار الكتب اذ اخرجها لنافلا نستطيع معها ان نجحده حقه أو أن ننكر له فضلا ، وأراه مغرما بابن حزم يبحث لنا من تراثه ما أضمرته الخزائن أو كاد يندثر لولا الاحداق التى تحرسها بعناية من يحفظ فى النوائب .

لكنى لست راضيا عن الدكتور فى طريقة تحقيقه لكتب الامام واخال ان مرد ذلك عدم التمكن من اصول المذهب وفروعه وقلة الممارسة والمزاولـة فى علـوم الحديث حتى كأنى أكاد انفجر اذ اعثر على هنة له فأقول ليتنى كنت معه فاعلق هاهنا تعليقا يجيده ظاهرى ليس مقلدا على كلام ظاهرى تغذى من لبانه ائمة الاسلام فجاسوا خلال الديار لا تجف لهم ينابيع ولا يصوح لها زهر .

نعم اذا دندن الامام فانا اعرف دندنته واذا دندنت فانما افسر ما حوله يدندن (معاذ) ثم بالله نتأيد .

لقد أخرج الدكتور كتباً للحافظ ابى محمد وآخرها الرد على ابن النغريلة وأولها الرسائل (المجموعة الاولى) واخرج لنا الجوامع وفى كل ذلك له أوهام ومحال للمؤاخذة علقت عليها فى نسخى وسوف أنشرها كلها اذا تسنى ذلك ولم يسأم من لا يجيد هذه الصناعة ممـن بدا الملل عليهـم واضحـا من « أوهـام الكتاب » وفاتحة هذه الأوهام للدكتور احسان ، ما أتعقبه وأؤاخذه عليه اذ يقول

فى الرسائل (ص ٩٥) فى سند أثر أورده ابن حزم ما نصه : (وروى ابن سفيان قال حدثنى ابراهيم بن عثمان بن سعيد قال حدثنى أحمد بن الغمر) قال ابو تراب : اخطأ الدكتور فى احمد بن الغمر فمن هو احمد بن الغمر ؟ وكيف يصح ان يصحف كلام ابن حزم وروايته !

نعم هو احمد بن المعمر كما ذكره الحافظ ابن حجر فى (اللسان) فى ترجمته وفى (ابن سفيان) وفي (لسان الميزان) سند ابن حزم بهذا الطريق الذى أورده وكلام الحافظ عليه ومنه يظهران فى الرسالة نقصا كبيرا لا يظهر ولا يوجد فيما ذكره الدكتور .

وقد وقع فى هذا الوهم الشيخ الفاضل صديق الوالد أحمد محمد شاكر المحدث رحمه الله فقد اثبت كالدكتور فى (المحلى) من كتاب البيوع وكلاهما مخطئان واصل السند موجود فى (لسان الميزان) وأوله : (حدثنا أحمد بن اسماعيل الحضرمى قال حدثنا محمد بن احمد بن خلاص قال حدثنا محمد بن القاسم) ولكن الشيخ لم يتثبت .

وفيه ان الراوى الذى وهموا فيه هو احمد بن المعمر وقد أخرج الدار قطنى الحديث المذكور فى كتاب غرائب مالك من طريقين آخرين عن أبى نعيم وقال تفرد به ابو نعيم عن ابن المبارك ولا يثبت هذا عن مالك ولا ابن المنكدر .

* * *

وهم الشنقيطي في الوسيط (١)

قال أبو تراب :

وقفت على خطأ للاستاذ أحمد بن الامين الشنقيطى فى كتابه المطبوع الذى سماه « الوسيط فى تاريخ أدباء شنقيط » وذلك عند ذكر ترجمة محمد بن السالم حيث قال فيه : « انه كان شاعرا رقيق الالفاظ سلسها وكان يرى نفسه افضل من شاعر شنقيطى آخر يدعى الأحول وكان اذا سمع الناس يطرون هذا الشاعر الأحول يقول : أنا أشعر منه وأحول .

فتعقبه مؤلف الكتاب المذكور فى (ص ٣٠٠) بان قال : وكان القياس أن يقول : أشد حولا لأن أفعال العاهات لا يأتى منها التعجب ولا اسم التفضيل وانما جرى فى ذلك على مصطلح العامة » .

وقلنا كلام الشاعر فى مقام الافتخار سليم لا خدشة فيه ولا غبار عليه وليس بلحن ولا كلام عامة وانما الخطأ خطأ ابن الأمين مؤلف الوسيط الذى تعقبه .

لأن الشاعر لم يذهب الى ما ذهب اليه المتعقب بأن يكون أحول من الحول الذى هو من العاهات المعروفة وانما يريد أحول من الحيلة وهذا من المحامد والسمات الكمالية وليس من العاهات ولا من المثالب ويدل على ذلك ان المقام مقام افتخار وتعال وتعظم على المنافس فحمل الكلام على الحيلة أولى .

فاذا ثبت ان كلام الشاعر يشير بالأحول الى الاكثر حيلة صح اتيانه بافعل التفصيل لانه ليس من الحول الذى هو من العاهات ولو كان منه لجاز للمؤلف ان

يتعقب وهم الشاعر والشاعر فى كلامه ليس بواهم على التفسير الصحيح الذى يقصده وفسرناه فما أتى به هو الصواب وغلط مؤلف الكتاب فى توهيم الشاعر.

نعم لا يصاغ افعل التفضيل ولا التعجب من حول العين فلا يقال أحول من فلان أى فى العين كما لا يقال فلان ابيض من فلان ولا أسود منه وانما يقال هو أشد حولا ولا يقال ما احوله بل يقال ما أشد حوله ومثله أسود وأبيض وأحمر وغيرها.

لكن يأتى أسود أفعل تفضيل من السؤدد والسيادة فيصبح منه أفعل التفضيل فيقال فلان أسود من فلان وما أسوده وفى حديث ابن عمر ما رأيت بعد الرسول اسود من معاوية أى أكثر سيادة أو سؤددا وفيه كلام ويأتى احول من الحيلة أى حسن التدبر فى الأمر واصابة المخرج فى الضيق فيكون اسم تفضيل فيقال هو أحول من فلان أى أبصر منه بالخروج من المآزق ويصاغ منه التعجب وفى اللسان لابن منظور ما يؤيد ذلك قال فلان أحول من فلان أى أكثر حيلة.

* * *

من أوهام بروكلمان الألمانى

قال أبو تراب :

وهم بروكلمان الالمانى وابن خير الاشبيلى فى فهرستيهما فى عزو كتاب معانى الحروف أو حروف المعانى أو معانى القرآن - وهو كتاب واحد - الى ابى القاسم الزجاجى وليس كذلك بل هو لابى اسحاق الزجاج ولم ينسب أحد الى الزجاجى كتاباً بهذا الاسم فكأنه اختلط عليهما اسم الزجّاج والزجاجى فالزجاج هو استاذ الزجاجى اخذ النحو عن ثعلب ثم مال عنه الى المبرد ولازمه واسمه ابراهيم بن السرى ينسب اليه الزجاجى لأنه تلميذه ومات الزجاج سنة ٣١١ هـ وترجمته فى بغية الوعاة ص ١٧٩ وانباه الرواة ج ١ ص ١٥٩ وطبقات الزبيدى ص ١٢١ واخبار النحويين البصريين ص ١٠٨ وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٨٩ .

وأما الزجاجى فهو ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق النهاوندى مات بطبرية سنة ٣٣٧ هـ وترجمته فى انباه الرواة ج ٢ ص ١٦٠ وبغية الوعاة ص ٢٩٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٥٧ وطبقات الزبيدى ص ١٢٩ وفهرسة ابن النديم ص ٨٠ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٣٢ ونزهة الالباء ص ٣٧٩ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٠٢ ووفيات الاعيان ج ١ ص ٣٨٩ والانساب للسمعانى ص ٢٧٢ وتاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٤٣٢ وابن ماكولا ج ٢ ق ١ ص ١١

وننبه على خطأ آخر للقفطى فى انباه الرواة فى ترجمة ابى على الفارسى حيث

قال ما نصه : « ان للفارسى كتاب الاغفال فيما اغفله الزجاجى فى المعانى » (انظر ج ١ ص ٢٧٤ من انباه الرواة) والخطأ فى هذه العبارة هو ان كتاب الأغفال تعقيب للفارسى على كتاب معانى القرآن واعرابه لابى اسحاق الزجاج لا لابى القاسم الزجاجى كما توهمه المؤرخ القفطى .

والعجب ان ابن خير ذكر كتاب الاغفال بنسبته الصحيحة فى فهرسته فى ص ٣١٠ كما ذكر معانى القرآن واعرابه للزجاج فى موضع آخر فى ص ٦٤

وبهذه المناسبة اذكر ما افادنا به مازن المبارك من أن نسخة من هذا الكتاب توجد فى « مكتبة الأوقاف » بطرابلس الغرب رقمها (خزانة ١ ، ف٤ رقم ٩٤)

قال أبو تراب : واطلعت على نسخة منه فى دار الكتب المصرية فى قسم التفسير رقمها ٥٢ ولعل الله يقيض لنا من يطبعه ليستفاد[١] واذكر ايضا للتنبيه ان كثيرا من محققى الكتب وقعوا فى هذا الخلط بين الزجاج وتلميذه الزجاجى فقد نسب كتاب فعلت وأفعلت الى الزجاجى وهو لشيخه حتى أثبت هذا الوهم فى بعض فهارس (المكتبات) ولم يتنبه له .

وذكر الشيخ ابن ابى شنب فى مقدمة تحقيقه لكتاب الجمل للزجاجى ان الكتاب المذكور (فعلت وافعلت) له نقلا من كشف الظنون والحق ان صاحب كشف الظنون ذكر فى (ج ٢ ص ١٤٤٧) ان الكتاب من وضع الزجاج استاذ الزجاجى فلا أدرى من أين تطرق الوهم الى الاستاذ ابن ابى شنب .

---

(١) زارنى وأنا أقدم هذا الكتاب للطبع الدكتور الشيخ عبدالجليل شلبى أمين مجمع البحوث السابق بالقاهرة وأفاد بنجاز طبع هذا الكتاب والحمد لله .

من أوهام فانديك الأمريكي وجورجي زيدان

قال أبو تراب :

كتب الاستاذ فانديك الامريكي فى كتاب اكتفاء القنوع ص ١٨١ ان مؤلف « نهج البلاغة » هو الرازى وكأن الأمر اختلط عليه فأبدل الرازى من الرضى والحروف الانكليزية متقاربة .

ومرة أخرى نسب الكتاب الى السيد المرتضى الاستاذ جورجي زيدان فى تاريخ الآداب العربية جـ ٢ ص ٢٨٨ وكذلك فعل الاستاذ بروكلمان الالمانى فى تاريخه للآداب العربية جـ ١ ص ٧٠٤ ونسبه تارة الى الرضى فى التتمة جـ ١ ص ١٣١ .

قال أبو تراب : أما نسبته الى الرازى فخطأ فاحش ووهم شنيع وأما نسبته الى المرتضى أو الرضى فالخلاف فيه قديم حتى قال ابن خلكان : ان الناس مختلفون هل هو جمع الرضى أم جمع أخيه المرتضى (أنظر جـ ١ ص ٤٧٨) ومثل ذلك قاله ابن الاثير الجزرى فى مختصر الوفيات فيما نقله عنه صاحب روضات الجنات ص ٣٨٦ وصلاح الدين الصفدى فى الوافى بالوفيات واليافعى فى مرآة الجنان ج ٣ ص ٥٥ وابن العماد فى شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥٧ ونسبه الذهبى وابن حجر العسقلانى فى ميزان الاعتدال ولسان الميزان الى الشريف

المرتضى (أنظر الميزان جـ ٢ ص ٢٠١ واللسان جـ ٤ ص ٢٢٣) وقد أخطأوا فى ذلك .

وكتبنا بحثا مستفيضا فى تحقيق مؤلف هذا الكتاب فى غير هذا الموضع ودللنا على ان الكتاب من جمع الرضى قد أخذه من كتب قدماء الشيعة وبعضها موجود الآن شاهد على ذلك .

ومما يدل على أن التأليف للرضى لا المرتضى ان الرضى ألف كتاب المجازات النبوية وهو مطبوع فهو يحيل فيه الى نهج البلاغة ويقول : (ذكرنا فى نهج البلاغة) وعبارات أشباه ذلك كما أنه ألف كتاب التأويل وأحال فيه على النهج وكلا الكتابين قد ثبت أنهما للرضى اذن فنهج البلاغة أيضا له دون ماشك ثم ان الرضى أحال فى نهج البلاغة على بعض كتبه وذلك أيضا يدل على صحة تحقيقنا والادلة بعد ذلك كثيرة ليس هذا مقام استقصائها وقد ذكرناها بالاستفاضة فى مقال مطول عن نهج البلاغة وعزوه يقع فى أكثر من مائة صفحة وقد نشرت منه مقتطفات فى « الرائد » فعليك به ان أردت .

* * *

الانتصار للسنوسى (١)

قال أبو تراب : واعترض الفاضل احمد الذهب على الشاعر السنوسى على قوله : « ان فى الضرورات الشعرية يجوز للشاعر حذف الناقص » . قائلا : لم أدر ما المراد به واعترض أيضا على الاستشهاد ببيت ابى الطيب وهو قوله :

ألا أذن فما أذكرت ناسى ولا لينت قلبا وهو قاسى

قائلا : بأن هذا لم يخدم غرض السنوسى لأن (ناسى) و (قاسى) جاءتا هنا فى مكان قافية والبيت مصرع ولم تجيئا فى الحشو :

ثم قال : والله يعلم ماذا كانت (هكذا) ستؤول اليه مكانة المتنبى لو انه وقع بخطأ مثل هذا فى الحشو.

وأقول هذا كله خطأ لأن حذف حرف النقص دون اظهار الاعراب عليه فى حالة النصب ليس من خصائص القوافى بل يقع هذا فى الحشو ايضا وفى مذهب ليس هو من الضرورات بل لغة قوم من العرب .

وصرح النحويون بأن من العرب من يعامل المنقوص فى حال النصب معاملته اياه فى حال الرفع والجر وقد جاء من ذلك قول قيس بن الملوح العامرى وهو شاهد :

ولو أن واش باليمامة داره وداري بأعلى حضر موت اهتدى

فتراه فى هذا البيت سكن ياء واش ثم حذفها مع انه منصوب لكونه اسم

(أنّ) وهو فى درج الكلام وليس فى قافية ولا تصريع فهذا حجة على من أنكره .

وفى كتب النحو شاهد آخر على هذا وهو قول بشر بن ابى خازم وهو شاعر جاهلى إذ يقول

كفى بالنأى من أسماء كافى وليس لنأيها إذ طال شافى

و (كافى) حال من النأى أو مفعول مطلق وقد عومل معاملة الرفع والجر وشاهد آخر من القرآن وهو قول الله تعالى (من أوسط ما تطعمون أهليكم) على ان « اهليكم » صيغة جمع المذكرين السالم من الملحقات فحذفت نونها بالاضافة ولكن قرأ الامام جعفر الصادق (من أوسط ما تطعمون أهاليكم) بسكون الياء وأهاليكم منقوص وهو فى موضع النصب فكان حقه ان يظهر عليه النصب ولكن سكن على لغة قوم يعاملون المنقوص فى حال النصب معاملتهم إياه فى الرفع والجر .

وللنحاة فى ذلك كلام فبعضهم جعلوها لغة وبعضهم يراها ضرورة قال المبرد هو ضرورة ولكنها من احسن ضرورات الشعر والأصح عند النحويين جوازه فى سعة الكلام وقد اجازه الأكثرون فى النثر بله النظم وفى هذا حمل حالة النصب على الرفع والجر ففيه اعطاء الأقل حكم الأكثر فلذلك جوزه العلماء فى سعة الكلام نثرا ونظما سواء كان فى القافية أم فى الحشو وعليه حملوا قراءة جعفر الصادق رضى الله عنه (من أوسط ما تطعمون أهاليكم) بسكون الياء .

وجعلوا عكس ذلك ضرورة لا تجوز فى حال السعة وهو ان تعامل المنقوص فى حالتى الرفع والجر كما تعامله فى حالة النصب فتظهر الضم ـ والكسرة على

الياء كما يظهر النصب بالفتحة ومن العرب من يفعل ذلك ايضا ولكن النحاة جعلوا ذلك ضرورة .

ومنه قول جرير بن عطية الخطفى :

فيوما يوافين الهوى غير ماضى ويوما ترى منهن غولا تغول

وقول الآخر :

لعمرك ما تدرى متى أنت جائى ولكن أقصى مدة الدهر عاجل

وقول الشماخ بن ضرار الغطفانى :

كأنها وقد بدا عوارض وفاض من ايديهن فائض

وقول جرير أيضا :

وعرق الفرزدق شر العروق خبيث الثرى كابى الازند

باظهار الاعراب على اليآت كلهن فى الأبيات المذكورة .

قال فى شرح الهادى ان المنقوص أقرب الى المعرب لدخول الحركات عليه وقال ابن هشام فى اثبات الحرف الناقص مع دخول ما يوجب حذفه انه ضرورة وانشد قول قيس بن زهير العبسى :

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

وفى قوله تعالى (انه من يتقى ويصبر) فى قراءة قنبل وجوه للمفسرين والنحاة .

راجع فى المبحث حواشى الألفية وتعليقة السيوطى وابن هشام والأشباه والنظائر فى المعرب والمبنى ومبحث الناقص والمقصور المشابه .

وقد نص ابن النحاس وغيره على جواز ما ذهبنا اليه ولا كلام بعد ذلك اذا كان هذا ضرورة أو لغة .

وكلهم مجمعون على ان حذف ذلك يكون تخفيفا وهو كثير فى كلام العرب والشواهد تترى .

* * *

نقد «الآداب» للسرتي

قال أبو تراب : وقفت على رسالة الآداب الاسلامية للشيخ محمد حسن السرتي النقشبندي وقد اجتمعت به منذ اعوام فرأيته وافر الاطلاع كثير الحفظ ولكنه كان يبغض أصحاب الحديث ويطعن فيهم ويتمسك بمزاعم من كلام الناس .

وجرى بيني وبينه كلام في مسائل شتى فوجدته مليئا ببغض شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وكان يطير فرحا بنصوص كتب يرفضها مسلك السلف مما سبيله الطريق الأنكب وقال لي : صدق الهيثمي إذ وصف ابن تيمية بانه عبد خذله الله . قال أبو تراب : الخذلان لمن وصفه بالخذلان وابن تيمية شمس تعشو في غيايتها الأعين الرمد .

وفي رسالته في الآداب مَينْ وشين وبعضها وهم لعدم تمكنه من البحث الذي يتناوله وهو قليل المعرفة بالحديث ورواته فلذلك صحح منها ما شاء له الهوى ان يقوى ولم يستقم له القول جملة .

منها قوله في ص ٢٥ انه ثبت بالسند الصحيح عن رسول الله ﷺ انه قال ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل ان يتفرقا .

قال ابو تراب ونسأل الله السلامة من الأوهام فان هذا لا يصح عن رسول الله البتة لأن هذه الرواية عن البراء بن عازب أخرجها ابو داود بلفظ اذا التقى

المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر لهما وأخرجها الترمذى باللفظ الذى أورده الشيخ فى رسالته وكلاهما لا يصح اصلا .

فأما اسناد ابى داود ففيه اضطراب كما ذكره المنذرى وفيه ابو بلج ، ويقال ابو صالح ابن يحيى بن سليم قال البخارى فيه نظر وقال السعدى غير ثقة وضعفه احمد وقال روى حديثا منكرا ولا يلتفت الى توثيق ابن معين وأبى حاتم بعد هذا الجرح لمكان الاضطراب فى السند .

واما اسناد الترمذى فقد قال عنه حسن غريب من حديث ابى اسحاق عن البراء وفى اسناده الاجلح واسمه يحى بن عبد الله ابو حجية الكندى . قال فيه ابو زرعة : ليس بالقوى وقال ابو حاتم الرازى كان كثير الخطأ مضطرب الحديث وقال احمد روى عنه حديث منكر وقال السعدى هو مفتر .

قال ابو تراب : ونقول للشيخ كيف جزمت بثبوت الحديث وصحته بعد هذه العلل والبلايا ولعمرى انها لقلة معرفة بفنون الحديث .

ونذيل هذا لتتم الفائدة بانه صح فى باب المصافحة ما اخرجه البخارى والترمذى عن قتادة قال قلت لأنس بن مالك أكانت المصافحة فى اصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال نعم واخرج الترمذى عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال من تمام التحية الأخذ باليد .

قال ابو تراب واسناد هذا الحديث ليس بالقوى لأن فيه على بن زيد وهو ضعيف عند المحدثين . ويروى ايضا فى الباب حديث أيوب بن بشير العدوى اخرجه ابو داود عن رجل من عنزة وهو مجهول وذكر البخارى هذا الحديث فى

التاريخ الكبير وقال انه مرسل وفيه قلت : لأبى ذر هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم قال ما لقيته قط الا صافحنى .

قال ابو تراب وروى الامام مالك فى الموطأ حديث عطاء بن ابى مسلم الخراسانى ان رسول الله قال تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء وهذا مرسل لأن عطاء من الطبقة الخامسة قال الحافظ العسقلانى صدوق يهم كثيرا ويرسل ويدلس .

* * *

من المستدرك على خزانة البغدادى

قال أبو تراب : ورد فى الخزانة (ج ٣ ص ٩٧) لزيد بن عمرو بن نفيل قوله :

تلك عرسـاى تنطقـان بهجر وتقـولان قول اثـر وعثر

تسـألان الـطـلاق ان رآتانى قـل ما لى أتيتمـانـى بنكر

ونسبه المصعب فى نسب قريش (ص ٤٠٤) الى نبيه بن الحجاج ومثله فى الأغانى (ج ١٦ ص ٦٠) وفى الرواية اختلاف وزيادة وهكذا كنا نعرف .

وزيد هذا من بنى عدى جاء ذكره فى السيرة (ص ١٤٣) وذكره ابن من الله القروى فى الرد على ابن غرسية (ص ٣٢٧) وفيه ان الروم قتلتـه وفى السيرة ص ١٤٩ ان بنى لخم هم الذين قتلوه .

لكنى قرأت فى كتـاب مؤرج السـدوسى (ص ٥٥) ان البيتـين لورقـة بن نوفل وهو ممن قرأ الكتب وكان من العلماء وطلب الدين فتهود وتنصر وكان شاعرا وذكره فى فتح البارى فى كتاب الايمان وقصته مع خديجة رضى الله عنها مروية فى صحيح البخارى وبعد البيتين :

ويك ان من يكن له نشـب يحـ ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

خفضـا ما لديـكما غـير الدهـ ـر ولا بـد للضريك بصبر

فلعلى ان يكثـر المـال عندى ويعـرى من المغـارم ظهـرى

وهذا نص عجيب فانا نعرف ورقة شاعرا من السيرة وما كنا ندرى انه قائل

الأبيات وقد نسبت الى غيره ممن عاصره أو تأخر عنه .

بقى ان نذكر ان ورقة الذى تنصر هو اخو صفوان وعدى وكلهم ولد نوفل بن أسد بن عبد العزى ولا عقب لورقة ولا لصفوان بل لم يبق ايضا لعدى عقب كما ذكره الحافظ ابو محمد فى الجمهرة (ص ١١١) . وكان صفوان ولد بسرة وهى مهاجرة لها صحبة ولها حديث فى الوضوء ، وهى أم معاوية بن المغيرة الذى قتله رسول الله ﷺ صبرا .

والغريب ان مؤرجاً نسبه : ورقة بن نوفل بن خويلد بن اسد ، وهو فى النسب ورقة بن نوفل بن اسد فجعله ابن ابن اخى نوفل بن اسد لأن خويلد بن اسد اخا نوفل بن اسد من ولده ايضا نوفل قتله ابن اخيه الزبير بن العوام يوم بدر فجعل مؤرّج ورقة من ولده وليس كذلك .

فان نوفل بن خويلد ولده الأسود ونوفل هذا الذى قال فى حقه رسول الله ﷺ : اللهم اكفنا ابن العدوية . وتقول عامة الرواة ان عليا قتله هذا ما رويناه .

ويؤيد ما ذهبنا اليه قول محمد بن حبيب فى كتاب الألقاب (ص ٢٩٩) القس هو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى ومثله يقول ابن حزم ولا نعرف من ولد نوفل بن خويلد ورقة اصلا .

ويقول المجد فى كتاب من نسب الى غير ابيه ص ١١٠ ورقة بن نوفل بن عبد العزى ابن عم خديجة فتعين بذلك انه ابن نوفل بن اسد لا ابن نوفل بن خويلد .

وفى الحديث ان خديجة لما ذهبت برسول الله ﷺ الى ورقة قالت له يا ابن عم .

غاب عن علم الطنطاوى

قال أبو تراب : طالما منعنى من متع السماع والتحدث ، وحال بينى وبين القراءة والكتابة هذا العمل الساهر الذى أنا فيه ، وكأنما هو يلف وقتى لفا غير مرتب ، وينشره نشرا مثله ، فأنا محروم أو ذو تدرب على الفطام ، ان ظفرت بثدى نهرت بعيد ارتضاع قليل ، وان ملأت الدلو الى عقد الكرب انقطع الرشاء عما قرب .

وكذلك حالى اذا قايستها بالمرناء (التلفيجن) فلا اجلس لهذا الآخذ الواهب إلا لماما ، ولا استمع اليه إلا نادرا .

وفى يوم جمعة مضى كان غدائى على مائدة صديقى ذاك ، فتح غب الانتهاء من مراسمه هذه الآلة الصماء المسمعة ، أو الجهاز الأخرس المتكلم فاذا بالفاضل المفتول الشيخ الطنطاوى يتكلم ، أبصرته عيناى وأصغت اليه أذناى ، فوجدته يجيب على رسائل بأجوبة مرتجلة مقتضبة ، ليس فيها بحث العلماء ، ولا ايراد الادلة ، ولا اقامة الحجة ، ولا مقارعة البرهان ، وقلت : لعل للرجل عذرا ، ولعل المقام يقتضى هذا الالمام .

ثم وجدته يقع فى هنات مردها الى الارتجال المحموض ، وعدم المراجعة الوافية ، وأسوق لك من أمثلة ذلك ها هنا انه اجاب على سؤال سائل سأل عن جواز ذبح المرأة ، وهل يجوز أكل ما ذبحت فقال : نعم وأى شىء فى ذلك ؟ ولا أرى فيه مانعا يمنعه ، ولا أدرى اذا كان من العلماء من يحرمه ثم عنده دليل

على ذلك ! وتراخى فى الجواب تراخى المتذبذب ، وأجاب اجابة غير المتثبت .

قال ابو تراب : لقد غاب عن علم الأستاذ الطنطاوى وكأنه لم يقرأ فى البخارى حديث نافع مولى ابن عمر رضى الله عنهما ـ أخرجه الامام مالك فى الموطأ ، والبخارى فى صحيحه : انه سمع ابنا لكعب بن مالك يخبر ابن عمر : ان أباه اخبره : ان جارية لهم كانت ترعى غنما بالجبيل الذى بالسوق ، وهوبسلع ، فأبصرت بشاة منها موتا ، فكسرت حجرا فذبحتها ، فقال لأهله لا تأكلوا حتى آتى رسول الله ﷺ فأخبره ، أو أرسل اليه من يسأله ، فسأل رسول الله ؟ فأمره بأكلها كلها .

قال ابو تراب : وسأل سائل الطنطاوى عن البدع فأورد اسماء كتب ولم يذكر اسماء ومما خلط فيه انه قال ان كتاب « البدع والنهى عنها » للطرطوشى ، وهو عالم اندلسى والصواب انه لابن وضاح الأندلسى ، واما كتاب الطرطوشى فيعرف باسم ـ الحوادث والبدع ـ والأول قرطبى اسمه محمد ترجم عنه ابن فرحون فى ـ الديباج ـ والذهبى فى الميزان وابن الفرضى فى ـ العلم والعلماء ـ وابن العماد فى ـ شذرات الذهب ـ وهو متقدم من أقران ابن مخلد فى القرن الثالث .

والثانى توفى بمصر سنة ٥٢٠ أو سنة ٥٢٥ وله شرح رسالة ابن ابى زيد ومختصر تفسير الثعالبى واسمه ايضا محمد وترجم عنه المقرى وابن خلكان وغيرهما ، هذا وفى البدع كتب كثيرة أغفلها الشيخ الطنطاوى ولا نلومه على ذلك فهو فى أجوبته تلك ليس بصدد الاستقصاء .

* * *

الرد على علي أبا حسين

قال ابو تراب : قرأت للدكتور علي أبا حسين في جريدة المدينة يوم الأربعاء ١٥ ـ ٨ ـ ٨٨ هـ ما كتبه في الحلقة الثالثة من سلسلة مقالاته عن المخططات العربية في الشرق والغرب ، وأنبأنا فيها بأنه ظفر بمخطوط « اثارة الحجون » للفيروز آبادي في مكتبة البودلاين بأكسفورد ، ولم يعثر له على نسخة اخرى بين المكتبات ، فأحببت ان استدرك عليه وهذا نص كلامه حيث قال :

« ومن المخطوطات التي حوتها مكتبة البولادين بأكسفورد عن تاريخ مكة المكرمة مخطوط اسمه (اثارة الحجون لزيارة الحجون) لمحمد الفيروز آبادي تحت رقم ٦٥ ـ ٥٦٩ ولم أعثر على نسخة أخرى منه بين المكتبات التي زرتها واطلعت على فهارسها » .

قال ابو تراب : هذا الكتاب لا يعد من المخطوطات النادرة لأنه طبع بمطبعة الترقي الماجدية العثمانية بمكة المشرفة المحمية على نفقة مالكها ومؤسسها الشيخ محمد ماجد الكردي المكي رحمه الله سنة ١٣٣٢ هـ وهو للامام مجد الدين الفيروز آبادي اللغوي صاحب القاموس الشهير ، وقد طبع معه نظمه المسمى باللؤلؤ المكنون في ذكر اسماء أهل الحجون للفاضل الشيخ علي بن الصائغ ألفه زمن الشريف ابن عون .

وأستدرك بهذا ايضا على معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس اليان

لأنه عنى باستقصاء ذلك الى عام ١٣٣٩ وافرغ جهده لكنه لم يبلغ المؤمل فلنا عليه استدراكات كثر منها هذا ، فانه لم يذكر بين جملة المؤلفات المطبوعة للفيروز آبادى هذا الكتاب مع انه طبع فى ١٣٣٢ هـ اى انه داخل تحت التزامه .

وليس العجب ان لم يطلع عليه صاحب هذا المعجم فقد فاته الكثير الشهير مما طبع فى الهند وجاوة وارض افريقية والمغرب ، وانما العجب من الدكتور لم يعرف هذا الكتاب مطبوعا بمكة وهو قاطن برباعها جوالة فى مكتباتها معنى بتاريخها يتعلق بخزائنها وما حوت وبنفائسها وما عليه تشتمل ، واخال ان هذه صناعته وبضاعته ولنعمت الصناعة والبضاعة .

ولا شك فى أن كثيرا من مطبوعات مكة القديمة لا يعرف عنها الباحثون شيئا وربما عدوها من نوادر المخطوطات اذا عثروا على شيء منها فى مكتبة .

قال ابو تراب : وعلى سبيل المثال اذكر من مطبوعات مكة القديمة كتاب تحفة الأنام فى مآثر البلد الحرام للسيد عبد الله الزواوى المكى ، والاعلام الملتزم بفضيلة زمزم للشيخ احمد الغزى الأزهرى المحدث ، واجادة النجدة بمنع القصر فى طريق جدة للشيخ تاج الدين الدهان المكى ، والمختصر المفيد لأهل الانصاف فى بيان الدليل لعمل اسقاط الصلاة والصوم المشهور عند الأحناف للشيخ محمد صالح كمال الحنفى ، والقول الفصل فى تأييد سنة السدل للشيخ محمد عابد مفتى المالكية فى زمنه بمكة ، ومناقب كتاب الأم للسيد داوود بن سليمان البغدادى ، والفرائد البهية فى نظم القواعد الفقهية للسيد ابى بكر الأهدل وملتقط الزواجر فى معرفة الكبائر للعلامة محمد بن محمد اليمنى ، وفتح القدير باختصار متعلقات نسك الأجير للعلامة محمد بن سليمان الكردى ، ورفع الالتباس عن

حكم الأنواط المتعامل بها بين الناس للشيخ احمد الخطيب المنكاباوى ورفع الحجاب عن مطالب التوقيت بالحساب للشيخ ابراهيم النادلى الرباطى ، والصواعق المحرقة للأوهام الكاذبة فى حل البلوت والرد على من حرمه للشيخ محمد مختار الجاوى ، وردع الجهلة واهل الغرة فى اتباع قول من يرد المطلقة ثلاثا فى مرة للشيخ محمد على المالكى ، والعروش العلوية فى الأروش الشرعية للشيخ محمد طاهر سنبل ، وتقدير الجنايات التى لا ارش لها للاهدل ، واحكام الناسك فى احكام المناسك على مذهب الامام احمد بن حنبل للشيخ الراضى وحكم التقدم على الامام عند اركان الكعبة للشيخ بيرى زاده ورفع الأوهام فى عدم جواز صلاة الرجال خلف صف النساء التام فى المسجد الحرام له ايضا ، والجواهر المكية للسيد سعيد شطا ، وغيرها الكثير .

أما « اثارة الحجون لزيارة الحجون » فقد عدد فيه الفيروزابادى اسماء من دفن من الصحابة والصحابيات فى مقبرة المعلاة وذلك فى الفصل الأول وفى الثانى ذكر احكام زيارة الموتى وذيلها بخاتمة فى معنى البرزخ .

وجاء فى آخر النسخة الخطية التى جرى عليها الطبع :« كان الفراغ من رقمها صبح الجمعة الموافق اربعة عشر من شهر محرم الحرام عام سبعة وعشرين بعد الثلاثمائة والألف »

« وكان رقمها من نسخة مرقومة بقلم المرحوم على بن ابى بكر الصائغ وهو رقمها بعناية .. عبد الله بن الشريف محمد بن عون » .

وأما منظومة ابن الصائغ لهذا الكتاب فهى ارجوزة لطيفة قال فيها بعد المقدمة :

وقد أفاد الحبر مجد الدين | نبراس اهل الفضل والتمكين
مؤلفا في أحسن العبارة | في وضعه يسمو به الاشارة
مسميا اثارة الحجون | الى مزار ساكني الحجون
وخص في تأليفه وعينا | كل صحابي به قد دفنا
وقد تطفلت على مجموعه | لانظم المنثور من مسجوعه
وذاكرا اسماءهم مختصرا | مرتبا لها كما قد حررا
سميته باللؤلؤ المكنون | في ذكر اسماء أولى الحجون

وقال في آخرها :

وان ترد تاريخ ما قد رسما | قل حفظ الله ابن عون وحمى

وهذا بأعداد الجمل المصطلح عليها لدى العلماء كما رقم ٩٨٨ ـ ٦٦ ـ ٨٨ ـ ٥٥ .

قال ابو تراب : وهذا خطأ فان (حفظ) عندهم بـ ٩٨٨ كما هو مرقوم فالظاء بـ ٩٠٠ والطاء بـ ٨٠ والحاء بـ ٨ ومجموعها هو المذكور ، ولفظ الجلالة بـ ٦٦ لأن اللام عندهم بـ ٣٠ والهاء بـ ٥ والألف بـ ١ وكذلك قوله (وحمى) بـ ٥٥ ، لأن الواو بـ ٦ والحاء بـ ٨ والميم بـ ٤٠ والياء بـ ١٠ ، لكن الخطأ في قوله : (ابن عون) اذ رقموا تحته بـ ٧٨ ، والصواب ١٧٨ ـ أو ١٧٩ على اعتبار الهمزة الوصلية حرفا في ـ ابن ـ فالألف بـ ١ والباء بـ ٢ والنون بـ ٥٠ والعين بـ ٧٠ والواو بـ ٦ والنون الأخيرة بـ ٥٠ ايضا ومجموع هذا العدد ١٢٨٨ على اعتبار الهمزة المدغمة أو ١٢٨٧ على الغائها وهو تاريخ النظم الذى ضمنه ابن الصائغ .

قال ابو تراب : وهنا تنبيه لا بد من ذكره ذلك ان كثيرا من المتعلقين بالكتب يذكرون هذا الكتاب بـ « انارة الحجون » وهو خطأ لا يلتئم مع المعنى والعنوان ، والصواب :«اثارة الحَجون» والحجون هو الرجل المتماوت الخامل ، وهذا أليق به فكأنه يبعث فيه باثارته النشاط وقد وجد على ظهر النسخة بخط العلامة ابن فهد ما صورته : « الحجون بالفتح الرجل الكسلان وبالضم اسم المكان المعروف » وفى هذا ايضاح الاشكال وجواب التسآل ، فالانارة هنا لا معنى لها ، والاثارة هى مراد المصنف من الكسلان ، وقد فسره هكذا المصنف فى القاموس فى مادته وسائر اللغويين فليتنبه . واسم الكتاب بعد هذا : « اثارة الحَجون ، بإنارة الحُجون » .

* * *

الانتصار للسنوسى (٢)

قال أبو تراب : أخطأ الأستاذ احمد الذهب فى تأييده الدكتور عارف قياسة وفى تخطئة الأستاذ السنوسى فى كلمة (هز الوليد المهود) من قوله :

وسرت نشوة الضياء تهز الشعر هزا هز الوليد المهود

وكلا الأستاذين الدكتور عارف قياسة واحمد الذهب استبعدا رفع المهود بمكان فاعل لهز وصواب المنطق مع السنوسى دون ما ريب . وتقرير المسألة عندى ان الوليد فى البيت مفعول أضيف اليه المصدر فجر والمهود فاعل مرفوع ومثل هذا يقع فى كلام العرب فهم يضيفون المصدر الى المفعول فينجر المفعول بالاضافة ويبقون الفاعل بعده مرفوعا ومفعوله يتقدم عليه مجرورا بالاضافة مثال ذلك قولهم (عجبت من شرب العسل زيد) ، فزيد فاعل الشرب فى اعراب الجملة والعسل مشروب وهو المفعول جر لاضافة المصدر اليه كما يضاف المصدر الى الفاعل ايضا فيجره ثم ينصب المفعول نحو عجبت من شرب زيد العسل فزيد هنا مجرور بالاضافة والعسل منصوب على المفعولية وزيد فى الحقيقة فاعل والمصدر هو العامل فى كل ذلك وهذا هو مبحث أعمال المصدر .

وهذا هو معنى قول ابن مالك فى الألفية :

وبعد جره الذى أضيف له كمل بنصب أو برفع عمله

وهذا هو قول سيبويه فى « الكتاب » (ج ١ ص ١٠) وقد أنشد سيبويه شاهدا على ذلك قول الفرزدق يصف ناقته :

تنفى يداها الحصا فى كل هاجرة نفى الدراهيم تنقاد الصياريف

وأنشده الأشمونى ايضا (ص ٦٨٩) .

ومعنى البيت أن هذه الناقة تدفع يداها الحصا فى وقت الهاجرة كما يدفع الصيرفى الناقد الدراهم .

والشاهد فيه قوله « نفى الدراهيم تنقاد » حيث أضاف المصدر وهو قوله (نفى) الى مفعوله وهو قوله (الدراهيم) ثم أتى بفاعله مرفوعا وهو قوله (تنقاد) .

وعلى هذا التعليل خرج بعض النحويين قول الله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) فأعرب (من) فاعلا مؤخرا بحج والبيت مفعول مجرور بالاضافة . وفيه تعليل آخر ليس هذا مقامه .

فاذا أضيف المصدر الى المفعول فيكون المفعول مجرورا لفظا ومنصوبا محلا كما اذا أضيف الى الفاعل ففاعله يكون مجرورا لفظا ومرفوعا محلا فاذا عطف على أحدهما ففيه مذهبان للنحاة أحدهما : ان تراعى اللفظ وثانيهما أن تراعى المحل اى المعنى وأنشدوا شاهدا على ذلك قول لبيد بن ربيعة العامرى يصف حمارا وأتانه شبه به ناقته :

حتى تهجر فى الرواح وهاجها طلب المعقب حقه المظلوم

فرفع المظلوم لكونه نعتا للمعقب على المحل فمحله الرفع لأنه فاعل وهذا معنى قول ابن مالك :

وجر ما يتبع ما جر ومن راعى فى الاتباع المحل فحسن

قال القاضى العقيلى فى الحاشية (ج ٢ ص ٨٥) واذا أضيف المصدر الى المفعول فهو مجرور لفظا منصوب محلا فيجوز ايضا فى تابعه مراعاة اللفظ والمحل .

وفى كتاب سيبويه شاهد على هذا قول رؤبة بن العجاج وينسب لزيادة العنبرى :

قد كنت داينت بها حسانا مخافة الافلاس والليانا

فقوله « الليانا » معطوف على محل « الافلاس » ومحله النصب .

وقال الجرجاوى فى شرح الشواهد (ص ٣٠٦) :

قول الفرزدق شاهد حيث أضيف المصدر وهو « نفى » الى مفعوله وهو « الدراهيم » ثم رفع الفاعل وهو « تنقاد » ويصدق عليه قولهم : عجبت من شرب العسل زيد وهو قليل والكثير اضافته الى الفاعل فيجره ثم ينصب المفعول نحو عجبت من شرب زيد العسل وهذا هو عين تقرير الشيخ محمد قطة .

وقال ابن هشام الانصارى فى أوضح المسالك (ج ٢ ص ٤٠) ويكثر ان يضاف المصدر الى فاعله ويقل عكس ذلك أى اضافة المصدر الى مفعوله ثم يأتى فاعله وأنشد قول الأقيشر الأسدى :

أفنى تلادى وما جمعت من نشب قرع القواقيز أفواه الأباريق

وقيل يختص هذا بالشعر لكنه مردود بقوله (وحج البيت من استطاع) أى وأن يحج البيت المستطيع .

ومعنى كلامه ان (من) فاعل لحج والبيت مفعول مضاف اليه المصدر والشاهد الذى أنشده مثل ذلك فان قوله « قرع القواقيز » من اضافة المصدر الى المفعول وهو « القواقيز » ثم أتى بفاعله وهو « أفواه » .

وقال السيوطى فى البهجة المرضية (ص ١١١) : ان المصدر اذا أضيف الى المفعول لزم رفع فاعله مؤخرا وأنشد شاهدا على ذلك قوله : **بذل مجهود مقل زين**

فمقل فاعل مرفوع وبذل مصدر أضيف الى المجهود المجرور لفظا ومحله النصب وزين خبر .

وقال الامام بدر الدين ابن الناظم فى أعمال المصدر (ص ٢١٨) ان المصدر يعمل مضافا فاذا كان مضافا جاز أن يضاف الى المفعول فيجره ثم يرفع الفاعل بعده نحو بلغنى تطليق هند زيد فزيد فاعل مرفوع ومفعوله هند مجرور باضافة المصدر اليه ونحوه قول الشاعر وأنشد قول الفرزدق المتقدم .

ثم قال وزعم بعضهم أنه مختص بالشعر وليس كذلك بدليل قوله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وانما هو قليل ولا تكثر هذه الاضافة الى المفعول الا اذا حذف الفاعل كقوله تعالى « بسؤال نعجتك » واما اذا لم يحذف الفاعل فقليل .

وقال ابن الحاجب فى الكافية : يعمل المصدر عمل فعله ماضيا وغيره اذا لم يكن مفعولا مطلقا ولا يتقدم مفعوله عليه ولا يضمر فيه ولا يلزم ذكر الفاعل .

وقال يجوز اضافته الى الفاعل وقد يضاف الى المفعول وأعماله باللام قليل .

وقال الامام الرضى (ج ٢ ص ١٨٢) اضافة المصدر الى الفاعل هى الأكثر وانما يضاف الى المفعول اذا قامت القرينة على كونه مفعولا أما بمجىء تابع له منصوب حملا على المحل نحو أعجبنى ضرب زيد الكريم أو بمجىء الفاعل بعده صريحا كقوله :

أمـن رسـم دار مربـع ومصيف لعينيك من ماء الشـؤون وكيف

أو بقرينة معنوية نحو أعجبنى أكل الخبز أى ان أكل خبز فيجوز الاضافة اليه مع القرينة الدالة على كون المضاف اليه مرفوع المحل كما يجىء بالمجرور

بتابع مرفوع نحو يعجبنى أكل الخبز النقى واذا اضيف الى الظرف جاز ان يعمل فيما بعده رفعا ونصبا نحو عجبت من ضرب اليوم زيد عمرا الخ .

وقال العلامة الجامى (ص ٢٩٤) وقد يضاف المصدر الى المفعول سواء كان مفعولا به أو ظرفا أو مفعولا له على قلة بالنسبة الى الفاعل نحو ضرب اللص الجلّاد وضرب يوم الجمعة الجلاد وضرب التأديب الجلّاد .

وقال فى التقريرات : اضافة المصدر الى المفعول جائزة على قلة بالنسبة الى الفاعل والغرض من القلة القلة الاضافية فاللص فى قوله ضرب اللص الجلاد مفعول به وقوله الجلاد فاعل له . انتهى .

وبذلك علمنا ان قول الشاعر (هز الوليد المهود) صحيح فالمهود فاعل لهز والوليد مفعول منصوب محلا مجرور لفظا لكونه مضافا اليه المصدر بقى أن تعترض كيف تهز المهود الوليد مع أن الهاز غير المهود فالجواب ان هذا مجاز وهو كثير فى كلام العرب يقولون جرى النهر مع أن الجارى هو الماء لا النهر فعند أهل المعانى هذا من باب تسمية الشيء بما يلازمه فلما كان الهز يقع بالمهود نسب اليها ولا غبار على ذلك وفيما ذكرنا كفاية .

* * *

الرد على الذهب (٢)

قال أبو تراب :

كتب الذهب الفاضل فى جريدة عكاظ (٨١ هـ) يتشفى مما وخزه من تعقبى ولم يحر جوابا غير استصغارى وصمتى بالنقص وانا والله كذلك لولا انه يغمط ويعيبه ان يتعالى على الناس ويستصغرهم وهم له مكبرون ثم يتخلى عن التأدب ويدع حسن المخاطبة وكذلك يفعل الجاهلون فهذا أوان الشروع فى الرد على هذا الخطاط وبالله المستعان :

قال الذهب : ولو انى جاريت ابا تراب لكنت تقصيت خطأ اساليبه المتقعرة المتعثرة فى كثير مما كتب ويكتب فى زاويته الوهمية اياها .

قال ابو تراب : وغاب عن علمه ان استعمال « اياها » هنا اشنع خطأ وقع فى ورطته الذهب الفاضل .

فانه يتعين استعمال هذا الضمير المنفصل الاختصاصى عند انحصاره كقوله تعالى « وقضى ربك أن لا تعبدوا الاّ اياه » أو عندما يكون عامله متأخراً عنه كقوله تعالى « اياك نعبد واياك نستعين » أو عندما يفصل بينه وبين عامله بمعمول كقوله تعالى « يخرجون الرسول واياكم » ومنه قول الشاعر :

مبرأ من عيوب الناس كلهم　　فالله يرعى ابا حفص وايانا

أو عندما يقع بعد واو المعية كقول ابى ذؤيب الهذلى :

فآليت لا انفك احذو قصيدة　　تكون واياها بها مثلا بعدى

أو عندما يقع بعد اللام الفارقة نحو قول الشاعر :

ان وجدت الصديق حقا لايا ك فمرني فلن أزال مطيعا

على ان ضمير (اياى) الى آخر التفريع ضمير منفصل منصوب دائما ولا يأتي مجرورا ولا مرفوعا قطعا فكيف أحله الذهب الفاضل محل الجر فى قوله (فى زاويته الوهمية اياها) . وجعله فى مقام الوصف والضمير لا يكون نعتا بل يكون معمولا .

وبذلك علمنا انه يجهل قول ابن مالك فى الألفية :

وذو انتصاب فى انفصال جعلا ايـاى والتفريع ليس مشكلا

وهو يشير بهذا الى الضمير المنصوب المنفصل والى ان صيغه الأثنتى عشرة منتصبة لذلك قال فى الكافية الشافية :

ذو الرفع قد يخفى كمثل قِسْ أَقِسْ لأن معنى ما نووا لم يلتبس

وما مضى وشبهه متصل وهو وانت وانا منفصل

كذاك اياى واياك وزد اياه والفروع عنها لا تحد

والأول المرفوع موضعا وما يليه منصوب المحل فاعلما

قال الجامى : يستعمل الضمير المنصوب المنفصل وهو اياى الى اخر التفريع عند تقديمه على الفاعل أو فصله لغرض التخصيص أو عند حذف عامله .

واما قول السيوطى فى البهجة انه قد يستعمل مجرورا فيشير به الى دخول حرف الجر عليه كما تقدم فى قول الشاعر وليس مكانه الجر كما فى قول الذهب الفاضل .

ولذلك قال ابن هشام من المنفصل الذى يختص بالنصب (ايا) ويجب عند تقدمه على عامله أو يلى (الا) .

ولذلك قال ابن الناظم ان (ايا) مختص بالنصب مردف بما يدل على المعنى والانفصال فى سعة الكلام على شريطة كون الضمير معمولا لفعل أو شبهه كقوله ﷺ « ان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم » .

وقال ابن الحاجب فى الضمير المنصوب المنفصل وهو اياى الى اياهن انه لا يسوغ الا اذا تعذر المتصل وذلك بالتقديم على عامله وبالفصل لغرض أو بالحذف نحو اياك ضربت وما ضربك الا اياى واياك والشر .

وقد خفى على الذهب الفاضل ان هذا الضمير لابد له من عامل يعمل فيه وهو مجرد عنه فى مقولته التى نناقش الحساب فيها فاذا شئت فاقرأ نص الرضى فانه صرح بان الفعل هو المقتضى للنصب بالاصالة وسائر ما ينصب الضمائر وهو ان واخواتها وما الحجازية نحوما زيد اياك واسم الفاعل والمفعول والمصدر واسم الفعل انما تنصب بمشابهة الفعل والحمل عليه .

وكان حق المنصوب ايضا ان لا يتصل الا بالفعل أو الأسماء المشبهة له كالمرفوع لطلب الفعل له بالذات والبواقى بالحمل عليه لكنه لما جاز فى الأصل اى الفعل ان يتصل به مع استغنائه عنه لكونه فضلة جاز اتصاله بغير الفعل ايضا اذا شابهه .

فاذ تقرر هذا قلنا الضمير المنصوب يجب فصله فى مواضع منها اذا تقدم على عامله ولا يكون الا منصوبا نحو اياك نعبد ومنها اذا كان العامل محذوفا نحو قولك اياه ضربته ونحو (اياه) لمن قال من اضرب ؟

ومثله فى باب التحذير اياك والأسد وهو من تقدم المفعول على ناصبه .

قال الاسترابادى وانما لزم الانفصال فى هذين الموضعين لان الضمير المتصل ما يكون كالجزء الأخير من عامله فاذا لم يكن قبله عامل بل كان اما مؤخرا (أو) محذوفا فكيف يكون كالجزء الأخير من عامله .

ومنها اذا فصل عن عامله لغرض لا يتم الا بالفصل وذلك فى مواضع منها ان يكون تابعا اما تأكيدا نحو قولك لقيتك اياك (أو) بدلا كقولك بعد ذكر لفظة اخيك لقيت زيدا اياه ومنها ان يقع بعد الا نحو ما ضربت الا اياك واتيان الضمير المتصل بعد الا شاذ ومنه قوله :

وما نبالى اذا ما كنت جارتنا الا يجاورنا الاك ديار

ومنها اذا وقع بعد معنى الا كقوله :

(كأنا يوم قرى انما نقتل ايانا) وأوله :

لقينا منهم جمعا فأوفى الجمع ما كانا

ومنها ان يلى اما نحو اما اياك أو عمرا والغرض منها افادة الشك من أول الأمر ومنها ان يكون ثانى مفعولى علمت أو اعطيت ويورث اتصال الضمير التباسه بالمفعول الأول كما اذا اخبرت عن المفعول الثانى فى علمت زيدا أباك وأعطيت زيدا عمرا قلت الذى علمت زيدا اياه ابوك والذى اعطيت زيدا اياه عمرو ولا يجوز ان تقول الذى علمته زيدا ولا الذى اعطيته زيدا لأنه يلتبس المفعول الثانى بالأول كما اذا اخبرت عن المفعول الثانى بالأول .

فأما ان لم يلتبس فالاتصال فى باب اعطيت اولى والانفصال فى باب علمت كما اذا اخبرت عن المفعول الثانى فى اعطيت زيدا درهماً فقولك الذى

أعطيته زيداً درهم اولى من قولك الذى اعطيت زيدا اياه درهم لانك تقدر على المتصل بلا مانع من فساد اللفظ والمعنى .

ومن جوز المنفصل ها هنا فتوطئة لازالة اللبس فى المفعولين اللذين يحصل فيهما اللبس بالاتصال نحو اعطيت زيدا عمرا واذا اخبرت عن الثانى فى علمت زيدا قائما فقولك الذى علمت زيدا اياه قائم اولى من قولك الذى علمته زيدا قائم وذلك للتوطئة المذكورة أو لرعاية اصل المفعول الثانى اذ العامل فيه فى الأصل ما يجب انفصاله عنه كما فى كنت اياه ، افاده الرضى .

هذا وقد جعل الذهب الفاضل الضمير المنفصل فى مقام النعت وقد تقرر فى اصول النحو انه لا يقع وصفا بل يكون معمولا للفعل أو شبهه منصوبا . ومن فرط جهل الذهب الفاضل جعله مكان المجرور تابعا له ونعوذ بالله من ذلك . ولا عامل فى كلامه فى الضمير ولا مرجع له الا الظرف وهذا ممتنع .

الا فليعلم الذهب الفاضل ان هذا الضمير يعمل فيه الفعل أو شبهه ولا يمكن ان يكون خلاف ذلك فاقامته مقام الصفة ومتابعته للمجرور باطل بل كان حقه فى الأصل ان لا يتصل الا بالفعل لطلب الفعل له بالذات والبواقى بالحمل كما مر لكنه لما جاز فى الأصل اى الفعل ان يتصل به مع استغنائه عنه لكونه فضلة جاز اتصاله بغير الفعل ايضا اذا شابهه على شريطة ان يكون عاملا فيه فان كان العامل مما وجب انفصاله عن المنصوب وضعا كما الحجازية نحو ما زيد اياك أو فصل بينهما لغرض لا يتم الا بالفصل وجب انفصاله كما ذكر فى ضمير الفعل نحو ما انا ضارب الا اياك وانا ضارب اما اياك واما زيدا أو انا ضاربك اياك .

وان لم يكن كذلك فلا يخلو من ان يكون الناصب حرفا او اسم فعل او مصدرا او صفة فالحرف يجب اتصال الضمير به نحو انك فى الدار ولا تقول ان فى الدار اياك وذلك لأن الحرف غير مستقل فالاتصال به واجب مع الامكان وكذا يجب الاتصال باسم الفعل وجاز الانفصال فيما اتصل به الكاف من أسماء الأفعال نحو رويدكه ورويدك اياه وعليك اياه وعليكه تشبيها بنحو اعطاك اياه ان لم يكن الكاف ذلك الكاف .

وأما المصدر فان كان منونا فيجب الاتيان بالضمير المنفصل كأن تقول اعجبنى ضرب اياك وكذلك اذا كان المصدر ذا لام فالأشهر عندئذ انفصال الضمير بعده نحو اعجبنى الضرب اياك لمعاقبة التعريف للتنوين فى تمام الكلمة به .

واما اسما الفاعل والمفعول فتقول ضارب اياك والضارب اياك والمعطى اياك ومعطى اياك .

قال الرضى والظرف والجار والمجرور فلكونهما قائمين مقام الفعل اللازم لا يجيء بعدهما ضمير منصوب بهما .

قال ابو تراب : وقول الذهب الفاضل « فى زاويته الوهمية ايّاها » ظرف وجار ومجرور فانى يستقيم الضمير بعدهما وهو يتطلب ان يكون معمولا لفعل أو شبهه منصوبا ، فتبا له .

(فائدة) قولنا يجب اتيان الضمير المنصوب منفصلا عند الفصل لغرض احتراز عن نحو ضرب زيد اياك فانه لا يجوز مع وجود الفصل لأن هذا الفصل ليس فيه غرض اذ قولك ضربك زيد بمعناه وأما قوله (ضمنت اياهم الأرض)

فضرورة شعرية .

وقال ابن هشام (اياى) الى آخر الاثنتى عشرة كلمة لا تقع الا فى محل النصب فاياك اكرمت مفعول مقدم والمفعول حكمه النصب ولا يجوز ان يعكس ذلك . فلا تقول اياى مؤمن قال وليس فى الضمائر المنفصلة ما هو مخفوض الموضع وهذا رد عظيم من امام عظيم على مقولة الذهب الفاضل الذى اباح لنفسه احلال هذا الضمير محل الخفض ونسأل الله السلامة .

ومن شواهد ذلك قول الزمخشرى فى المفصل ان حال الجر لا منفصل لها من الضمائر ومنصوبه اياى الى آخر التفريع .

وقال ابن يعيش ان المضمر المنفصل يكون مقدما على عامله كقولك اياك اخاطب .

قال تعالى : اياك نعبد واياك نستعين » او مفصولا بينه وبين العامل بشىء كالاستثناء والعطف كقولك ما ضربت الا اياك وضربت زيدا واياه ولا يخلو من ان يكون منصوب الموضع ولا يكون مخفوض الموضع لان المجرور لا يكون الا بعامل لفظ كحروف الجر والاضافة ولا يجوز ان يتقدم المجرور على الجار ولا يفصل بينهما فصلا لازما .

الى ان قال ان (ايا) فى جميع الاحوال منصوب الموضع فلما لزم النصب دل على انه مضمر ولا يجوز ان يكون فى موضع مرفوع ولا يجوز ان يكون مجرورا لأن الجر فى كلامهم انما هو من وجهين اما بحرف جر واما باضافة اسم ولا حرف جر ههنا يكون مجرورا به ولا يجوز ان يكون مخفوضا باضافة ايا اليه لأنه قد قامت الدلالة على انه اسم مضمر والمضمر لا يضاف لأن الاضافة للتخصيص

والمضمرات اشد المعارف تخصيصا فلم تحتج الى الاضافة .
ويؤكد كون ما يلى (ايا) حروفا انه لم يسمع عنهم تأكيدها فلم يقولوا اياك نفسك ولا اياكم كلكم ولا اياى نفسى ولا اياهم كلهم وقولهم « اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب » محمول على الشذوذ .
واما قول الخليل لو ان قائلا قال اياك نفسك لم اعنفه فليس ذلك برواية رواها عن العرب ولا محض اجازة بل هو قياس على قولهم وايا الشواب وهذا الخلاف فى الحروف التى تتصل (بايا) وصيغه وليس فى مواضع استعمالها التى تقدم ذكرها ولا فى كونها منصوبة وليس هذا موضع بيانها وتفصيلها .
ولا يجوز ايضا ان تقول ضربت اياك لامكان الاتصال الا ما شذ من قول حميد الأرقط (اليك حتى بلغت اياكا) وقول بعض اللصوص المتقدم وهو ذو الأصبع العدوانى :

(كأنّا يوم قرى انما نقتل ايانا)

وتأوله قوم من النحاة انه فى معنى الحصر لأن (ما) فى (انما) كافة وهذا ليس كقوله :

ليس اياى واياك ولا نخشى رقيبا

وبالجملة فان هذا المضمر المنفصل المنصوب لا يقع الا معمولا فى مواضع معروفة عند النحاة جهلها الذهب الفاضل فلذا وقع فى الخطأ الفاحش ونحن نلقنه اياها ليحترز لنفسه فمنها تقدمه على العامل نحو اياك اكرمت لأنه لا يمكن اتصاله بالعامل مع تقدمه او كان مفعولا ثانيا او ثالثا نحو علمته اياه واعلمت زيدا عمرا اياه او كان اغراء المخاطب نحو اياك والطريق وقد تقدم شرح ذلك

ببيان واف وتوضيح كاف بما لا يدع للشك مجالا ولا للذهب الفاضل مقالا .

وما أحسن قول ابن ابى ربيعة :

لئن كان اياه لقد حال بعدنا   عن العهد والانسان قد يتغير

قال أبو تراب : ثم اطلعنا على « حقل أدب » يزرعه الذهب الفاضل بأوهام شاء له الهوى أن يعزوها الىّ فيجعلها ظاهرية كأنما ينسبها الىّ وهى به ألصق وهو بها موسوم الناصية وكفى الذهب فساداً أنه ليس بأبريز وكفانا فخاراً أن حججنا ظاهرة باهرة لا تعمش فيها إلا عيون الخطاطين يعنون بالرسم ولا يفقهون حديثاً .

والعجب كل العجب ليس بين جمادى ورجب ولكن بين تحرير موهون الشكيمة « حقل أدب » وبين نشر الصحيفة باب الذهب وهو متنكث الحصافة قليل الفطنة متزحزح الرأى فى عزمه وَهْىٌ ولو كانت للذهب الفاضل فطنة أو حنكة أو دربة لأدرك ما رميت إليه وانتضيته وعولت عليه .

لكنه راح يزهو بأن وجد له تخريجا لتصحيح مقولته الواهمة المشينة وما هو التخريج ؟؟ انه تقدير قوله « أعنى » قبل « إياها » ولم يدر أن تقدير الفعل قبل ضمير التخصيص غير جائز وهل تجدى كلمة « أعنى » قبل « إياها » ؟ غير أنه ركب شططا وأتى رأيا فائلا ادّا .

وأى ذى بلاء يطمع فى تخريج كهذا اللهم إلا العنكبوت تبث حبائلها فاذا تفكر الانسان ما هى صيودها المرتجاة لرأى ثمة أذبة فرحت بها ومصت أمخاخ عظامها النحل وما أصدق ما أنشده المبرد فى الكامل :

ضـــربـــت عليـــك العنكبـــوت بنســـجها
وقضـــــى عليـــك به الكتـــاب المـــــنزل

ولا تعجبوا من هذا المثل فانما الأمثال تضرب للاعتبار والادكار وذلك هو مثل الذهب الفاضل فرح بتخريجه ولم يعلم بما يعقب تخريجه من تعقيب يجعل كل ثرثرته وقوداً للصحافة وبخوراً للهواء وإنا لحقوله لساجرون .

فاعذرينـــا على القصور كلانـــا غـــيرتـــه طواريء الحدثـــان

ونحن لن نتعالى فنقول : أعلمنا صديق أن فلاناً كتب علينا رداً كما يفعل الذهب الفاضل ولكنا نذكره بأنه كان حفيا بما يكتبه القلم الظاهرى ليقف على رقعه ويذكر من سهوه وينبه من سنته ويوقظ من وسنه .

مهـــلا بنـــى عمنـــا من تحـــت أثلتنـــــا
لا تنبشـــوا بيننـــا ما كان مدفونـــــا

ووقع الذهب الفاضل فى الفخ وهو يختنق وغصت الكلمة فى حلقه لأن زعمه أنى لا أفقه قواعد العربية شيء يمقته القاصى والدانى ومم انبعث هذا الصوت المبحوح ؟ انه انقطع من حيث تنفس وتنهد السعار حتى إذا كاد ينشق لمع الحق فى عينه انبكم لا يماثله إلا باقل .

وقلت له فى نفسى أدل بلسانك ما شئت فلن يعدم الحق بيانه ولا المقدام سنانه والبداية منك مزلة والكرة منا تجلة .

فلما عاد حقله ذابلا وأضحت غلاله نهباً مضاعاً وهوىً متبعا قلنا أن العثور على الحق ذو مسلك وعر فاذا فات البحث والوقوف صاحبنا فليته لم يعرج على مطلب رخيص طامع . لكن السياق دال والأسلوب متبع .

تعالوا نحص ما وقع فيه الذهب الفاضل من التخبط والسقطات انه يقول أنه قدر فعل « أعنى » قبل الضمير « اياها » فى قوله : (فى زاويته الوهميه اياها) .

وقلنا أين انحصار الضمير ها هنا أو تأخر العامل أو الفصل بينه وبين المعمول مما قررنا سابقا .

لكن قلة دراية الذهب الفاضل بالنحو جعلته يتخبط خبط عشواء ولم يع القواعد التى لقناه إياها فى استعمال هذا الضمير المنفصل المنصوب فذهب يبحث له عن فعل ينصبه ولم يعلمْ موقعه من الاعراب وهل يدرك الظالع شأو الضليع .

فلندعه الى مطالعة بحثنا مرة أخرى لعله يفهم أو يزكى وإلا فالـ[illegible] له المصطلى .

وكيف تهرب بهذا من وزن بحر كسرته فاختلط عليك الخفيف بالرمل وأدخلت فيه الكف دهاك الله بالكف .

أفتنسى هذه الفضيحة التى لحقت بك حتى جئت تستدركها علىّ فى « التطريز » وما أدراك ما التطريز .

وأنت لا تعلم ما المجاز فى الطراز ولم تطلع على نص اللسان (ج ٧ ص ٢٣٦) على أن الطراز علم الثوب فارسى معرب وطرز الثوب فهو مطرز وقد طرزه تطريزاً أى أعلم فتطرز وهو مطرز .

ونحن نعرف هذا بالعربية والفارسية وأنت تجهلها معاً لا أقول واحدة .

وجاء التطريز بمعنى التأنق فى الملبس والمأكل وحسن الهيئة مجازاً وكذلك الطريقة فى العمل كما نص عليه فى تاج العروس (ج ٤ ص ٤٨) .

وفى المغرب للمطرزى (ج ٢ ص ١٣) الطراز علم الثوب وكذلك لا يشترط فيه أن يكون من جنسه كما زعمت جهلا وأنت تضل فى سعة باب المجاز.

ولو شئنا لأذكرناك اخطاءك فى « هز الوليد المهود » و (ما أذكرت ناسى) ففيها أدلة الجهل الذى وسمت به بالنحو والتصريف ونشرت كل ذلك مجلة (الرائد) (٨١هـ)التى أغاظت ذا حرد مقيم .

واليوم نطارحك باشفار العين وحمة الزنبور والطرب والحشمة والقافلة والمأتم والربيع والدلج والعرض فما هى ؟ .

أنت لا تعرف مواضعها على رغم شيوع هذه الكلمات واستعمالها ولا تفقه تفسيرها فانى لك أن تدرك المعضل العصى أو المطلب القصى .

قال أبو تراب : وحسبك ما استمعت وحبذا لو اتبعت .

وكان من حديث الذهب الفاضل أن زفر فكأنما يزفر من حر بخار انبعث من نار غيظه إذ أطفئت تحت أفواه القرب وهى تصب صباً صباً .. وتنسم وكأنه يتنسم دخانها وكاد يختنق أو يعتصر فؤاده ضيق هو به واقع وما له من دافع .

ولو أن الذهب استعار لعيوب أوهامه ونقائض ردوده سدولاً يرخيها وأكلة تغطيها إذن لكان ذلك أسلم له من أن يخرج من بين معشر النقاد باذ الهيأة مفضوح التعبير ليس مستلبه بمنيع ولا زمامه بأبى .

وأظنه كان يرسل الكلام ولا يستذكر أن علينا حسابه وكان يجول كيفما شاء له الهوى متخيلا أنه فى الميدان وحده .

وانـــى لو لقيتـــك فاجتمعنـــا　　لكـــان لكل منـــكرة كفـــاء

ومن أجل الاشتجار والاستعلاء وضع ما وضع فأما المغالطة فهى ديدنه وأما

الخروج عن السنن فهو من خصائصه وما يحصى عليه فى الجملة كهاتين وأعظم بهما من ساقطتين لقطهما ونحن من أجل الابانة حملنا ما حملناه .

وكل كلمة شاذة ناشزة اضطربت فى كلامه فندت فتعقبنا حاول أن يجعلها مأنوسة منجذبة الطبع مألوفة القول ملتئمة الصدع وكأنه العربى القح لا يعدل بها عن سنن الفصيح وهيهات هيهات ثم واحسرتاه على ما فات .

فعار على الفطن اللوذعى دخول الغميزة فى عقله

قال أبو تراب والبربر فى العدوة على انغماسهم فى العجمة يعوذون بالسميع العليم مقوم اللسان مما اغتمز فيه من استعماله جملة : (فى زاويته الوهمية اياها) وأبت عليه مركباته النفسية إلا أن يصححها وما هو بفاعل وقد ظهر عنها عارها وبدت منها ركاكتها .

فلما كان الذهب الفاضل منزع الحركات غير مستجمع القوى مفلتا عنه الامساك والتروى معدما جهة التوقى راح يسترسل وكأنه صاحب أحكام فى النحو وكأنما القرارات التى يصدرها يلقيها على قوم عمى صم لا يفقهون قولا ولا حديثا .

ولا أدرى كيف تسخو نفسه بأن يمضى فى قلب الحقائق ونقض المبرم من القوانين وكأن الناس عنده ليس فيهم من يعى ولعمرى ما هذا إلا اعجاب الرجل برأيه حتى صار العلم لديه هوى متبعا وتفاخرا بالظهور وتفاضلا بالكتابة وتعايرا بالمثالب وتنابزا بالألقاب واحتقارا للخلق وغمطا للناس وجحدا للحقوق وعجلة فى الرد (وقد يكون مع المستجعل الزلل) .

ولسنا نخوض هنا فى أنواع مركباته الطبعية ولا فى تحليلها النفسى وانما نتهيأ

للرد على مزاعمه الباطلة ونبسط القول فى سقطاته وربما أدانا ذلك الى مطارحته بمسائل فى أسرار الصناعتين وعلوم العربية ليكون الأصحاب على بصيرة من أمر هذا الانسان ومدى ما يعلمه بالاستكناه فلا يبقى ثمة وجه للالتباس ولا للتمويه ولا للتمويه يتعلق به كالغريق يتشبث بعود ثمام .

وجماع القول أن صاحبنا هذا يقول كثيرا ويكتب كثيرا لكن البصيرة النفاذة من ذى تمكن من العلم تدرك الجواب إذا قيل هل هو يفقه كثيرا أو يعلم كثيرا .

ولقد كشفت لك الغطاء فان تكن   فطنا عرفت وما أخالك تعرف

والخطأ اللغوى فى كلام الذهب الفاضل ليس وحده هو الذى يدل مكشوفه على مطويه ولكن الخطأ الخلقى فيه أمكن منه فى باب الدلالة عند الاعتبار فان احدهما يدل على مبلغ علمه وثانيهما يدل على مدارج نفسه واعتلالات قلبه فهى حينئذ تنقلب كبرياء وصلفا وأبئس بهما من ذاهبين برونق الآدمى وروائه فما أطول عند ذلك لبث البلاء ودبيب اللغوب والسقم ..

ثم تعالوا نزن الذهب بمعيار العلم وهيهات أن يوزن ذهب كهذا فنرى أين يقع لسان الميزان منه لأن ذهبا هذا شأنه ينتفى أكثر عند الصهر فليس هو مما يوزن وزنا ولكنه مما يكال كيلا فاذا وزناه بمنطق العلم تعلقت كفته بالفلك وأخرى استقرت على قواعدها أو قومناه فما قيمته إلا النوى تقتاتها السخال والمواعز وليس للثمن فيه رغبة ولا به ولع .

وهاك بيتا نقده الذهب الفاضل وليته كفكف من الاسترسال ليكون أستر للعيب ولكنه قال فى :

وسرت نشوة الضياء تهز الشعر   هزا هز الوليد المهود

انه يستبعد رفع المهود بمكان فاعل لهز وغاب عن علمه ان قول الشاعر (هز الوليد المهود) صحيح لا غبار عليه فالمهود فاعل لهز والوليد مفعول منصوب محلا مجرور لفظا لكون المصدر مضافا اليه ولا يجهل هذا إلا الغمر العياياء .

ولو كان الذهب الفاضل رزق حظا من العلم بالنحو لعرف ان العرب يضيفون المصدر الى المفعول فينجر المفعول بالاضافة ويجعلون الفاعل بعد ذلك مرفوعا ويتقدم عليه المفعول مجرورا كقولهم عجبت من شرب العسل زيد .

فزيد فى المثال فاعل مرفوع والعسل مفعول الشرب جر لاضافة المصدر اليه وتأخر عنه الفاعل وكذلك هو التحقيق فى البيت فالوليد مجرور باضافة الهز اليه والمهود فاعل مرفوع .

ومما يدلنا على أن هذه القاعدة غابت عن ذهن الذهب الفاضل أنه لم يتذكر قول ابن مالك فى الألفية وكأنه لم يقرأها :

وبعد جرّه الذى أضيف له كمل بنصب أو برفع عمله

وشاهده عند سيبويه ج ١ ص ١٠ والاشمونى ص ٦٨٩ والجرجاوى ص ٣٠٦ قول الفرزدق :

تنفى يداها الحصا فى كل هاجرة نفى الدراهيم تنقاد الصيارف

وقد ذكر ابن هشام الانصارى فى أوضح المسالك ج ٢ ص ٤٠ اضافة المصدر الى مفعوله ثم اتيان الفاعل وانشد قول الاقيشر الاسدى شاهدا على ذلك :

أفنى تلادى وما جمعت من نشب قرع القواقيز أفواه الاباريق

ورد على من قال ان هذا يختص بالشعر لقوله تعالى « وحج البيت من

استطاع » أي وأن يحج البيت المستطيع وفيه تعليل آخر أيضا ليس هذا مقام ذكره .

وقال السيوطى فى البهجة ص ١١١ : ان المصدر اذا أضيف الى المفعول لزم رفع فاعله مؤخرا وشاهده :

(بذل مجهود مقل زين)

فمقل فاعل مرفوع وبذل مصدر أضيف الى المجهود المجرور لفظا ومحله النصب وزين خبر . وانظر المبحث فى شرح الرضى ج ٢ ص ١٨٢ وشرح ابن الناظم ص ٢١٨ فاذا علمت هذا عرفت مبلغ علم صاحبنا والحمد لله على ما رزقنا وله المنة والاحسان .

وخصلة اخرى انماز بها الذهب الفاضل هى السفسطة التى تأتى بالجحود والانكار والتلبيس والجدل فتراه يستغرب بعد ذلك كيف يمكن أن تهز المهود الوليد لأنها لا تهزه عنده وانما تهزه حركة اليد .

فانظر الى هذا النقد العجيب الذى انبثق عن قريحة وقادة وذهن ثاقب وفهم سليم فلله دره من قائل نثر الجمان وقلد اللؤلؤ والعقيان .

ولو شئنا ان نقابل السفسطة بالسفسطة لقلنا : وحركة اليد أيضا لا تهز المهود بل انما تهز الحركة ذاتها دورة فى الجسم دموية والدورة أيضا لا تهزها بل انما تبعثها ارادة تكون من تخيل فى العقل ونية فى القلب تتصاعد كالبخار فى الجسم فتنشط الدورة والدورة تحرك اليد واليد تحرك المهد والمهد يحرك الوليد فانظروا ماذا يكون جواب الذهب الفاضل ؟

اننى أدعوه الى أن يتكلم فى علوم المنطق والمعقول والفلسفة والطبيعة ولا يرهق نفسه صعودا فى نقد بيت قاله شاعر فالشعراء والمتكلمون مساكين أمام معايير المنطق لو حوسبوا ومن العيب فى النقد أن يحاسبهم الانسان بالسفسطة الفلسفية على ما يجرونه على ألسنتهم من المجازات الكلامية والمحاورات التى عرفوها من لغة قومهم والعبارات التى تعبر عن خلجاتهم فلو حاسب سوفسطائى الذهب الفاضل على حصره الهز فى حركة اليد مع امكان ان يكون المهد كاهرباويا فماذا سيكون الجواب ؟

وهل الذهب يخطىء محاورات الناس ومجازاتهم كقولهم مثلا سال النهر وانبت الربيع والنهر لا يسيل وانما يسيل الماء والربيع لا ينبت وانما تنبت الأرض الى غير ذلك من المجازات غير المحصورة .

والذهب يعرف هذا لكنه يأبى إلا أن يكون ناقدا سوفسطائيا غير أن هذا التمويه لا ينخدع به إلا من قل تمييزه وندر علمه أما ذوو المعرفة فلا يغشهم هذا الطلاء البراق ولا هذا الزيف المبهرج فتراهم يمضون فى قمع الباطل واحقاق الحق والكشف عن اللبس والرد على التمحك .

قد اطعمتنى دقلا حوليا … مدوداً مسوسا حجريا

والسفسطة فى النقد مما عيب به على الذى ينخرط فى سلك النقاد لأنها داعية للانحراف عن المحجة والتجرد عن الحجة فاذا عرى الكلام عن البرهان فلا يعبأ به إلا من يعنى باستحسان ذى ورم كأنما وافق شن طبقة :

صرية تزوجت بصريا … يطعمها المالح والطريا

لذا وجب على كل تكلامة فى معاريض الأبحاث أن يصلح كلامه ما وسع له

ذلك ويتثبت من حجته ما شاء الله له ثم ليبتدىء بالانتقاد طالبا الغاية فان ذلك له أسلم وبه أحرى وعليه أفرض .

وأما إذا كان عن ذلك بمعزل فان ما اوكت يداه ونفخ فوه سيوقعه فى مهاو لا ينجو منها ولا الخريت الجسور على التوى .

(وعلى أهلها براقش تجنى)

هذا كدأب الذهب الفاضل خلا كلامه فى النقد والرد عن الحجة اللهم الا السوفسطائية خلو ملحوب عن أهله وعن اقامة الدليل كحيدة المريسى عن الكنانى ومن يك هذه صفته فالاليق به التزام حسن الأدب واعتزام دراسة النحو فلقد ضبطنا له مع النظرة العجلى فى رده علينا حول القضية الثائرة السائرة ما ينوف على ثلاث عشرة غلطة تضمنتها مقالاته فالحيف كل الحيف ان يتصدر انسان للنقد فى صنعة لا يتقنها وهو فيها عالة على غيره :

يا عجبا لقد رأيت عجبا   حمار قبان يسوق أرنبا

خاطبها يؤمها ان تركبا   فقالت اردفنى فقال مرحبا

وان شئتم فانظروا قوله فى عدم اظهار الاعراب فى حرف النقص بأنه خطأ ولما ذكر ببيت المتنبى :

ألا أذن فما أذكرت ناسى   ولا لينت قلبا وهو قاسى

قال هذا فى مكان القافية وليس فى مكان الحشو وهو فيه خطأ عنده .

قال ابو تراب : ألا يرعوى من كان هذا مبلغ علمه فيكف عن مثل هذه

الأحكام التى يصدرها ضلالا بغير هدى : ثم هو يجزم بما يقول وكأن القـول ما قالت حذام وان لم تتثبت لكن صدق القائـل : (وكل امـرىء جار على ما تعودا) ونحن نقول له انا إن شاء الله عن مكنونك كاشفون مبينون ولباطلك داحضون : (ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا) . ولو علم الذهب الفاضل ان حذف حرف النقص دون اظهار الاعراب كحركة النصب مثلا لغة قوم من العرب وهو عند الآخرين من أحسن الضرورات لما تجاسر على القول بما قال ولما جزم بما جزم حتى انه لما اشتد عليه الخناق لجأ الى زعم انه من خصائص القوافى مكاسعا بالصدر ومكابرا بالنفس فرددنا عليه بقول العامرى وهو شاهد :

ولـــو أن واش باليمامـــة داره وداری بأعلى حضر موت اهتـدى ليا

هذا إذا زعم أن قول بشر بن أبى خازم وهو جاهلى :

كفـى بالنـأى من اسماء كافـــى وليس لنأيهــا إذ طال شافـــى

جاء فى القافية كقول أبى الطيب المتقدم ففى قول العامرى رد عليه ايما رد لأن (واش) أتى فى الحشو وحقه النصب لكونه اسم ان .

والعجب أن مثل هذا جاء فى قراءة من القرآن عند الامام جعفر الصادق إذ قرأ قوله تعالى « من أوسط ما تطعمون أهاليكم » بسكون الياء وهو فى موضع النصب فسكنه على لغة قوم يعاملون المنقوص فى حال النصب معاملتهم اياه فى الرفع والجر .

واجازه النحويون فى النثر بله النظم وهو عند المبرد من أحسن الضرورات وكلهم مجمعون على أن حذف ذلك تخفيف وهو كثير فى سعة الكلام والمبحث فيه

مستفيض تملأ منه القرب ما شئت فلا ينفد .

فليغضب الذهب الفاضل إن شاء فلعلنا قسونا عليه فى القول هذه المرة نعتب عليه بعهد الاخاء فقد بدأ باختزام الذمام وحمل الحقد وليس هذا من شأن الناقد فلئن ذاق طعم الحق مراً فلا يلومن إلا نفسه .

وان لسانى شهدة يشتفى بها   وهو على من صبه الله علقم

ولا نستبيح حوزة الذهب الفاضل ولا نقتحم عقوته اذا طارحناه اليوم بالحرباء أمذكر أم مؤنث وبالمكتبة متى استعملت صيغتها ثم بالبوطيقى والالوطيقى والاسترلوميقى والجومطريقى والارثماطيقى ما هى ؟ فليضرب بهامته فى بطون المراجع إن استطاع استخراجها وموعدنا المستوى « الرائدى » الذى يحقره وليس يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى .

وانى لاعرف انك منكر منى قولا وكاره منى بيانا وراء منى جفوة فاذا كنت لكل ذلك مستوجبا فما ذنب من يذود عن حوضه بسلاحه وليس بأضعف من بروقة :

ليس الخليل على ما كنت تعهده   قد بدل الله ذاك الخل ألوانا

ثم اعلم انا نعفو ونصفح لكن اذا بلغ السيل الزبى وجاوز الداء الطبيبين رأيتنا نرقم الماء ونفلق الجندل فما ستر إلا ويهتك ولا حجاب إلا ويهبر ولا جلد إلا ويقأب .

* * *

المستدرك على سيف الدين عاشور

قال أبو تراب :

قوم رموا غير من أهوى بظنهمو وآخرون أصابوه وما شعروا

وقفت على مقالة للصديق كريم المبزة ، متدمث المهزّة الاستاذ سيف الدين عاشور الذى بلاه ذوو خلته فاذا هو من لطف المغتبط فى رتبة لا يضيق فيها صدرا بالمداعبة ، ومن نباهة الذكر فى همة لا يهجرها معها تصونا ، فقد طبع على التسمح والصفح ، كما أوتي باعا رحبا فى الثقافة والقلم ، حتى لتكاد تتملظ ما تخرجه سنة يراعه من اللفظ ، كما يتلمظ الغلام تمرة تلقى فى فيه عند التحنيك .

وجريدة « المدينة » هى التى نشرت المقالة التى تناولت المصححين بالهوب وكأنى بهم يندبون ثبورا ، أو يشقون جيوبا . والصديق الفاضل ضرب بشخصى مثلا ـ وسجيته الخير وطبيعته المطمح الحسن وكأنما أراد اقحامى لا لينتفع بزلفاى صديق ، ولكن ليأنس بذكرى رفيق ..

واستطرد النبيل النجيح أمثلة هى شواهد للمعرفة المستقيمة بالنحو وآياته ، وأدلة على ماضى الاستيعاب للصرف وأبوابه . لكى يستيقن القارىء انه لم يحجم قبل بلوغه النهاية مخنوقا ، وانما طمع فى فضائل أخرى لن تمحو حبها فاكتفى بما علق بالذاكرة مضطرا .

وعن لى ان أعلق على المقالة اللطيفة ـ دام ظلها ـ بهذه العجالة المقتضبة لا

أعد بها فخا لانه وقع فى وهم ، بل أعلل بها النفس تجامح الى الوردْ وهى عنه مردودة .

ذلك إن من بين المسائل التى أوردها الاستاذ مسألة « ما » التميمة والحجازية متعرضا لكلام النحاة حولها ، وأنشد على الخلاف فيها قول الشاعر :

ومهفهف كالبدر قلت له انتسب　　　فأجاب ما قتل المحب حرام

فقال : وأرجح الظن انها حجازية وهذا هو مربط النعامة وحولها نحن نتكلم .

فان الاجماع على ان « ما » فى هذا البيت ليست حجازية بل هى تميمية وهو شاهد لها اذ لو كانت حجازية لكان خبرها « حراماً » بدلاً من « حرام » وليس فى ذلك أى خلاف .

بل الخلاف فى شواهد اخرى لا يظهر فيها النصب او الرفع فتحتمل حينئذ وجهين ويجرها من شاء الى ما شاء ثم يحتج لزعمه بما شاء . ومن تلك المواضع آية قرآنية كريمة ساذكرها فيما يلى .

وما كتبت ما كتبت الا تذكرة المودة مهداة الى من أكننت له مثالثها بين النوابض لعلها تذكر يوما ما بعدى وماذا عسى أن يستفيد منها أدعياء العربية فى زمن عز طالبوها .

ولم يكن ذلك قط ردا منتقصا وأنما هو استدراك يغتفر معه كلح الوهم لانه ممن به هو عليم يحسن بنا أن نتمثل له بقول سلم بن قحفان :

وطيب الصدا المسود أطيب عندنا　　　من المسك ذافته أكف ذوائف

والشاهد الذى يدور حوله الكلام هو من شواهد كتاب هداية النحو للأمام

أبى حيان النحوى أورده فى المقصد الثانى من المنصوبات فى فصل خبر « ما ولا » المشبهتين بليس ـ ص ٣٦ ـ فقال فى خبرهما :

« هو المسند بعد دخولهما نحو ما زيد قائما ولا رجل حاضرا وان وقع الخبر بعد الا نحو ما زيد الا قائم او تقدم الخبر على الاسم نحو ما قائم زيد او زيدت ان بعدما نحو ما ان زيد قائم بطل العمل كما رأيت فى الامثلة ..

قال : وهذا لغة أهل الحجاز أما بنو تميم فلا يعملونها أصلا قال الشاعر على لسان بنى تميم :

«ومهفهف كالغصن قلت له انتـ ـسب فأجاب ما قتل المحب حرام»

قال أبو تراب : وأنشده ابن الناظم وأورده فى الدراية واليوسفية وهو فى حواشى شرح الجامى وأغفله كثيرون وقائله زهير ولم يذكره العينى ولا السيوطى فى الشواهد ولا الصبان فى الحاشية .

وانت ترى أن الاستشهاد به وقع على لغة تميم عند من أورده ولا تذهب شططا فالمسألة واضحة لأن ابن هشام صرح فى المغنى فى أوجه « ما » الحرفية . ج ٢ ص ٦ :

« بانها أن دخلت على الجملة الأسمية نافية أعملها الحجازيون والتهاميون والنجديون عمل ليس بشروط معروفة نحو (ما هذا بشراً) (وما هن امهاتهم) وعن عاصم أنه رفع امهاتهم على التميمة . وندر تركيبها مع النكرة تشبيهاً لها بلا كقوله :

ومـا بأس لو ردت علينـا تحية قليل على من يعرف الحق عابها

وان دخلت على الفعلية لم تعمل نحو : « وما تنفقون الاّ ابتغاء وجه الله »

قال أبو تراب : ولم يرد إعمال (ما) عمل (ليس) فى القرآن صريحاً فى غير هذين الموضعين اللذين أشار إليهما ابن هشام ، وهناك موضع ثالث مختلف فيه وهو قوله تعالى : « فما منكم من احد عنه حاجزين » فانه يحتمل ان يكون ـ احد ـ اسمها و « حاجزين » خبرها و « منكم » متعلقاً بمحذوف تقديره أعنى ويحتمل ايضاً ان « أحد » فاعل « منكم » لاعتماده على النفى و « حاجزين » نعت له على لفظه كما سنفصل ذلك .

ولقد كابر ابن هشام اذ وصف قول أبى على والزمخشرى فى شرح الشذور ص ٢٣٤ بأنهما زعما ان الباء تختص بلغة النصب يعنى اذا قرىء قوله تعالى : « ما هن بامهاتهم » بالجر بباء زائدة مع ان الامام الطبرى أيد ذلك وهم ما مالوا الى هذا المنحى الا لان اللغة فى كفتهم فنعته بأنهم زعموا ذلك مجازفة وكأنه عاب مذهب الكوفيين الذى أشار اليه ابن يعيش ج ٢ ص ١١٦ وهذا ايضاً موضع الاختلاف على هذه القراءة بزيادة الباء فى قولهم « امهاتهم » وسنورد تفصيل ذلك .

ومن النصوص فى اعمال ـ ما ـ عمل ـ ليس ـ وانها لغة الحجاز قول ابن هشام فيها فى شرح الشذور ص ٢٢٩ و ٢٣٤ :

- « انها لغة اهل الحجاز ولا يعملها بنو تميم ولو استوفت الشروط » .

وهى ان يكون اسمها مقدما وان لا يقترن الخبر بالا وان لا يقترن الاسم بان الزائدة وان لا يليها معمول الخبر وليس ظرفا ولا جارا ومجرورا فهى عندئذ تعمل عند الحجازيين سواء كان اسمها وخبرها نكرتين أو معرفتين . ففى شرح القطر ص ١٤١ :

« ان اعمالها عمل ليس لغة الحجازيين قال : وهى اللغة القويمة الى ان قال وبنو تميم لا يعملون « ما » شيئا ويقرأون (ما هذا بشر » ـ برفع بشر ـ وذكره ايضا فى أوضح المسالك ج ١ ص ٦٥ وانظر الدمامينى ج ١ ص ٣٠٣ والشمنى وغنية الاريب .

وقال الزمخشرى فى المفصل فى مبحث خبر ـ ما ولا ـ المشبهتين بليس :

« هذا التشبيه لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيرفعون ما بعدهما على الابتداء ويقرأون (ما هذا بشر » الا من درى كيف هى فى المصحف » .

وقال ابن الحاجب فى الكافية :

« هى لغة حجازية » .

وقال الرضى فى شرحه ج ١ ص ٢٤٥ : « غير الحجازيين وهم بنو تميم لا يعملونها مطلقا »

وقال ابن عقيل ج ١ ص ٢٦٩ : « أما (ما) فلغة بنى تميم انها لا تعمل شيئا ولغة أهل الحجاز اعمالها » .

وأنشد :

أبناؤنـــا متكنفـــون أباهمو حنقو الصدور ومـا همـو أولادها

وزاد من شروط اعمالها عندهم عدم تكرار ـ ما ـ وأن لا يبدل من خبرها موجب ، مثال الاول ما مازيد قائم ومثال الثانى ما زيد بشىء الا شىء لا يعبأ به .

فالاول فيه دخول النفى على النفى فهو اثبات فلا يجوز النصب والثانى فى موضع رفع خبر عن المبتدأ فلا يجوز ان يكون فى موضع نصب .

واجازها قوم . وكلام سيبويه محتمل للوجهين معا فانه قال استوت اللغتان يعنى الحجازية والتميمية ثم اختلف الشراح فى تأويل قوله فقال قوم انه أراد الاسم الواقع قبل « الا » وقال آخرون أنه أراد الاسم الواقع بعدها وهذا ايضا من مواضع الخلاف فى جعل ما حجازية أو تميمية .

أما سبب قول الزمخشرى فى الكشاف ج ٤ ص ٧١ : فى قوله تعالى (ما هن أمهاتهم) :

« وقرىء بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفى قراءة ابن مسعود بامهاتهم وزيادة الباء فى لغة من ينصب » .

فتعليله ما ذكره ابن يعيش فى شرح المفصل ج ٢ ص ١١٦ « أنه يريد ان ما بعد « ما » التميمية مبتدأ وخبر والباء لا تدخل فى خبر المبتدأ وهذا فيه اشارة الى مذهب الكوفيين .

ان الباء ان كان أصل دخولها على ليس و « ما » محمولة عليها لاشتراكهما فى النفى فلا فرق بين الحجازية والتميمية فى ذلك وان كانت دخلت فى خبر « ما » بازاء اللام فى خبر « ان » فالتميمية والحجازية فى ذلك سواء ثم ذكر مسألة كتاب سيبويه وقال : قالوا ليس زيد أبوه بقائم فأدخلوا الباء فى خبر المبتدأ اذ كان فى خبر النفى أما اذا كان خبر المبتدأ موجبا لم يصح دخول الباء قالوا : ما زيد بغلام الا غلاما صالحا ادخلوا الباء فى خبر كان هنا حيث كان فى خبر المنفى .

وقال ابن الانبارى فى الانصاف فى مسائل الخلاف ج ١ ص ١٠٧ :

« ذهب الكوفيون الى ان ـ ما ـ فى لغة أهل الحجاز لا تعمل فى الخبر وهو

منصوب بحذف حرف الخفض وذهب البصريون الى انها تعمل فى الخبر وهو منصوب بها » .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : انما قلنا انها لا تعمل فى الخبر لان القياس فيها ان لا تكون عاملة لان الحرف انما يكون عاملا اذا كان مختصا كحرف الخفض لما اختص بالاسماء عمل فيها فاذا كان غير مختص فوجب ان لا يعمل كحرف الاستفهام ولهذا كانت مهملة غير معملة فى لغة بنى تميم .

قال ابن الانبارى : وهو القياس وانما أعملها أهل الحجاز لانهم شبهوها بليس من جهة المعنى وهو شبه ضعيف فلم يقو على العمل لانه فعل وهذا حرف فبطل ان يكون منصوبا بما ولكن بحذفِ حرف الخفض فلما حذف حرف الخفض وجب ان يكون منصوبا لان الصفات منتصبات الانفس .

وهذه هى علة من جعل الباء الخافضة دليلا على النصب فى الآية المذكورة .

أما البصريون فاحتجوا بالمشابهة من وجهين أحدهما دخولها على المبتدأ والخبر والثانى نفيها ما فى الحال ويقوى هذا الشبه دخول الباء فوجب ان تجرى مجراه .

وقد اجيب قول الكوفيين القياس بالقياس والشبه الضعيف بالاعمال القوى والجدل فى ذلك طويل الذيل ولو شئنا ان نستقصى المراجع لضاقت بنا صفحات جرائد لا جريدة واحدة ولكن ارجع الى همع الهوامع للسيوطى فى (ما) الحجازية والتميمية ج ١ ص ١٢٣ والاشباه والنظائر له ايضا وما ذكرنا آنفا من المراجع .

وبهذا القدر عرفت ان ـ ما ـ الحجازية هى التى تعمل ، وان ـ ما ـ التميمية هى المهملة و ـ ما ـ الواردة فى الشاهد المذكور الذى أنشده السيف العزيز مهملة فهى تميمية حتما لا حجازية كما توهم وأنه لا موضع للخلاف فيها ثمة

وانما مواضع الخلاف أخر ذكرنا لك بعضها لاننا لسنا بصدد استقصاء سائر ما فى الباب

الا انا نود ان نتمم هذا الاقتضاب العاجل بايراد ما فى القرآن من ذلك وما جاء فى كتب من تصدروا للتفسير دون ما استكناه ولكن لاشتمام العبير وفى الاشتمام غنية عن مبحث ربما لاق بالمدارس والمحاضرات وما تجدى العجالات والمقالات .

وهناك ما يحضرنى وما انا بزعيم بالذى لا أحفل به أو ند عنى .

قال الزمخشرى فى الكشاف ج ٢ ص ٢٥٤ :

« اعمال ـ ما ـ عمل ـ ليس ـ هى اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله تعالى : « ما هن امهاتِهم » ومن قرأ على سليقته من بنى تميم قرأ ـ بشرٌ ـ بالرفع وهى فى قراءة ابن مسعود » .

وقال فى ج ٤ ص ١٣٧ :

فى قوله : « فما منكم من احد عنه حاجزين » (حاجزين) فى وصف (أحد) .

وقال الطبرى فى تفسيره ج ١٢ ص ١٢٤ .

« أما نصب البشر فمن لغة أهل الحجاز اذ أسقطوا الباء من الخبر نصبوه فقالوا ما عمرو قائما ، وأما اهل نجد فان من لغتهم رفعه ، يقولون : ما عمرو قائم ومنه قول بعضهم حيث يقول :

لشتان ما انوى وينوى أبى جميعا فما هذان مستويان

قال : وأما القرآن فجاء بالنصب فى كل ذلك لانه نزل بلغة أهل الحجاز »

قال أبو تراب : ويؤخذ من هذا التأييد لرأى الزمخشرى الذى استنكره ابن هشام .

وقال النسيابورى ج ١٢ ص ١٣٢ :

« اعمال (ما) عمل ـ ليس ـ لغة حجازية » وقال الطبرى فى ج ٢٩ ص ٤٣ :

« (حاجزين) جمع وهو فعل لاحد ردا على معناه » .

وفى الكشاف ج ٤ ص ١٣٧ : « (حاجزين) فى وصف أحد » وقال الرازى فى الكبير ج ٣ ص ٧٢٧ :

« لغة أهل الحجاز اعمال ما عمل ليس وبها ورد ـ بشرا ـ ومن قرأ على لغة بنى تميم قرأ ـ بشر ـ »

وفى ج ٦ ص ٢٥٥ :

« قرأ عاصم فى رواية المفضل امهاتهم بالرفع والباقون على النصب على لفظ الخفض ووجه هذا الرفع انه لغة تميم .

قال سيبويه : وهو أقيس الوجهين وذلك أن النفى كالاستفهام فكما لا يغير الكلام المستفهم عما كان عليه فكذا ينبغى أن لا يغير النفى الكلام عما كان عليه .

قال : ووجه النصب هو لغة أهل الحجاز و الاخذ بالتنزيل بلغتهم أولى وعليها فاذا حصلت المشابهة من وجهين وجب حصول المساواة فى سائر الاحكام الا ما خص بالدليل قياسا على باب ما لا ينصرف .

وفى الكبير ج ٦ ص ٣٥٢ : قال مقاتل والكلبى ليس أحد يحجز ناحية أو يحجزنا عن ذلك الفعل .

قال الفراء والزجاج : انما قال : (حاجزين) فى صفة ـ أحد ـ لان احدا هنا فى معنى الجمع .. والكلام يحتاج الى دور وتنسيق والشواهد متشابهة تلتمس التوثيق ولعل للبحث صلة أو صلات ، وللكلام همعة أو همعات .. وتحية اكبار وتقدير وتجلة لمن نشكره شكرا جزالا ان اتاح بروحه اللطفى الممناحة هذه الرتيمة فى الاصبع وانا آمل ان يكمل الله بحثها ولو على غير يدى فما أنا بموجف وحدى فى الرتيل و (مكره أخوك لا بطل)

صبا من بعد سلوته فؤادى   وسمح للقرينة بانقيادى

* * *

نقض منطوح السرحان (٢)

قال أبو تراب :

كما ان كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون فكذلك كل قلم ـ الا قلم رب الفلق ـ خطاء وخير الاقلام الخطاءة هى التوابة الراجعة الى الصواب المستغفرة لذنوبها اذا كبت ، النادمة على عثرتها اذا هفت . فلذلك يجب على ملوك الاقلام أن يعودوا اقلامهم السير على المنهج السوى ثم ليروضوها على الاوبة الى الحق اذا هى انحرفت عن الجادة المستقيمة ذلك لأنها مسئولة عما خطت ، وان أربابها مسئولون عما جنحت اليه أقلامهم .

وللقارىء عندى اليوم قصة قلم كبير فى العمل قد سطر فجمح ، قلم جواد فى الميدان قد أسرع فكبا قلم عزيز عند الناس قد نهض لاصابة هدف فأخطأ المرمى .. ذلكم هو قلم الاستاذ الشاعر حسين سرحان الذى يعرفه الدانى والقاصى بقلمه الصوال الجوال ويراعه القوّال الفعال .

ولقد ضمتنى الى الاستاذ الفاضل معرفة سابقة خلال ما يتاح لى من قراءتى له بعض ما يكتب أحيانا فلذلك يجدر بى أن أقدم الى المذكور قبل البدء فى النقد اظهار خلوص نيتى من أى غرض شانىء قد يتبادر الى ذهن الاستاذ وقوعه منى فأوكد له ان مقصدى الاصلاح لئلا يعلق بخاطره شيء غير ذلك جريا على عادة الانسان الذى لا يسلم من ظنة لما فيه من طباع ركبت وغرائز استحكمت كما انى لا أخال الأستاذ الا مذعنا للحق ملتمسه حيثما كان وانى لأجل الاستاذ وأكبر

كلامه ولكن الحق اجل منهما واكبر دون ريب فلذلك تصديت لنقض ما كتبه وبالله ثقتى وعليه الاعتماد .

ولقد قرأت فى جريدة « حراء » بعددها (٨٨) الصادر فى يوم السبت . السادس من ذى القعدة سنة ١٣٧٧ مقالا تحت عنوان « القراءة والكتابة » وهو الحلقة الرابعة من باب (سلام وكلام) يكتبه الأستاذ حسين سرحان .

وانى لأؤاخذ الاستاذ على بعض ما تضمنه مقاله الذى ألفيته لا يزيد على مجرد واردات خيال تفد على فكر رجل شاعر ولا على أكثر من أوهام وهواجس تساور مخيلة انسان منطلق من القيود العلمية أو غير موقن بها أبدا .. هذه هى تلك التخيلات الواهية والوساوس الضالة التى بنى الاستاذ منطقه عليها وتكلف مؤونة تكييفها فى صورة كتابية واحسبه مال الى الهزل ليداعب بتلك الأخيلة يراعه وليباجن القراء منعزلا برهة من الوقت عن الاستناد على ما صح من العلم او الامتياح مما عذب من المستقى . ولقد كان يكفى حينئذ ان أكتفى فى تعليقى هذا على مقال الاستاذ بالمداعبة أيضا من غير اعتبار هزله جدا ومزاحه حقيقة ولكننى رأيت قلمه راح يسخر بالحقائق الى حد وقع بالوصول اليه التجازف الصريح والخطأ الذى لا يحسن السكوت عليه والتعدى الذى لا يليق بمقامه فمن أجل ذلك حركت قلمى ردعا لمثل ذلك الانحراف المخل الذى تأتى من الاستاذ حتى لا يتورط فى هذا الوسواس جاهل لا يفقه بسبب ارسال السرحان عنان القلم فكتب كما شاء لا كما يشاء الواقع وقال ما مر بطيفه لا كما يقتضيه الصواب كل ذلك استرسال منه فى معانقة الحرية وتماد فى حبها وتساهل فى الالتزام بالدقة وبالتحرى فى الامور التى اذا هفا الانسان فيها هفوة مست شيئا من معتقده

وذلك باطل مردود ولو كان بالهزل لمنافاته مع الحقائق التى يتحتم تسليمها ولابد لأن العقول مجمعة على قبول النقل الصحيح ولا مفر من التيقن بالاخبار التى تروى تواترا عند ذوى البصائر على الاطلاق فان ديننا نقل ورواية وليس عقلا موسوساً ولا رأياً مجرداً .

ولكم جانب الصواب الاستاذ ان قال فى الكتب السماوية صحف ابراهيم وزبور داوود وتوراة موسى وانجيل عيسى وفى آخرها القرآن الحكيم ان هذه الكتب هى خير ما يقرأ ويفيد فى كل زمان ومكان بلا مراء . والله يعلم ما فى هذا القول من مراء ينفيه الاستاذ ومن شطحة يعرفها العقل لأن التوراة والكتب الاخرى السماوية نحن نؤمن بها كما نزلت ايمانا محضا لأنها كتب الله المنزلة على انبيائه ولكنها ليست صالحة للأمة المحمدية لأنها منسوخة فهى لا تفيد فى كل زمان ولا فى كل مكان فان زمانها ولى بنسخ القرآن اياها ومكانها تباعد ببعثة الرسول بشريعة اخرى غراء ارتضاها الله لعباده فلا هذه الكتب تقرأ للعمل بها والاستفادة منها ولا هى بقيت على ما كانت عليه من قبل لوقوع التحريف فيها بسبب عدم تكفل الحفظ الذى هو مختص بالقرآن (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) . اللهم الاّ ما كان من مسائل العقيدة وكل الكتب السماوية متفقة عليها . « نحن معشر الانبياء ابناء علاّت أبونا واحد وأمهاتنا شتى » .

ولقد كان عمر بن الخطاب أتى بأوراق من التوراة يقرؤها عند النبى ﷺ فاحمرت وجنتاه واشتد غضبه فلما رأى عمر من تغير النبى ﷺ ترك الاوراق وجثا على ركبتيه يستعيذ بالله من غضبه وغضب رسوله ثم ان رسول الله ﷺ قال له لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى .. وبين ان الكتاب الذى أنزل اليه هو

المأمور بقراءته والتدبر فى معانيه وهو الصالح لنا فى كل مكان وزمان وهو خير ما يقرأ حيث أغنانا الله به عن سائر الكتب السماوية الاولى .

نعم تسمع التوراة فى مقامات المناظرة مع الخصوم لتبين كذبهم على الله ورسله كى يظهر بطلان أقوالهم مما افتروا به على الكتب السماوية كما قال الله تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) وبهذا استنبط الامام البخارى ما أشرنا اليه فى باب عقده من الجامع الصحيح .

ولا كتاب اليوم على وجه الدنيا صحيح كما نزل مأمور بالعمل به وبالقراءة يفيد فى كل زمان حاضر وآت وفى كل مكان ، كائن فيكون خير ما يقرأ الا كتاب الله الذى فصل فيه كل شىء احسن تفصيل قال الله تعالى (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) وقال (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) وقال (وفصل لكم ما حرم عليكم) وقال (وما كان ربك نسيا) وقال تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها) والآية قد جاءت ايضا بمعنى الشريعة ، اذن فشريعتنا أى القرآن والسنة خير من اى كتاب سابق بنص التنزيل فلا يمكن مع ذلك أن يلحق القرآن بالكتب السابقة فيقال هى كلها خير ما يقرأ ويفيد فى كل زمان ومكان حاشى كما انه لا يمكن القول بالتفاضل بين نفس القرآن حتى يقال ان آية منه افضل من آية أو سورة خير من اخرى هذا لا يجوز البتة وفى هذا بحث للامام ابن حزم فى كتاب الأحكام فاظفر به ان شئت فقد أمتع وأجاد .

ولكم تجنى الأستاذ السرحان بعد ذلك أن قال لا مراء فى ان الانسان الذى اصطنع الحروف أو الرموز كان على جانب من الخبث وسوء النية . وقال فى مفتتح مقاله يبدو لى أن أول من اخترع الحروف أو الرموز وجعلها وسيلة للتفاهم كان

فارغا جدا وكان تافه المحصول بادى العى والا لما احتاج مع لسانه ويده وصوته الى مثل هذا الاختراع بل كان غالبا أميل الى الهزل منه الى الجد . ثم وصف الأستاذ هذا الانسان المتصور عنده بنفس خفراء عابثة واعتبر صنيعه هذا لعبة ووسيلة هزيلة للتفاهم .

أقول لقد ضل هذا الخيال والتخييل وتاه الوهم والايهام ولعمرى أين السرحان فى زعمه هذا أو تصوره ذلك من قول الله تعالى (ن والقلم ومايسطرون) فلقد أقسم الله بأداة الكتابة ورفع من شأن القلم فأقسم بما يكيفه القلم من تصاوير تسطيره واين الأستاذ فى وصفه الانسان الذى ألهم تصوير اللغات بالخبث وسوء النية من قوله تعالى (علم الانسان مالم يعلم) فالله سبحانه وتعالى يذكر للعباد احسانه بتعليمهم الكتابة بالقلم وانها لمنة عظمى جليلة دون ماشك واما الأستاذ فيتصور هذا خبثا فى الطبع وسوء نية من المتعلم الأول للكتابة فيالها من طامة وياله من بون بعيد بين ما يقول الرب المتكبر وبين مايقوله السرحان المتخيل فالله عز وجل ينسب هذا التعليم بالقلم الى نفسه ويمن به على خلقه فقال (علم بالقلم) ويقول (اقرأ وربك الأكرم) فهو المخترع الحقيقى لتصاوير الكلمات لأنه نسب تعليم القلم الى ذاته والأستاذ يجعل ذلك وسيلة هزيلة سخيفة ولعبة فارغة تافهة المحصول فما أبعدا لأستاذ عن الحق وما أحقه بالرجوع الآن الى الصواب بعد أن أتيناه بالبيان .

نعم ان القول الذى تفوه به الأستاذ او الكلام الذى جرى به قلمه ليثير بحثا علميا عميقا خطيرا يكر على هذا الخيال الفارغ السخيف والوهم الباطل فيرده حسيرا ويعود على القول بخباثة الانسان الأول المعلم الكتابة فيقلبه خاسئا ولا حول ولا قوة الا بالله الذى يهدى الى الرشاد :

ثم تهكم الأستاذ رجما بالغيب فجزم بأن اللغة كانت بسيطة يسيرة فيما سلف من التاريخ وكانت عشرات من الكلمات اصطلح عليها للابانة عن الأصوات واشارات اليد والعين لاتعدو ضروريات الأشياء للانسان .

ونسى الأستاذ هنا ان اللغات توقيفية أوحى الله الى آدم حيث قال (علم آدم الأسماء كلها) هذا ثابت بالنقل وأما ثبوت ذلك عقلا فكما ذكر الامام أبومحمد على بن سعيد رحمه الله فى مبحث كيفية ظهور اللغات قال ان الكلام وان كان اصطلاحا لما جازان يصطلح عليه الا قوم قد كملت اذهانهم وتدربت عقولهم وتمت علومهم ووقفوا على الأشياء كلها الموجودة فى العالم وعرفوا حدودها واتفاقها واختلافها وطبائعها وبالضرورة نعلم ان بين اول وجود الانسان وبين بلوغه هذه الصفة سنين كثيرة جدا يقتضى فى ذلك تربية وحياطة وكفالة من غيره اذ المرء لايقوم بنفسه الا بعد سنين من ولادته ولا سبيل الى تعايش الوالدين والمتكفلين والحضان الا بكلام يتفاهمون به مراداتهم فيما لابد لهم منه فيما يقوم معايشهم من حرث او ماشية او اغراس ومن معاناة مايطرد به الحر والبرد والسباع ويعانى به الأمراض ولا بد لكل هذا من اسماء يتعارفون بها مايعانونه من ذلك وكل انسان فقد كان فى حالة الصغر التى ذكرنا من امتناع الفهم والاحتياج الى كافل . والاصطلاح يقتضى وقتا لم يكن موجودا قبله لأنه من عمل المصطلحين وكل عمل لابد من ان يكون له اول فكيف كانت حالة المصطلحين على وضع اللغة قبل اصطلاحهم عليها فهذا من الممتنع المحال ضرورة وهذا دليل برهانى ضرورى من أدلة حدوث النوع الانسانى ومن أدلة وجود الواحد الخالق الأول تبارك وتعالى ومن أدلة وجود النبوة والرسالة لأنه لا سبيل الى بقاء احد من الناس

ووجوده دون كلام والكلام حروف مؤلفة والتأليف فعل فاعل ضرورة لابد له من ذلك وكل فعل فله زمان ابتدىء فيه لأن الفعل حركة تعدها المدد فصح ان لهذا التأليف أولا والانسان لا يوجد دونه ومالم يوجد قبل ماله اول فله اول ضرورة فصح ان للمحدث محدثا بخلافه وصح ان ما علم من ذلك انما هو مبتدأ من عند الخالق تعالى مما ليس فى الطبيعة معرفته دون تعليم فلا يمكن البتة معرفته الا بعلم علمه البارىء اياه ثم علم هو أهل نوعه ماعلمه ربه تعالى .

وايضا فان الاصطلاح على وضع لغة لايكون ضرورة الا بكلام متقدم بين المصطلحين على وضعها او باشارات قد اتفقوا على فهمها وذلك الاتفاق على فهم تلك الاشارات لايكون الا بكلام ضرورة ومعرفة حدود الأشياء وطبائعها التى عبر عنها بألفاظ اللغات لايكون الا بكلام وتفهيم لابد من ذلك فقد بطل الاصطلاح على ابتداء الكلام ولم يبق الا ان يقول قائل ان الكلام فعل الطبيعة وهذا يبطل ببرهان ضرورى وهو ان الطبيعة لاتفعل الا فعلا واحدا لا أفعالا مختلفة وتأليف الكلام فعل اختيارى متصرف فى وجوه شتى .

وقد لجأ بعضهم الى نوع من الاختلاط وهو ان قال ان الأماكن اوجبت بالطبع على ساكنيها النطق بكل لغة نطقوا بها وهذا محال ممتنع لأنه لو كانت اللغات على ماتوجبه طبائع الأمكنة لما أمكن وجود كل مكان الا بلغته التى يوجبها طبعه وهذا يرى بالعيان بطلانه لأن كل مكان فى الأغلب قد دخلت فيه لغات شتى على قدر تداخل اهل اللغات ومجاورتهم فبطل ماقالوا وايضا فليس فى طبع المكان ان يوجب تسمية الماء ماء دون ان يسمى باسم آخر مركب من حروف الهجاء فصح انه توقيف من أمر الله عز وجل وتعليم منه تعالى .

الا انا لا ننكر اصطلاح الناس على احداث لغات شتى بعد ان كانت لغة واحدة وقفوا عليها بما علموا من ماهية الأشياء وكيفياتها وحدودها ولاندرى اية لغة التى وقف آدم عليه السلام عليها اولا الا اننا نقطع على انها اتم اللغات كلها وابينها عبارة واقلها اشكالا واشدها اختصارا واكثرها وقوع اسماء مختلفة على المسميات كلها المختلفة من كل مافى العالم من جوهر او عرض لقول الله عز وجل (وعلم آدم الأسماء كلها) فهذا التأكيد يرفع الأشكال ويقطع الشغب فيما قلنا وقد يمكن ان الله وقف آدم ﷺ على جميع اللغات ولكن الأقرب هو انها كانت لغة واحدة مترادفة الأسماء على المسميات كاملة غير منقوصة ثم توزعها بنوه فتعددت اللغات واصطلح الناس عليها الى يومنا هذا .

ويدل على ذلك مارواه ابن كثير من رواية فيها ذكر تبلبل اللغات اثر الطوفان فلربما يستأنس بها على ماذكره ابن حزم على انه لابد من تسليم كون اللغة الأولى لما حكى الله فى الكتاب العزيز من محاورة آدم وابليس وغير ذلك .

وبهذا تبين خطأ الأستاذ حسين السرحان جليا فى ان اللغة الأولى كانت ناقصة ثم اصطلح الناس عليها لأن الله يقول (الأسماء كلها) وهو المقبول عقلا لأن الانسان لابد ان يعرف اسماء سائر ماتقتضيه ظروف حياته . وأسأل الله الهداية لى وله ولسائر المسلمين انه مجيب الدعاء .

* * *

التعقيب على عبد السلام هارون (٢)

قال أبو تراب : فى كتاب اسماء المغتالين فى الجاهلية والاسلام لأبى جعفر محمد بن حبيب البغدادى الذى نشرته مكتبتا الخانجى بمصر والمثنى ببغداد بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون وقفت على اسم بشر بن البراء بن معرور الانصارى . وكان بشر مات من أكلته التى اكل مع رسول الله ﷺ من ذراع شاة مصلية سمتها يهودية ثم أهدتها الى رسول الله ﷺ وهى زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم .

والخبر فى ابن هشام ص ٧٦٤ والطبرى ج٣ ص٩٥ وامتاع المقريزى جـ ١ ص٥٤٢ وجوامع ابن حزم ص٢١٤ والمغتالين ص١٤٨ وتحقيق النصرة للمراغى :

وقد اغفل الاستاذ المحقق بيان ضبط الاسم ورأيت كثيرين من القوم يغلطون فيه فينطقونه « البرّاء » بتشديد الراء ثم رأيت الاستاذ احمد تيمور باشا اغفله فى كتابه الذى نشرته لجنة المؤلفات التيمورية وهو « ضبط الاعلام » احتفل بالنسب أكثر ما احتفل ثم اهمل منها الكثير والأجدر بمثل كتابه ان لايسمى كتابا وليس هو بصنيع جيد أو عمل محمود .وقليل فى هذا العصر المتأخر من يفرق بين أبى حصين وحصين ـ الأول بفتح الحاء والثانى مصغر ـ وقد اجتمعنا بمن يسمى بشر الحافى بالحاء جهلا منه بشر الصافى بالصاد فكيف بمثله اذا يشتغل بعلم « الرجال والنسب والاسانيد » . فاما البراء فهو بتخفيف الراء فى كل من

سمى بهذا الاسم الا أبا العالية البراء وأبا معشر البراء ويحيى بن راشد البراء فانهم بتشديد الراء فيها . وما كنت اظن أن يغيب علم هذا عن مثل الاستاذ عبد السلام هارون ممن يشتغل بتحقيق كتب العلم ومؤلفات القدامى . قال شرف الدين فى هامش تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلانى فى ترجمة البراء بن عازب : ذكر فى المغنى (البراء) بمفتوحة وخفة وراء ومد .

وقال مثله صاحب تعقيب التقريب . وقال عبد الغنى البحرانى الشافعى فى قرة العين : أصرح ما يقال (البراء) بتخفيف الراء المهملة حيث جاء الا أبا العالية البراء وأبا معشر البراء بتشديد الراء فيهما .

قال ابو تراب وقد وجدنا يحيى بن راشد البراء بالتشديد وهو مما نستدرك به على كلام من جعل التشديد فى أبى العالية البراء وأبى معشر البراء فقط لأن الحافظ قال فى تقريب التهذيب : يحيى بن راشد البراء بالتشديد ونقله شرف الدين ايضا . وقال فى الكنى من تهذيب التهذيب فى ترجمة أبى العالية البراء انه بتشديد الراء أيضا نقله فى موضع آخر منه ومن تعقيب التقريب نقلا عن الحافظ ونقله السندى ايضا . وقال السيوطى فى زهر الربى فى ترجمة أبى العالية البراء انه بالتشديد لأنه كان يبرى النبل ونقله السندى ايضا عنه .

وبهذا عرفت ان البراء بالتشديد فى ثلاثة أسماء فقط وما سواها فحيث كان فهو بالتخفيف وانما يشدد الراء فى الجميع من يجهل ضبط الأعلام للرواة مما لا يليق بذوى العلم . فأما أبو العالية فقد أخرج له البخارى ومسلم والنسائى والبراء لقبه قال الخزرجى فى الخلاصة هو مشدد وهو زياد بن فيروز وفى التهذيب قيل ابن أذينة يروى عن ابن عباس وابن عمر وجماعة ويروى عنه بديل بن

ميسرة وسعيد بن أبى عروبة وطائفة وثقه أبو زرعة وقال البستى مات سنة تسعين .

وأما يحيى بن راشد فهو المازنى أبو سعيد البراء البصرى يروى عن حميد وعنه نعيم بن حماد ضعفه ابو حاتم وله عنده حديث وقال ابن حبان فى كتاب الثقات يخطىء ويخالف وأخرج له ابن ماجه . وأما أبو معشر البراء فهو يوسف بن يزيد البصرى العطار يروى عن ابن حازم أخرج له الشيخان وروى عنه محمد بن أبى بكر المقدمى ووثقه وضعفه ابن معين ولينه أبو داود وقال أبو حاتم يكتب حديثه وله فى صحيح مسلم حديث فرد وأما المسمون بالبراء فهم اناس منهم . البراء بن زيد البصرى قال ابن حجر وهو مقبول ويروى عن جده لأمه أنس وعنه عبد الكريم الجزرى وروايته فى شمائل الترمذى . والبراء السليطى روايته فى ابن ماجه يروى عن نقادة الاسدى وعنه سيار بن المنهال قال فى التقريب مقبول والبراء بن بن ناجيه الكاهلى أو المحاربى أخرج له أبو داود وهو يروى عن ابن مسعود وعنه ربعى بن حراش قال الحافظ ثقة . والبراء بن عبد الله بن يزيد الغنوى بفتح المعجمة والنون وهو بصرى يروى عن الحسن وأبى نضرة وعنه أبو نعيم ومسلم بن ابراهيم اخرج له البخارى فى الادب المفرد وضعفه ابن معين وقال ابن عدى هو الى الصدق اقرب وماله كثير حديث .

والبراء بن عازب أخرج له الستة وهو ابن الحارث بن عدى بن جشم بن مجدعة الاوسى الانصارى أبو عمارة صاحب رسول الله ﷺ نزل الكوفة وله ثلثمائة حديث وخمسة أحاديث اتفق الشيخان منها على اثنين وعشرين وانفرد البخارى بخمسة عشر ومسلم بستة يروى عنه عبد الرحمن بن ابى ليلى وعدى

بن ثابت وسعد بن عبيدة وأبو اسحاق وخلق . شهد أحدا والحديبية وتوفى سنة احدى أو اثنتين وسبعين قال ابن حزم فى الجوامع ص٢٠٨ قيل هو سائق بدن رسول الله ﷺ يوم الحديبية وهو من أصحاب الفتيا وقال فى فتوح الاسلام ص٣٤٦ انه فتح فى ولاية حذيفة ايام عمر أبهر وقزوين وزنجان . وهؤلاء كلهم بتخفيف الراء فى اسمائهم .وثمة رجل يقال له أبو براء وهو عامر بن مالك ملاعب الاسنة وفد على رسول الله ﷺ فدعاه الى الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وقصته فى كتب السيرة فى بعث بئر معونة وهذا ايضا بالتخفيف فى الراء .

وأما البراء بن معرور وهو والد بشر المذكور فى صلب الكتاب المذكور الذى حققه الاستاذ عبد السلام هارون فهذا أيضا بالتخفيف والبراء بن معرور هو أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية وكان له فى تلك الليلة المقام المحمود فى الاخلاص لله تعالى والتوثق لرسول الله ﷺ واختاره رسول الله ﷺ مع من اختارهم من النقباء وهم اثنا عشر نقيبا . وله بنت اسمها أم بشير أو أم بشر جوز ابن حجر الوجهين ولها حديثان وشهد العقبة ابنه بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة وهو خزرجى من بنى سلمة وحضر بدرا أيضا ذكره ابن حزم ممن استشهد يوم خيبر لانه ازدرد لقمة من الشاة المسمومة التى أهدتها يهودية الى رسول الله ﷺ أنظر ص٢١٥ من الجوامع . . وانظر خبره فى العقبة فى الطبرى جـ ٢ ص٢٣٥ وابن سعد جـ١ ق١ ص١٥٨ وابن كثير جـ٣ ص١٥٨ وتاريخ الذهبى جـ١ ص١٧٧ وابن هشام جـ ٢ ص٨١ والمحبر ص٢٦٨ وابن سيد النـاس جـ ١ ص١٥٧ وتلقيح الفهوم ص٢١٤ وأنساب الاشراف جـ١ ص٣١٦ وتاريخ الخميس جـ١ ص٣١٦ والامتاع ص٣٥ .

وهم عبد السلام هارون !؟ (٤)

قال أبو تراب : جاء فى الأمالى لأبى على القالى (ج ٢ ص ١٧٩) : قال قرأت على ابى عمرو الشيبانى قال أنشدنا ابو العباس عن ابن الأعرابى :

خبروها بأننى قد تزوجت فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لأختها ولأخرى جزعا ليته تزوج عشرا
وأشارت الى نساء لديها لا ترى دونهن للسر سترا
ما لقلبى كأنه ليس منى وعظامى اخال فيهن فترا
من حديث نمى الى فظيع خلت فى القلب من تلظيه جمرا

قال أبو تراب : والمبحث الأول فى تحقيق هذه الأبيات ان بعضهم جعلها من البحر الخفيف والقافية متواتر كما فعل ذلك التبريزى فى شرح الحماسة وكما جاء أيضا فى الأمالى بتحقيق محمد عبد الجواد الأصمعى وغيرهما ، وبعضهم جعلها من الرمل كما فعل عبد السلام هارون فى فهارس شرح المرزوقى على الحماسة فما الصواب من ذلك ؟

والمبحث الثانى ان بعض الحجازيين الذى قال هذه الأبيات كما يقول التبريزى هل هو عمر بن أبى ربيعة كما جزم به محى الدين عبد الحميد فى شرح ديوانه مع انه قال فى تعليقه على شرح التبريزى انها تنسب اليه ثم نسى هذا فى شرح الديوان فجزم بالنسبة اليه واحتاط الراجكوتى فى شرح اللآلىء فقال : انها

تنسب الى عمر بن أبى ربيعة بعد ان نقل كلام التبريزى فما الحقيقة فى سر هذا الاختلاف ؟

والمبحث الثالث ان كلمة (نمى) فى نسخة الأمالى مضبوطة بالضم فى الطبعة الأولى التى أبرز أصلها دياب التونسى بمصر وطبعها فى بولاق ولكنها ضبطت فى ديوان ابن ابى ربيعة عند محى الدين عبد الحميد بفتح الأول ، وجاءت فى الحماسة بالألف (نما) هكذا وضبطت فى الديوان (ج ٢ ص ٣٩٨) نمى بفتح الأول بتحقيق محمد سعيد الرافعى فما حقيقة الكلمة وكيف تستعمل صيغتها ؟

فأما عبد السلام هارون فلا شك فى أنه أخطأ خطأ تفعيلة فاحشا فى جعل هذه الأبيات من بحر الرمل فى فهارس شرح الحماسة للمرزوقى فانظر (ج ٤ ص ١٩٠١) كى تتثبت من ذلك والذى أوقعه فى الوهم هو اتفاق (فاعلاتن) فى ضرب البحرين الخفيف والرمل فاختلط عليه الأمر ولم يتنبه فى هذا الاشتباه لحشو البحر فى التفاعيل اذ انها تختلف فهى فى الخفيف (مستفعلن) وفى الرمل (فاعلاتن) كالضرب .

والصحيح ان الأبيات المذكورة من البحر الخفيف لأن وزنها ـ فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ـ مرتين وهذا هو وزن هذا البحر وتحول فيه (فاعلاتن) الى (فعلاتن) و (مستفعلن) الى (مفاعلن) وان شئت قلت متفعلن وهكذا وقع فى هذه الأبيات فتأمل الوزن لتعرف خطأ عبد السلام هارون حيث جعلها من بحر الرمل ولا تنطبق عليها تفاعيله لأنها ـ فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن ـ مرتين .

أما تحقيق نسبتها فهى لعمر بن ابى ربيعة وهى بأسلوبه الصق وأليق وقد وردت فى رواية ديوانه وصرح بنسبتها اليه البكرى .

وقال التبريزى فى شرح حماسة ابى تمام (ج ٤ ص ٣٣٥) عند قوله : (وقال آخر) ثم ساق الأبيات المتقدمة : « هى لبعض الحجازيين والأول من الخفيف والقافية متواتر » وعلق على ذلك محى الدين عبد الحميد بقوله : تنسب لعمر بن ابى ربيعة المخزومى .

وأورد المرزوقى فى شرح الحماسة من القصيدة الأربعة الأبيات الأول (ج ٤ ص ١٨٤٤) .

ونقل المعلقان احمد امين وعبد السلام هارون ثمة كلام التبريزى من أنها لبعض الحجازيين ثم قالا : هو عمر بن ابى ربيعة .

وقال الوزير ابو عبيد البكرى فى اللآلىء (ج ٢ ص ٨٠١) « هذا الشعر لعمر بن ابى ربيعة » .

وعلق عليه الراجكوتى بقوله الأبيات لبعض الحجازيين فى الحماسة (ج ٤ ص ١٦٤) وفى الحماسة البصرية : وقال آخر ، وتروى لعمر بن ابى ربيعة وعنه فى الديوان رقم ٣٧٧ .

وكأن الراجكوتى لم يحب التجاسر على الجزم بذلك . احتراما لرواية الحفاظ .

أما صيغة (نمى) من قولهم نمى الى نبأ كذا ففى شرح ديوان عمر بن ابى ربيعة لمحى الدين (ص ٤٩٢) ضبط (نمى) بالفتح ، وفى الأمالى (ج ٢ ص ١٧٩) (نمى) بالضم بتحقيق محمد عبد الجواد الأصمعى ـ الطبعة الثالثة بمطبعة السعادة ـ وفى الطبعة الأولى للشيخ اسماعيل بن دياب التونسى ببولاق (ج ٢ ص ١٨٥ (نمى) بالضم ايضا .

وكأنه جرى هناك تقليد بعضهم بعضا . دون ان يشير احد من المحققين الى ضبط الكلمة .

وسياق ابى تمام فى الحماسة (من حديث نما الى) الخ .

قال ابو تراب : والتحقيق ان النون والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة نص عليه ابن فارس فى مقاييس اللغة (ج ٥ ص ٤٧٩) .

ويقول الجوهرى فى الصحاح (ج ٢ ص ٥٥٨) : نموت اليه الحديث فأنا أنموه وأنميه وتقول نميت الحديث الى فلان نميا اذا أسندته ورفعته ، قال الأصمعى نميت الحديث مخففا نميا اذا بلغته على وجه الاصلاح والخير وأصله الرفع ونميت الحديث تنمية اذا بلغته على وجه النميمة والافساد .

وفى تاج العروس للزبيدى (ج ١٠ ص ٣٧٧) ومن المجاز نمى اليه الحديث اى ارتفع ونميته ونميته بالتخفيف والتشديد رفعته وأبلغته لازم متعد وأنماه أذاعه على وجه النميمة ، وقيل ان نميته ونميته بالتخفيف والتشديد سواء فى الاذاعة على وجه النميمة والصحيح ان نميته بالتخفيف رفعته على وجه الاصلاح وهذه محمودة ونميته بالتشديد بلغته على جهة النميمة وهذه مذمومة .

قال أبو تراب وهذا الفرق الذى تقدم بين نَمى ونَمىَّ هو الصحيح نقله ابو عبيد وابن قتيبة وغيرهما ولا خلاف بينهم فى ذلك .

وفى لسان العرب (ج ٢٠ ص ٢١٥) ، قال ونمى الحديث ينمى ارتفع ونميته رفعته وأنميته أذعته على وجه النميمة ، وقيل نميته مشددا أسندته ورفعته ونميته مشددا ايضا بلغته على جهة النميمة والاشاعة والصحيح ان نميته على وجه الاصلاح ونميتهُ بالتشديد رفعته على وجه الاشاعة والتنمية .

وفى اللسان أيضا (ج ٢٨ ص ٢٠١٧) : وفى الحديث ان النبى ﷺ قال ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيرا ونمى خيرا قال الأصمعى يقال نميت حديث فلان محققا الى فلان أنميه نميا اذا بلغته على وجه الاصلاح وطلب الخير ، قال وأصله الرفع .

ومعنى قوله ﷺ : ونمى خيرا اى بلغ خيرا ورفع خيرا .

وقال ابن الأثير (فى النهاية فى غريب الحديث) : قال الحربى نمى مشددا وأكثر المحدثين يقولون : نما مخففة قال وهذا لا يجوز وسيدنا رسول الله ﷺ لم يكن يلحن . ومن خفف لزمه ان يقول خير بالرفع قال وهذا ليس بشىء فانه ينتصب بنمى كما انتصب ، يقال وكلاهما على ما زعم لازمان وانما نمى لمتعد يقال نميت الحديث اى رفعته يعنى أبلغته ونميت الشىء على الشىء أى رفعته عليه .

قال وزعم بعض الناس ان ينمو لغة .

قال ابو تراب : وعلى هذا يصح سياق ابى تمام (نما) بالألف (وانظر الفائق للزمخشرى) و (أساس البلاغة) له ايضا وبهذا التقرير يتخرج نمى الى الحديث بمعنى رفع على صيغة المجهول ونمى الى الحديث على صيغة الماضى المعلوم صحيح لأنه فعل لازم بمعنى ارتفع الى الحديث وهذا هو مقام التحقيق وبالله نتأيد .

* * *

استدراك على الشيخ عبدالله بلخير

قال أبو تراب : وقع نظرى فى الأسبوع المنقرض ونحن الآن فى ست خلون من جمادى الأولى سنة ٩٨ هـ على الأشطورة الثانية - ولـم أر الأولى - من القصيدة العصماء بعنوان « محمد رسول الله » المنشورة فى الملحق الأدبى لجريدة المدينة » لمعالى الشيخ عبدالله بلخير وزير الاعلام السابق فكان اعجابى بها عظيما ، واهتشاشى لها مضاعفا ، وكأن الشاعر الكبير يجدد لنا لف الأمـيرى وتوفيق ، ووشى ابن عثيمين ، وأبى ريشة ، وإبرام بولس واضرابه ، اتحد مرماهم فى الوصف لمعالم الاسلام ، واختلفت ملاحمهم فجاء النسيج آيات باهرات ، وأعرف الشيخ عبدالله بلخير قبل ان أعمل مع دواداره الأستاذ غالب أبو الفرج منذ أكثر من ربع قرن حتى انتقلت الى المطبوعات ، ثم قسم « البرامج » أعرفه كاتبا لوذعيا ، وشاعرا عبقريا ، ويعرفنى الشيخ ايضا منذ هذه الفترة طالب علم ومسترشد رأى ، ومتزود معرفة ، وربما جرت بينى وبينه محاورة تدل على ظرفه ، وحلاوة روحه ، رآنى مرة حاملا كتبا فقال : تأبطت ماذا ؟ قلت : خيرا ، لأنى لست أخا « تأبطت شرا » كذلك تعودناه منه ، وعرفناه بها .

اذا ما أسرت أنفس النـاس ذكره تبينتـــه فيهـــم ولـــم يتكلموا
تطيـــب به أنفاسهـــم فيذيعها وهل سر مسك أودع الريـح يكتم

ورمقتنى فى القصيدة هنات أنبه القراء عليها لئلا يتخذوا شعر الرجل الفحل

حجة فى استساغة أمثالها ، أما الشيخ فلعله أخبر بها عندما نظم وعانى ، ومخض وأزبد ، ولكن تسامحه فيها لا يغتفر مع علو كعبه عند أهل القلم والمعرفة ، والفن والعلم ، وفى الادكار له اعتمار ، وان كان للقائلين فيه شجار . (كفى المرء نبلا أن تعد معايبه)

وأول هذه الملاحظ والقصيدة من البحر الخفيف من العروض الأولى والضرب الأول فى قوله .

فى ديار وأمة كلها أمـ　　　　ـيون ما للضياء فيها فتيل

فالتفعيلة الأولى من الشطر الثانى مختلة ويجب ان تكون (فعلاتن) أو (فاعلاتن) وتشديد الياء فى (أميون) أفسدتها ، والله المعين .

وثانيها فى قوله :

وتواصوا على التحدى وان لا　　　　يَعْلُ ظل للهاشمى ظليل

وهنا خطأ لغوى صرفى ، فانه قد حذف من صيغة (يعلو) حرف العلة ، وحقه الاظهار مع الانتصاب (بأن) الداخلة على الفعل .

وثالثها فى قوله :

أنا يا عم مبعث فلو أن الأ　　　　رض مالت بأهلها لا أميل

وهنا أيضا خطأ لغوى ، فليس فى اللغة (أبعث) حتى يكون المفعول منه (مبعثا) وانما فيها (بعث) و (ابتعث) والمفعول من الأولى (مبعوث) ، ومن الثانى (مبتعث) لاغير .

ورابعها فى قوله :

ووضعتم بمفرقى تاج كسرى　　　　وأتتنى بطاق كسرى الشمول

أطلق الشمول على الشمال وهو خطأ ، فالشمول بمعنى والشمال بمعنى .

وخامسها فى قوله :

يا بنى هاشم جباهكمو الشـ ـما مداهـا على الجباه يطول

الشُمُّ وصفاً للجمع خير من الشماّ لأنها صيغة مفردة ويعتبرها اللغويون خطأ وصفاً للجمع وسادسها فى قوله :

ثم بلغه للورى مثلما تسـ ـمع فهو القرآن وانت الرسول

لو حذف الواو التى قبل (انت) لتخلص من الضرورة القبيحة التى وقع فيها وهى وصل همزة الفصل .

فيه بالاضافة الى قبح ضرورة الوصل فى (اقسموا) سناد فى الضرب الأخير وهو سناد الحذو عند العروضيين لأن اللام فى (آلوا) مفتوحة وهو عيب فى القافية وإذا ضممناها كان خطأ فى اللغة .

وثامنها وتاسعها فى قوله :

انـه ذلك الملاك الـذى يعـ ـرف عيسى ويوسف واسمعيل

قد أتى مثلهم بها الناس موسى وأتى قبله ابراهيم الخليل

وهذه أعلام أعجمية ، وما أقبح وصل همزتها ، بل أنا استقبح حذف همزة (حراء) مع تمكن الشاعر حيث يقول بلخير :

يا مغانى حرا التى مسها أو ل وحى أتى به جبريل

وسابعها فى قوله :

علقوها ما بين أركان بيت الله ثم اقسموا عليها وآلوا

* * *

وهم محمد على قطب

قال أبو تراب :

أخرج لنا فى هذه الأيام الأستاذ محمد على قطب من نتاجه كتابه : « نفحات النبى » يذكر فيه قطوفا من سيرة الرسول الكريم ﷺ وأخلاقه وأخباره ، وجاء فى مقدمة الكتاب هذا البيت :

ان الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

وقد نسبه الفاضل المذكور الى حسان بن ثابت الانصارى .

قال ابو تراب : وهذا خطأ أحببت ان أستدركه على الفاضل ، فالبيت لكعب بن زهير بن ابى سلمى المزنى من قصيدة طبقت شهرتها الآفاق وأولها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ... متيم أثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغَن غضيض الطرف مكحول

تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول

وهى فى ديوانه (ط دار الكتب المصرية سنة **١٣٦٩** هـ) بشرح الامام ابى سعيد السكرى فى (ص٦) وقد سمعها رسول الله ﷺ .

وقصتها كما جاء فى كتب السير والتواريخ : ان كعبا كتب الى أخيه بجير حين أسلم ولحق بالنبى ﷺ مهاجرا ولم يك كعب أسلم حين ذاك وكان يشتد

على أخيه كأهله فقال :

ألا أبلغـا عنـى بجـيرا رسالة فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا
شربت مع المأمـون كأسا روية فأنهلك المأمـون منهـا وعلّكا

ويعنى بالمأمون النبى ﷺ ـ وبعد البيتين قوله :

وخالفـت اسبـاب الهـدى وتبعته على أى شيء ويـب غـيرك دلكا
على خلـق لم تلف امـا ولا أبا عليـه ولم تـدرك عليـه أخـا لكا

وأنشد بجير أبيات أخيه بحضرة النبى ﷺ فقال : صدق أنا المأمون وانه لكاذب ، أجل لم يلف أباه وأمه على الاسلام ، فأجابه بجير :

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى تلـوم عليهـا باطـلا وهـى احزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده فتنجـو اذا كان النجـاء وتسلم
لدى يوم لا ينجـو وليس بمفلت من النار الا طاهـر القلـب مسلم
فديـن زهـير وهـو لا شيء دينه وديـن أبـى سلمـى على محرم

ثم كتب بجير الى أخيه كعب حين قدم رسول الله ﷺ المدينة منصرفه من الطائف يقول : ان النبى ﷺ يهم بقتل كل من يؤذيه من شعراء المشركين ، وان ابن الزبعرى وعمير بن وهب قد هربا ، فان كانت لك فى نفسك حاجة فاقدم على رسول الله ﷺ فانه لا يقتل احدا جاء تائبا ، وان انت لم تفعل فانج الى نجائك من الأرض .

فلما ورد على كعب كتاب بجير خاف على نفسه ، وقيل له : انك مقتول ،

وأراد ان تؤويه قبيلة مزينة فأبت ذلك ، فلم يجد بدا الا أن قدم المدينة ، ونزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة ، فقال له الرجل : تحين صلاة الصبح ، فلما أقبل رسول الله ﷺ قال له الرجل : هذا رسول الله فقم اليه فاستأمنه فقام حتى جلس بين يديه ووضع يده فى يده ، وكان النبى ﷺ لا يعرفه فقال :

يا رسول الله ان كعب بن زهير أتاك تائبا مسلما فهل انت قابل منه ان أنا جئتك به ؟ قال : نعم . قال : فأنا كعب . فوثب رجال من الأنصار فقالوا : دعنا يا رسول الله نضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ : دعوه عنكم فانه قد جاء تائبا نازعا فكفهم عنه ، فأنشد كعب يمدح النبى ﷺ هذه القصيدة المار مطلعها وخص المهاجرين فيها بالمدح ، وعرض بالأنصار فيها فى بيت من أجل وثوبهم عليه وهو :

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ضرب اذا عرد السود التنابيل

فقوله : « السود التنابيل » هو الذى فسره عاصم بن عمر بن قتادة بأن فيه تعريضا .. وأما قوله : يمشون مشى الجمال الخ .. فهو فى نعت المهاجرين لأن قبله :

فى عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل
شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج داوود فى الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق كأنها حلق القفعاء مجدول

وبعد البيت المذكور :

لا يفرحـون اذا نالـت رماحهمو قومـا وليسـوا مجازيعـا اذا نيلوا

لا يقـع الطعـن الا فى نحورهمو ما ان لهم عن حياض الموت تهليل

وقبل هذه الأبيات كلها قوله ـ وهو بيت التعقيب ـ :

ان الرسول لسـيف يستضـاء به مهنـد من سيـوف الله مسلول

وفى هذه القصيدة يذكر كعب قول أهل قبيلته :

يسعـى الوشـاة بجنبيهـا وقولهمو انك يا ابـن ابـى سلمـى لمقتول

فقال :

انبئـت ان رسـول الله أوعدنى والعفـو عنـد رسـول الله مأمول

مهـلا هداك الـذى أعطـاك نافلة القـرآن فيهـا مواعيـظ وتفصيل

لا تأخذنـى بأقـوال الوشـاة ولم أذنب ولو كثـرت عنـى الأقاويل

لقـد اقـوم مقامـا لو يقـوم به أرى وأسمـع ما لو يسمـع الفيل

لظـل يرعـد إلا أن يكون له من الرسـول باذن الله تنويل

حتـى وضعـت يمينـى لا أنازعه فى كف ذى نقمات قيلـه القيل

وقد ذكروا ان الأنصار شق عليهم ان لم يذكرهم فى قصيدته ، وكلموا النبى ﷺ فقال كعب يذكرهم فى قصيدة مطلعها :

من سره كرم الحيـاة فلا يزل فى مقنـب من صالحـى الأنصار

تزن الجبـال رزانـة أحلامهم وأكفهـم خلف من الأمطار

المكرهـين السمهـرى بأذرع كصواقـل الهنـدى غـير قصار

والناظريـن بأعـين محمرة كالجمـر غـير كليلـة الابصار

والباذلـين نفوسهـم لنبيهم يوم الهيـاج وقبـة الجبار

وفى الاصابة للحافظ العسقلانى ج ٣ ص ٢٧٩ : ان كعبا قال : عرفت رسول الله ﷺ بالصفة ـ وذلك حين أناخ بباب المسجد ـ ثم قلت : الأمان يا رسول الله أنا كعب . قال : « أنت الذى تقول » والتفت الى ابى بكر فقال : كيف قال ؟ فذكر الأبيات الثلاثة المذكورة التى كتبها كعب الى أخيه بجير فلما قال « فأنهلك المأمور » قلت : يا رسول الله ما هكذا قلت وانما قلت : « وأنهلك المأمون » قال : مأمون والله .

وذكر انه لما قدم المدينة سأل عن أرق أصحاب رسول الله ﷺ فدل على أبى بكر فأخبره خبره فمشى أبو بكر وكعب على أثره وقد التثم حتى صار بين يدى النبى ﷺ فقال : رجل يبايعك فمد النبى ﷺ يده فمد كعب يده فبايعه وأسفر عن وجهه فلما أنشده القصيدة كساه النبى ﷺ بردة له فاشتراها معاوية من ولده .

قال خلف الأحمر : لولا قصائد لزهير لما فضلته على ابنه كعب .

قال أبو تراب : وهذه هى قصيدة البردة الحقيقية وأما بردة البوصيرى فلها وجه تسمية آخر .

* * *

أوهام الاستدراك

قال أبو تراب : عنيت منذ عهد الجثو على الركب ، واحتكاك المنكب بالمنكب فى الصف أو التحليق حول شيوخ العلم .. بجمع المعتل والمهموز والمضاعف من مواد اللغة دون الصحيح الوارد فى فصيح ثعلب وأشباهه من اللغويين ، وكنت أعرض ما أجمع على قواعد الصرف لأتبين صحة ايراد أصحاب المعاجم المواد فى أصولها ، وكم من أخطاء لهم فيها يتقبلها التجاوز والسماح فى التصرف اذا التمس انسان لهم العذر فى تقريب المعنى على طرف الثمام فى جملة المظان . وأكثر ما اشتغلت فى المهموز لعثورى على نسخة مخطوطة من رسالة ابى زيد فى الهمز ، ثم رأيتها وقد طبعها المستشرقون فى شرح شبابى ، وقرأت فى مجلة الأسبوع العربى فى أحد أعدادها : ان عالما من العراق حصل « الدكتوراه » فى بحث الهمزة فى اللغة ، وقد قيد لها ألف قاعدة فى رسالته . وما استصغرت نفسى إزاء كل ذلك وان لم اطلع على ما كتب الفاضل المثابر لأنى أثق بما قمت به طيلة سبع سنوات فى البحث عن الهمزة فى اللغة ، ومسوداتى فيها تبلغ مجلدين .

وليس هذا يعنينى فى هذه العجالة الماتحة فان ارجاع المسائل الصرفية وتصحيح تقعيدها على شافية ابن الحاجب وتعليلات الكهوتوى والرضى والزنجانى شىء يطول ثم يمل غير أصحاب الاختصاص ، وانما مجاله مجلات المجامع اللغوية ومؤتمرات أبحاثها فى دمشق وبغداد ومصر والرباط .

لكننى هنا بصدد إيراد نموذج من مهموز اللام استدركه الباحثون من أمثال من عنوا بفهارس اللسان لابن منظور واستدراكاته وزياداته وتصحيحاته ليتضح ما وقع لهم فيها من غفلة وسهو ، ولقد أحصيت كل ذلك عدا فى رسالة أعددتها لعل الله يسخر من يطبعها فتكون مستدرك المستدرك .

نعم ... يهول الناظرين فى « اللسان » كثرة مواده ، وزياداته على « القاموس » وليس فى كل ما يتصورونه زيادة ولا أنكر الزيادة أصلا وإنما أنكرها فيما يتصورونه زيادة ، وما هى بزيادة وانما مادتها واردة فى « القاموس » فى غير ما ذكر صاحب « اللسان » .

خذ مثلا : مواد الهمزة على اللام فى المعاجم ٢٩٢ مادة تفرد « اللسان » فيها بـ ١٥ مادة فقط ، وأفرد (القاموس) ٤٤ مادة يراها الرائى زيادة على اللسان ، كما يرى الرائى الـ ١٥ مادة التى تفرد بها اللسان زيادة على القاموس وليس كذلك .

واليك أمثلة :

(تطأ) هذه المادّة استدرك بها من لم يتأمل على القاموس إذ هى فى اللسان ، وكأنه لم يعرف أن المجد أوردها فى المعتل ، وكذلك فعل ابن منظور .. فالمعتل والمهموز عندهما فى هذه المادة مختلطان .

(تكأ) لا يستدرك به لأن ابن منظور والمجد أورداه فى (وكأ) .

(جلظأ) استدرك به على القاموس ولا يصح إذ قد ذكره المجد فى باب الظاء من فصل الجيم .

(جوأ) قلت : لا يستدرك به ، بل ذكره المجد فى المعتل .

(الحيفساء) أما هذه المادة فمستدركة حقا ، لكن لا على القاموس بل على اللسان أيضا إذ لم يذكراها البتة ، فهى فائدة مستدركة استدركتها .

(وحفيتأ) كسميدع لم يذكره المجد ولا ابن منظور وقد أفاده شارح القاموس .

(حنطأ) لغة فى ـ حنظأ ـ بالظاء المشالة وقد ذكره المجد وابن منظور كلاهما فلا يستدرك .

(دهدأ) لا يستدرك به فهو غير مهموز كما أقر به صاحب اللسان نفسه ، وقد ذكره المجد فى باب الهاء دون المعتل وهناك تنبيه فراجع .

(زرأ) ذكره المجد فى المعتل اليائى ، وحقه ان يذكر فى الراء فى الأول .

(سنتأ) ذكره المجد فى ـ المسبنتأ ـ .

(طتأ) ذكره المجد فى المعتل فلا يستدرك به عليه من اللسان لابن منظور .

(فصأ) أما هذه المادة فلغة فى ـ فسأ ـ فلا ينبغى ان يستدرك بها لأن ـ فسأ ـ مذكور .

(قسأ) ذكره المجد فى المعتل فكيف الاستدراك .

(كوأ) ذكرها المجد فى الطاء ـ وهى معكوسة ـ فليراجع الابدال فى اللغة ، ولا يصح عندى الاستدراك بها .

(لوأ) ذكره المجد فى المعتل الواوى ، فأنى الاستدراك .

(مكأ) ذكره المجد فى المعتل فلا يصح الاستدراك .

هذه خمس عشرة صيغة أو لفظة أو مادة ـ قل كما شئت ـ استدرك بها من اللسان على القاموس ولم يصح الاستدراك كما علمت ، إذ كانت المعرفة

بالأصول الصرفية تقتضى اختلاف تعيين اللفظ من أى جذر جاء .

وهكذا فتلكن خاتمة هذه النماذج لئلا نشوش على أذهان من لا يمتون الى هذا العلم بصلة ..

* * *

مع العوّاد في المواريث

قال أبو تراب : كنت أتوقع من الأستاذ المعلم البارع النافذ التفكير ذى الابداع المهيارى الصديق الودود محمد حسن عواد اذ بحث فى علم الفرائض أن يأتينا ببيان مخارج التصحيح فى مسائل من صور الجزئيات لأصحاب الفروض وسائر العصبات وأولى الأرحام والولاية وأحوالهم المختلفة فى ضرب السهام ، ففى هذا تقريب البعيد الذى شرعت فى عمله منذ أيام الدراسة الى أن قرأت السراجية على شيخى بعد والدى العلامة عبد الرحمن المعلمى طيب الله ثراه وأمد فى عمر الوالد المحدث المعمر.

فكانت صوره مثلا فى باب الابن وأحواله وان سفل مع غيره من أصحاب الفرائض : فصل الابن مع الزوج وفصل الابن مع الزوجة وفصل الابن مع الأب ، وفصل ابن الابن مع الزوج ، وابن الابن مع الزوجة ، وابن الابن مع الأب وابن الابن مع البنت ، وابن ابن الابن مع الزوج ، وابن ابن الابن مع الزوجة ، وابن ابن الابن مع الأب ، وابن ابن الابن مع البنت وابن ابن الابن مع بنت الابن .

وهذه صور افتراضية تقع ولو فرعت فى كتاب كما فعلتها لكانت مفيدة للمراجعة عند تصحيح المسائل .

فمن مسائل الابن مع الزوج المخرج من أربعة للزوج والباقى للابن ،

ومن مسائل الابن مع الزوجة المخرج من ثمانية للزوجة واحد والباقى للابن ، ومن مسائل الابن مع الأب المخرج من ستة للأب واحد والباقى للابن .

ومن مسائل ابن الابن مع الزوج المخرج من اربعة للزوج واحد والباقى للابن ، ومن مسائل ابن الابن مع الزوجة المخرج من ثمانية للزوجة واحد والباقى لابن الابن ، ومن مسائل ابن الابن مع الأب المخرج من ستة للأب واحد والباقى لابن الابن .

ومن مسائل ابن الابن مع البنت المخرج من اثنين للبنت واحد والباقى لابن الأبن ، ومن مسائل ابن ابن الابن مع الزوج المخرج من اربعة لزوج واحد وما بقى فلابن ابن الابن . ومن مسائل ابن ابن الابن مع الزوجة المخرج من ثمانية للزوجة ثمانية والباقى لابن ابن الابن .

ومن مسائل ابن ابن الابن مع الأب المخرج من ستة للأب واحد وما بقى فلابن ابن الابن . ومن مسائل ابن ابن الابن مع البنت المخرج من اثنين للبنت واحد والباقى لابن ابن الابن ، ومن مسائل ابن ابن الابن مع بنت الابن المخرج من اثنين لبنت الابن واحد والباقى لابن ابن الابن ..

وهكذا فى كل فصل من هذه الفصول فى أحوال الابن فروع تتفرع ، فلو تصورنا جزئياتها ووضعنا لها لوائح لسهلت على المراجعين تخريج المسائل ، وكذلك مأتى الحكم فيها يتبع ذلك من الأبواب كالأب وما بعده ..

فلو ان كتابا وضع لتصوير هذه الحوادث على كبرها لكان معجما ميراثيا يرجع اليه الباحثون ، وذلك على غرار المعجم النحوى الذى ألفته ولم يزل له عندى مسودة ، أما هذا الطراز فى الميراث فقد استأنفت القول فيه منذ أمد ثم انقطع

عنى مع الشواغل والصوارف ولقد أتممت منه وأنا بمكة مجلـدا فى باب الابـن وأحواله ، وبحت بهذا السر لعل الله يقيض من يقوى على هذا العمل فيكون أنجح منى وحسبى أنى خططت له خطة فيها فائدة اليسر والتسهيل .

* * *

وهم أحمد علي

قال ابو تراب : قرأت فى العدد الصادر غرة رمضان هذا العام من جريدة المدينة ، ما كتبه الاستاذ احمد على من خبر سرية عبد الله بن عتيك الخزرجى الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتل ابى رافع سلام بن ابى الحقيق بخيبر ورأيت الاستاذ وهم فى موضع من سياق الخبر وسبقه الى ذلك آخرون ممن لم يقلب وجوه الرواية وتعدد مظانها لينصع له لباب الخبر فاردت التنبيه على ذلك حينذاك الا انى كنت ملتزما بكتابة حوادث رمضان عبر التاريخ يوميا فلم يتسن لى التعرض فيها للموضوع وما تفرغت الا الآن فارى من الواجب العلمى الاشارة الى ما قيدناه فى السابق ليكون فى هذا اللاحق اصلاح ذلك الخطأ الذى وقع فيه الاستاذ وجل من لا يسهو .

وان شئت مصادر الخبر فمنها تاريخ الطبرى (ج ٣ ص ٦) وطبقات ابن سعد (ج ٢ ق ١ ص ٦٦) وسيرة ابن هشام (ج ٣ ص ٢٨٦) والبداية والنهاية لابن كثير (ج ٤ ص ١٣٧) وامتاع الاسماع للمقريزى (ص ١٨٦) والمواهب للقسطلانى (ج ١ ص ١٥٩) وزاد المعاد لابن قيم الجوزية (ج ٢ ص ٢٩٣) وسيرة ابن سيد الناس (ج٢ ص٨٠) وغيرها .

وخلاصة الخبر انه لما قتل رجال من الاوس كعب بن الاشرف اليهودى رغبت الخزرج فى مثل ذلك ابتغاء الاجر والمثوبة فاستأذنوا رسول الله ﷺ فى قتل سلام بن ابى الحقيق فأذن لهم لأنه كان عدو الله والمسلمين .

وخرج اليه عبد الله بن عتيك وعبد الله ابن انيس وابو قتاده ومسعود بن سنان والاسود بن الخزاعى وكان اميرهم ابن عتيك واتوا خيبر ليلا وتسوروا دار اليهودى واغلقوا الابواب وصعدوا العلية التى هو فيها فاستأذنوا عليه فقالت تقول والله لقد سمعت صوت ابن عتيك وقلت أنّى ابن عتيك » ظن الاستاذ ان هذا الذى جاء يستطلع جلية الأمر هو الذى قال لزوجة اليهودى حين سمعها تقول كيت وكيت : « انى ابن عتيك » فتوهم قائل القول هو الرجل نفسه والحق ان امرأته هى التى قالت القول ثم اسمعت الناس انها سمعت صوت ابن عتيك وقالت فى نفسها انى ابن عتيك ها هنا .

وفى بعض الروايات (ثم قالت) والمرأة هى القائلة والذى يدل على ما ذهبنا اليه نص ابن هشام فى سيرته (ج ٣ ص ٢٨٨) : انها قالت والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم اكذبت نفسى وقلت انى ابن عتيك بهذه البلاد » ثم انها نظرت فى وجهه فقالت فاظ وآله يهود فقولها : ((ثم اكذبت نفسى وقلت انى ابن عتيك بهذه البلاد يوضح ان هذا من حديث المرأة لا من حديث الذى جاء لمعرفة الأمر . وجملة : « ثم اكذبت نفسى » ثابتة فى سيرة ابن هشام ولولاها لكانت العبارة غامضة تحتمل الوجهين لكنها اوضحت الجملة وازالت الغموض واللبس اللذين اعتوراها .

وقيد هذه الفائدة الشيخ احمد محمد شاكر فى هامش جوامع السيرة للحافظ ابن حزم رحمهما الله فانظر ص ١٩٩ وبالله التوفيق .

امرأته من انتم فقالوا اناس من العرب فقالت هذا صاحبكم . لكنها ايقنت بالشر بعد ذلك فصاحت فهموا بقتلها لولا انهم تذكروا نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان .

ثم تعاوروه بالاسياف وهو راقد على سريره ابيض فى سواد الليل فلما انفذ ابن عتيك سيفه فى بطنه قال قطنى قطنى .

واصيب ابن عتيك فى عظم رجله لانه وقع من الدرجات لسوء بصره فربطها بقماط عمامته وأوقد أهل الآطام النيران يبحثون عن القاتلين وقد استتروا حتى يئسوا .

وقال المسلمون كيف لنا ان نعلم ان عدو الله قد مات ، فرجع احدهم ووقف مع الناس حتى سمع خبر موته فآتى اصحابه فاخبرهم بذلك .

ثم تداعوا فى قتله عند رسول الله ﷺ فقال هاتوا سيوفكم فأروه اياها فقال عن سيف عبد الله بن انيس هذا قتله ارى فيه أثر الطعام ، هذا مجمل الخبر سقناه للافادة العامة لنربط القارىء بالنبأ قبل بيان موضع الوهم فيه الذى يقع فيه الناس .

وموضع الوهم هو عند وقوف هذا الذى جاء يستكنه الخبر ويتثبت من هلاك العدو وموته .

فقال الاستاذ احمد على فى مقاله المشار اليه آنفا ان هذا الرجل (وجد اليهود مجتمعين حول جثة القتيل وزوجته تقول : اما والله قد سمعت صوت ابن عتيك فقال لهم هذا واين انتم من ابن عتيك)

قال ابو تراب : وليس الأمر كذلك فان هذا المستطلع الذى وقف مع الناس لم يقل قط : « واين انتم من ابن عتيك » كما جزم بذلك الاستاذ احمد على وانما القول لزوجة اليهودى نفسها فانها قالت : انى لما سمعت صوت ابن عتيك قلت فى نفسى : انى ابن عتيك ظن الاستاذ انها بذلك تكذب نفسها فى نفسها .

ومنشأ وهم الاستاذ احمد على انه لما وجد الرواية تقول : « انه سمع امرأته

الرد على العقاد (٢)

قال ابو تراب : كتب الأستاذ عباس محمود العقاد ضمن يوميات العدد ٢٨٧٣ من جريدة الأخبار القاهرية الصادرة يوم الأربعاء العاشر من ربيع الآخر سنة ١٣٨١ هـ سؤالا ارسله اليه عبد المعطى على القيعى المدرس بكفر الزيات ورجاه الاجابة عليه ونصه :

« من هم اخوال النبى محمد ﷺ لأن اسماءهم لم تأت فى كتب السيرة التى بين يدى »

وقال العقاد ما نصه :

« اما اخوال النبى ﷺ فالاستاذ القيعى يقول انه لم يطلع على اسمائهم فى كتب السيرة النبوية ، ونقول له ولانحن اطلعنا على اسماء لهم فيما بين ايدينا من سير النبى وأخباره عليه السلام ، والمفهوم من القول بان والد السيدة آمنة قد مات عنها انه لم يمت عن احد غيرها من البنين والبنات وان اخوال النبى اذن هم اقاربه من جانب السيدة آمنة آل عدى بنى النجار ، وكان عليه السلام يقول عن سعد بن ابى وقاص انه خاله لانه ينتمى الى اهيب بن عبد مناف بن زهرة اجداد السيدة آمنة فهو بمنزلة الخال وان لم يكن اخاها لابويها » .

قال ابو تراب : فى هذا الكلام أوهام شنيعة وأخطاء فاحشة نريد أن نصححها للعلم والتاريخ أولها ان العقاد جعل آل عدى بن النجار اقارب آمنة أم

رسول الله ﷺ وثانيها قوله ان سعدا ينتمى الى أهيب وثالثها انه جعله من اجدادها ورابعها انه حصر الخؤولة فى قرابة آمنة وخامسها انه نفى ان يكون لها أخ لابويها الى غير ذلك مما يدل على تسرع العقاد فى الاجابة دون التحرى والبحث والتثبت فى الانساب .

قال أبو تراب :

وان كان العقاد لم يطلع على هذا العلم ولا السائله عنه فاننا ولله الحمد قد اطلعنا عليه وفوق كل ذى علم عليم والعقاد خفى عليه خبر خال رسول الله ﷺ على سعة اطلاعه وغاب عن علمه فاختلط فى النسب فجعل الخؤولة فى بنى النجار وهم قحطانيون وأم رسول الله ﷺ عدنانية زهرية لكنا لم يغب عنا ذلك ولا جهلناه . وأشنع خطأ هو خطأ العقاد اذ قال : ان آل عدى بن النجار اقارب رسول الله ﷺ من جانب آمنة فهم أخواله والعياذ بالله من هذا الخلط العجيب ولا أدرى كيف وقع فيه مثل العقاد فكأنه رأى اسم وهب فى انساب بنى النجار فظنه أبا آمنة والا فأين بنو زهرة أقارب آمنة وأين بنو النجار أولاد ثعلبة الأزديون القحطانيون وهم فى نسب الانصار من ولد ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثه الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد .

وولد ثعلبة حارثة وولد حارثة الاوس والخزرج وولد الخزرج الحارث وكعب وجشم وعوف وعمرو وولد عمرو ثعلبة وولد ثعلبة تيم الله وهو النجار وبنوه اذن من الخزرج وهم اربعة بطون بنو مالك بن النجار وبنو عدى بن النجار وبنو مازن بن النجار وبنو دينار بن النجار ويقال دنير وكلهم قحطانيون أزديون

ثعلبيون خزرجيون نجاريون كما نسبنا وهو مذكور فى الجمهرة والانباه وأم رسول الله ﷺ زهرية عدنانية لانها بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ويجتمع رسول الله ﷺ مع امه فى كلاب لانه ابن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب فأين هؤلاء الآباء من آباء بنى النجار اللهم نسألك العلم .

وقد وجدنا خبر خال رسول الله ﷺ فى كتاب حذف من نسب قريش لعالم البصرة مؤرج بن عمرو السدوسى وهو اقدم كتاب وصل الينا فى النسب لهذا التاريخ وهو برواية محمد بن العباس اليزيدى عن عمه وهما من علماء العربية المعروفين أما مؤرّج فهو من اقران حماد بن سلمة والنضر بن شميل وسيبويه وكان من الثقات الذين اخذوا عن الخليل وأبى زيد وكتابه فى النسب يعد أول مرجع لضبط ما ألف بعده من كتب الانساب لسعة اطلاعه ودقة ضبطه وبعد عصره ولانه كان ثقة عند العلماء .

وكتاب مؤرّج هذا وجد فى المغرب بخط أحد العلماء يعرف بأبى اسحاق النجيرمى وعلى النسخة معارضات وقراءات ومناولات من كبار العلماء مما يدل على ضبطها . ففى هذا الكتاب (ص ٦١) ذكر مؤرج السدوسى خال رسول الله ﷺ أخا أمه لابيها وهو عبد يغوث وهذا هو الخال الصحيح وولده الاسود والارقم وهما ابنا خال رسول الله ﷺ المذكور ويقول مؤرج : « فمن بنى زهرة بن كلاب وهب بن عبد مناف بن زهرة جد النبى ﷺ وام النبى ﷺ آمنة بنت

وهب بن عبد مناف وكان الاسود بن عبد يغوث بن وهب من المستهزئين وأخوه الارقم بن عبد يغوث من المستهزئين » .

وفى تفسير الخازن ج٣ ص١١١ أنه مَرَّ به الأسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد ؟ فقال : بئس عبدالله على أنه خالى فقال جبريل : قد كفيته فأشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات .. وفى رواية الكلبى انه خرج من أهله فأصابه سموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه ، وأغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول : قتلنى ربُّ محمّد .

قال ابو تراب : وأما سعد بن أبى وقاص فهو خال رسول الله ﷺ على المجاز لانه ينتمى الى قرابة أمه وكذلك كل من انتمى اليها وليسوا اخوالا على الاصل فأما ابو وقاص واسمه مالك فهو ولد وهيب اخى وهب بن عبد مناف وهو ولد عم آمنة وولده سعد يكون ولد ولد عم آمنة ووهيب غير أهيب وليسا أجداد آمنة كما ظن العقاد بل أهيب ولد الحارث اخى عبد مناف فهو ولد اخى جدها وولد الحارث وهب وأهيب ليس لهما عقب فكيف يكون سعد ينتمى الى اهيب وولد أخيه عبد مناف وهب ايضا ووهيب ووهيب هو جد سعد لكن العقاد خلط ووقع فيما وقع فيه غيره من نساخ التاريخ ولم يتثبت العقاد وانما درج على ما درج عليه الواهمون حتى انى قرأت فى تعليقات بعض المحققين المشتغلين بالكتب يذكرون وهيبا ويقولون ويقال أهيب أو فى نسخة أهيب وكل ذلك تحريف لان اهيبا ولد اخى عبد مناف وليس ولده والغريب ان كتاب مؤرج كتب فيه الناسخ « أهيب بن عبد مناف » ولم يصححه الدكتور صلاح الدين المنجد غفلة منه ومثله فى كتاب الحافظ النمرى وغيرهما .

وعلى هذا فان سعدا لا ينتمى الى أهيب بل الى وهيب لان عبد مناف ليس من ولده أهيب بل هو ولد أخيه الحارث وولد الحارث وهب القرية وكان شاعرا واهيب وقد انقرضا وعبد الله وعبد لهما عقب ذكرهم ابن حزم فى الانساب (ص ١٢١) وأما عبد مناف فولده وهب ايضا ووهيب وكلاهما له عقب فولد وهب آمنة أم رسول الله ﷺ وعبد يغوث خاله وولد وهيب هالة أم حمزة بن عبد المطلب ونوفل ومالك وهو ابو وقاص وأبو وقاص ولد وهيب لا اهيب وسعد ولد ولد عم آمنة اول رام فى الاسلام وشهد بدرا وكان أحد أصحاب الشورى ومن ولد ابى وقاص عمير استشهد يوم بدر ومن ولده ايضا عامر هاجر الى أرض الحبشة . ومن ولده أيضا عمارة وعتبة لم يذكرهما مؤرج ولكن ذكرهما ابن حزم قال وعتبة هو الذى جرح رسول الله ﷺ يوم أحد قيل مات مسلما وقيل مات كافرا .

أما نوفل بن وهيب الذى ذكرناه فولده مخرمة له صحبة وعتبة وولد عتبة عمرو وكان على الناس يوم جلولاء وولد مخرمة قيس استعمله الحجاج على مكة والمسور ومن ولده أبو بكر بن عبد الرحمن ابن المسور وهو القائل :

بينما نحن من بلاكث بالقا ع سراعا والعيس تهوى هويا

خطرت خطرة على القلب من ذكراك وهنا فما استطعت مضيا

قلت لاصبر اذ دعانى لك الشوق وللحادين كرا المطيا

والابيات فى شرح ديوان الحماسة ص ٢١٨ واللسان والجمهرة ص ١٢٠ وكل ذلك يذكره النسابون والعلماء وهؤلاء هم أخوال رسول الله ﷺ على المجاز لانتمائهم الى أمه وليس خاله على الاصل الا عبد يغوث والاسود والأرقم ابنا خاله .

وهذا فولد عبد مناف بن زهرة وهب ووهيب فولد وهب آمنة أم رسول الله ﷺ وعبد يغوث بن وهب فولد عبد يغوث الارقم والاسود فولد الارقم عبد الله له صحبة ولاه عمر وعثمان بيت المال وولد الاسود وهو احد المستهزئين مات كافرا عبد الرحمن له صحبة وكان فاضلا ذكر فى شورى ابى موسى وعمرو» وذكروا ايضا : « ولد الحارث بن زهرة وهب القرية وأهيب وانقرض وهب وأهيب الخ » . قال ابو تراب ولقد تقرر بهذا ان أخوال رسول الله ﷺ على المجاز هم زهريون لا نجاريون كما توهم العقاد ولقد غلط : الله بخش المدنى فى الشجرة النبوية التى أصدرها عام ١٣٢٩ هـ اذ قال ما نصه : « أم النبى ﷺ السيدة آمنة وأخوالها خالاه ﷺ وهما عبد يغوث والاسود فهما اولاد وهب بن عبد مناف » والصواب ان الاسود هو ولد عبد يغوث وليس أخاه أى ولد وهب وعبد يغوث هو أخو آمنة وهو خال رسول الله ﷺ وترك الشيخ الارقم وهو ولد خاله ايضا كالاسود كما قررنا وأفادنا بهذا الوهم الذى وقع فيه مؤلف الشجرة اللبيب الحصيف ذو الاطلاع الواسع فى التاريخ والد زوجى الشيخ عبد المجيد بن محمد على بن داود البغدادى متع الله بحياته ، وأم أم رسول الله ﷺ برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب وأمها حبيبة بنت أسد بن عبد العزى وأمها بَرَّة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب ذكرهن

مؤرج وكلهن قرشيات فهريات فكيف يقول العقاد أن أخوال رسول الله ﷺ من بنى النجار اللهم انه لوهم شنيع جدا .

وقد وجدت ايضا خطأ من النساخ فى كتاب جوامع السيرة للحافظ ابن حزم فى (ص ٥٣) اذ ذكر من المجاهرين لرسول الله ﷺ بالاذى والعداوة من بنى زهرة ابن خاله وهو الاسود بن عبد يغوث بن وهب فكتب المصححون والنساخ (الاسد) بدل الاسود والكتاب بتحقيق الدكتورين احسان عباس وناصر الدين الاسد ومراجعة الشيخ احمد محمد شاكر والعجب انهم لم يتنبهوا لهذا الغلط وجل من لا يسهو ، والسبب قلة المراجعة ونسأل الله السلامة من الزلل . ومن الخطأ ايضا فى كتاب الانباه للحافظ ابن عبد البر (ص ٧١) حيث ذكر بنى زهرة ابن كلاب وقال منهم سعد بن عوف ومخرمة بن نوفل بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو خطأ من النساخ فيما احسب .

* * *

توجيه كلام الزيدان (٥)

قال أبو تراب : لعلّ القراء يذكرون ما كتبه المؤرخ ذو الاطلاع الواسع الأستاذ السلفي محمد حسين زيدان رئيس تحرير « البلاد » في ترجمة عمير بن الحمام من انّه أول القتلى يوم بدر وما تعقبته به من ان مهجعاً مولى عمر هو أول قتلى المسلمين يومذاك وجاء الأستاذ بادئا عائدا مستأنفاً مستعقباً غير منكر لاستنادي ولا مكذب لرأيه بل أوضح ما غمض في المسألة قائلاً ان عميراً أول القتلى بعد بدء الحرب وان مهجعاً قتل قبلها والحرب لم يحم وطيسها وفي هذا التعليل دقة نظر وعمق تأمل وجمع بين الروايات .

ويعلم الله أننا خدنان في المشرب والاخاء وسيان في المذق والصفاء كل منا أراد الوقوف على الحق ورَجَا التحقيق في الأمر وما كنتُ إذ نقدتُه لأنتقص من شأنه ولا يَلفتني عن ارتشاف فيضه حدوثُ عِيَافٍ ولا كان هو أيضاً غَروضاً راح مُعْتِبا حَذْو القَذّة بالقَذّة فكلانا طالب علم وقاصد محجة سواء .

والأستاذ أصدق ذي لهجة وأكرم ذي مهجة وأفصح ذي لسان وأبصر ذي طرف وأكتب ذي أنامل يُفحم من جادل ويغلب من نازل ان تقلد عملاً سوّاه وان آنس أوداً ثقفه وان صادف ميلاً قومّه وان أبصر زيغاً عدّله وان رأى مختلطاً نقحه يرجع الى الصواب فلا تأخذه العزة بالنفس قطعاً ولعمري ان هذه لهي روح طلبة العلم تجعل المرء يزداد فيها نهامةً بارك الله لنا في هذا الأستاذ الأمين على نقل الآثار وتمحيصها المقدّر للعلم والعلماء بصرامة مذهبه .

ولقد سمع أبى قول الذى يجادله فى أمره ـ وهو الراوية المسند الحافظ الحجة الضليع من معرفة السنة والآثار والأخبار فآب الشيخ الكبير الى رأى رآه الأستاذ زيدان وفك عنه مواسك الحَلَق وعواقل الغلق قائلاً : أصاب ابنى وأصاب زيدان ومهجع ما قتل الاّ بسهم غرب أصابه وهو بين صفين والقتال لم يبدأ بعد وكذلك جاء النص فى الأحاديث المسندة فهو أول القتلى من المسلمين يوم بدر وعمير أول القتلى من الأنصار فى حرب بدر وقتاله ومعركته واحتدامها قُتل رضى الله عنه وفى وظيفَتْه قيد الحرب وفى يديه إباضها رمى التمرات كان يأكلهن فقال ياويح نفسى ان تحول هذه بينى وبين الجنة فياواهاً له وياواها وَلَج سعير الحرب فى عنفوانها وشبابها والحرب اول ما تكون فتية فهو قتيل فُتوتها الأوّل ولعلّ الحافظ أشار الى هذا الفهم إذ أهمل قوله أول قتيل الأنصار ثم لا يعكر عليه ذكره مهجعاً أول قتيل المسلمين فانهم كلهم مجمعون على ان مهجعاً أول قتلاهم يوم بدر ولم يقولوا انه أولهم فى قتاله وبهذا يندفع الاعتراض القائم على نقل ابن عبدالبر وابن منده وابن سعد وغيرهم بعد ان نصوا على ذلك على اننا لا ننكر كون مهجع أول القتلى يوم بدر وفرق بين أول قتيل فى الحرب وأول قتيل يوم الحرب .

قال أبو تراب : أصاب ابن المحدث فى النقل وأصاب المؤرخ زيدان فى التثبت والفهم بشهادة هذا الحبر العظيم ولم يبق بعد ذلك الاّ ان نخلع الرباق ونحلّ الاعتلاق ونُرخى الخناق ونفتح السباق الى هاته المناهل العذبة الموردة التى يدلنا اليها الأستاذ زيدان مميطاً عنها علائق المرتبك مفرّجاً عنها لوازم الأَزَق من تراجم خيرة الخلق صحابة رسول الله الأخيار ولمّا ذكرت لصفوتى من أسرة التحرير هذا النبأ رغبوا الىّ ان أثبته للتاريخ وألقى فيه جملة أعرض فيها

لما لا يزال يسرى على أسلات أقلام من أمور نابية عن حد التحقيق والنَصَفة ولم يبق بعد ئذ مجهول الاّ علم ولا بعيد الاّ اقترب ؛ وسبيل هذا الاقتضاب هو تصحيح هفوات يقع فيها غيرى وأقع فيها أنا وما ابرىء نفسى ان النفس لَتَلْتَاثُ أحوالها والرجاء بعد التى واللتيا ان ينتفع بهذه الفوائد ابناء جلدتنا ممن ثلموها وما رحموها وأسأل الله ان يحل عقدة لسانى ويشرح لى صدرى ويزيل عنا الغباوة والغرارة والجهالة والرقاعة وفائل الرأى وواهن العزم انه سميع وان عميراً ومهجعا أول القتلى ببدر.

* * *

من أوهام حاجي خليفة

قال أبو تراب : ألف سعيد بن يحيى الأموى كتاب المغازى وذكر صاحب كشف الظنون هذا الكتاب مما يدل على أن نسخاً منه كانت موجودة حتى القرن الحادى عشر الهجرى .

وسعيد هذا هو أبو عثمان ابن يحيى بن سعيد بن ابان بن سعيد بن العاص بن الأحيحة القرشى الأموى البغدادى وتوفى سنة ٢٤٩ هـ (٨٦٣ م) كما فى تاريخ بغداد للخطيب ج ٩ ص ٩٠ وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٤ ص ٩٧ .

لكن وهم صاحب كشف الظنون حيث ذكر فى كتابه ج ٢ ص ١٧٤٧ أن مؤلف الكتاب المذكور أبو محمد يحيى بن سعيد بن ابان الأموى الكوفى الحنفى المتوفى سنة ١٩١ ثم غلط مرة أخرى حيث لم يثبت على هذا الوهم بل قال فى ص ١٤٦٠ ان يحيى بن سعيد بن فروخ التميمى القطان البصرى المتوفى سنة ١٩٤ هـ هو المؤلف لكتاب المغازى

فكأن الأمر اضطرب على صاحب « كشف الظنون » وقوله مما لا خفاء على بطلانه والصواب ما حققناه من نقل الخطيب البغدادى وابن حجر .

اللهم الا أن يكون مؤلف كتاب المغازى المذكور ـ الذى نقل عنه الرضى كتاب أمير المؤمنين على رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى فى نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥٠ ونصه : (فان الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم

فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى) فقال جامع نهج البلاغة : « انه أخذ هذا الكتاب من كتاب المغازى لسعيد بن يحيى الأموى » ـ هو يحيى بن سعيد أبو سعيد .

إذ ورد فى تاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٣٢ وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٤١ انه روى كتاب المغازى لابن اسحاق وهذا يدل إنه كان مولعا بالمغازى والسير ويحتمل أن يكون هذا الرجل الذى ذكرناه ألف ايضاً كتاب المغازى أو نسب بعض النساخ كتاب المغازى لابن اسحاق إلى المذكور لروايته اياه .

وعلى أى احتمال من ذلك فإن كلام صاحب الكشف خطأ محض لأن اللذين ذكرهما وهما يحيى بن سعيد بن ابان ويحيى بن سعيد بن فروخ ليسا مؤلفى الكتاب .

وبين الرجلين ما بينهما من فوارق النسب وتاريخ الوفاة والمواطن فأبو محمد يحيى بن سعيد هو ابن ابان أموى كوفى حنفى توفى فى سنة ١٩١ هـ ويحيى بن سعيد الآخر هو ابن فروخ تميمى يلقب بالقطان وهو بصرى توفى بعد الأول بثلاث سنوات فى سنة ١٩٤ هـ وكونه مؤلفا للكتاب كما يزعم الحاج خليفة باطل والصواب ان مؤلفه هو أبو عثمان سعيد بن يحيى ابن ابان الأموى البغدادى المتوفى سنة ٢٤٩ هـ كما حققنا .

* * *

خطأ ضياء الدين رجب (٢)

قال أبو تراب : صديقنا الأستاذ ضياء الدين رجب فقيه عالـم أترعـت حياضه بغوامر الخير فتبجس بفواضل سيبوبه على قراء « البلاد » أمس (١٩ ـ ٣ ـ ١٣٨١ هـ) وسكب لنا مجادحه على « هـامش الأيام » بعنـوان : ـ والله العظيم أتوب ـ وقرأنا ذلك البيان الناضج القويم سطره قلم يجتنى من يابس الجذع رطبا جنيا .. لا يعوزه تمام الصريمة ولا جودة المضاء اذ مد الله باعه وثبت وطأته .

غير أني خرجت من مقاله راضيا عاتبا معا وليس من العجب اجتماع هذا التناقض حيث يستوجبه مقتضى المقام وينتضى له داعى الاهتمام .

فأما الرضى فبأن الأستاذ الكريم أمتع أصيحابه بما أملت القريحة ونفذ اليه البصر فعاد بنجح المطلب ونيل المراد حاسرا لفاعه نازعا لجامه بعد أن ظننا انه لن يثوب الى استخدام القلم ممن لا ندرى أية أرض طوتهم وأى البلاد أضمرهم اذ حيث هجرونا كمن يستغشى ثيابه ويعتاص على العرك .

بيد أن الترجم كان اثما عجم ضئضئه أن أخفق فى مغزاه فقضينا من قراءة مقاله وطرا وكان نصيبا مفروضاً .

وأما العتب ـ وهو موضوع المادة ومادة الموضوع ـ فلأن الأستاذ عفا الله عنه وقع فى وهم جعله صيد « أوهام الكتاب » ورأيت منه نهزة فاغتنمتها لأعتب عليه فى لحن لا يحسن أن يصدر من مثله وهو نحوى تهدلت دوحته ثم أناقشه فى

تسويغه اياه دونما وجه وهو صرّاع ثَبوت فى هيجاء العلم والأدب لا يعتصر عوده ولا يقلقل حصاه ولا يغطش ليله .

وقبل أن أمضى فى التعقيب أود اعلام الجماعة التى تقرأ كلامى هذا بأنى لم أرد قط انتقاص أحد فيما أكتب ولا أردت الحط من منزلة أحد يعرف بالفضل وإنما هى تعليقات للتصويب والتصحيح أقصد بها خدمة العلم وجلب المصلحة والتعريف بالصواب فيجب أن تكون مستعذبة عند من أتعقبه بله من يقرأ تلك الأوهام ، والله يعلم انها لو لم تكن كذلك لكانت مستحيلة الفحوى لا تعول على نتيجة تعرف .

وأقول للأستاذ وهو ذو الوقار الأرصن والحجر الأرزن انك كبير لدى الخاصة والعامة وليس تعقبى رنقا فى مائك ولا صدأ فى حديدك وانما هو اهتمام بخطأ الكبير والكبير يخطىء وجل من لا يسهو وصدق بشار اذ قال :

كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

على رسلك فلقد أخطأ العينى فى النحو وهو نحوى فى بضعة وعشرين موضعا فى خطبة كتابه عمدة القارىء وتعقبه الحافظ ابن حجر فى رسالة الانتصار على الطاعن المعثار وهو غير كتاب انتقاض الاعتراض المخطوط عندى وقال انه عرضها على بعض الأشياخ ـ وسماه ولكنى نسيت اسمه ـ فأقره على ما تعقب وغلط الملا على القارىء فى كلمة من كتاب المغنى لابن هشام غلطا مضحكا فاحشا وتعقبه ابن الأمير فى حاشيته . وانقلبت عين العينى عن رؤية باب للبخارى فادعى انه ليس فيه فتعقبه والدى الشيخ الراوية أبو محمد عبد الحق المحدث الحافظ بعد قرون وهلم جرا .. فلو سردت لك أمثال هذا لطال الكلام

ولكنى أخلص من هذا الى أن ذلك لا يعيب امرأ فى ذرة ولا ينقص من مقداره شيئا وكل ابن آدم خطاء .

أما بعد فالمأخذ هو عنوان مقال الأستاذ تأملته فظهر لى فيه اللحن واضحا كخيط الصبح اذا أسفر بعيد الفلق فلما أطلت التأمل متعمقا أيقنت بالزلة والانتكاب عن المور .. نعم كيف يصح أن يؤتى بالقسم ثم يكون جوابه غير مؤكد .. هكذا فعل الأستاذ ، فلقد قال : (والله أتوب) فلفظ الجلالة مقسم به والواو للقسم وفعل القسم محذوف وجواب القسم أو المُقْسَم عليه هو (أتوب) وهو غير مؤكد والقاعدة أن يقال : (لأتوبن) بتأكيدين هما اللام ونون التوكيد .

وليعلم القارىء ان جواب القسم اما أن يكون جملة اسمية واما فعلية .. وإما أن تكون منفية وإما أن تكون مثبتة فالمثبتة لابد من ادخال التأكيد عليها فمثال الاسمية والله ان زيدا لقائم أو والله لزيد قائم ومثال الفعلية والله لأفعلن كذا أو والله لقام فلان والمنفية لا يدخل عليها التأكيد لأن التأكيد للاثبات وأما النفى فلازالته وبينهما تناف .. بقى أن نقول ان البصريين والكوفيين اختلفوا فى الاكتفاء بتأكيد واحد فأجازه الكوفيون ومنعه البصريون لكنهم اتفقوا على أن التأكيد لابد منه فعلى هذا كانت الجملة المصدر بها مقال الأستاذ خطأ لغويا غير مسوغ فليقض ما هو قاض .

وان شئت فاقرأ فى كتاب الامام الحجة سيبويه (ج ١ ص ٤٥٤) قوله : « اذا حلفت على فعل غير منفى لم يقع لزمته اللام ولزمت اللام النون الخفيفة أو الثقيلة فى آخر الكلمة وذلك قولك والله لأفعلن وان كان الفعل قد وقع وحلفت عليه لم تزد على اللام وذلك قوله والله لفعلت وسمعناه فالنون لا تدخل

على فعل قد وقع وانما تدخل على غير الواجب واذا حلفت على فعل منفى لم تغيره عن حاله التى كان عليها قبل أن تحلف وذلك قولك والله لا أفعل .

وقال الشيخ الرضى (جـ ٢ ص ٣١٥) : ان كان جواب القسم فعلا مضارعا مثبتا فتصديره باللام وكسعه بالنون نحو والله لأضربن الا أن تدخل اللام على حرف التنفيس نحو والله لسوف أخرج فلا يأتى بالنون اكتفاءً باحدى علامتى الاستقبال عن الأخرى وقل خلو المضارع عن اللام استغناءً بالنون .

ولا يجوز عند البصريين الاكتفاء باللام ويحكى عن أبى على الفارسى تجويز التعاقب بين اللام والنون قال الشاعر :

تألى ابن أوس حلفة ليردّنى
الى نسوة كأنهن مفائد

وان كان الفعل المضارع المجاب به عن القسم حالا فيجب الاكتفاء باللام ولا يؤتى بالنون لأنها علامة الاستقبال وخالف ذلك المبرد فإن المقسم عليه لا يكون عنده حالا .

وقال الرضى فى التعليل انما أجيب القسم بالتأكيدين معا أو التأكيد المفرد لأن التأكيد مفيد لما جاء لأجله القسم .

قال أبو تراب وهذا الذى ذكره الشيخ الرضى وسيبويه قبله : ذكره أيضاً السيرافى والمبرد والزجاجى وابن مالك وابن الحاجب وابن هشام وابن عقيل والسيوطى وغيرهم من النحاة .

ولولا مخافة الاطالة لذكرنا أقوالهم ولجمعنا جزءا فى مبحث القسم وأحواله وشواهد النحويين عليها ولكن خشينا السأم من القراء فقبضنا العنان وفيما ذكرناه كفاية ولو استزاد أحد لزدنا .

الانتصار لعارف قياسة

قال **أبو تراب** : وقع نظرى على ما كتبه النقيدان فى الرائد منتقدا شعر الدكتور الفاضل عارف قياسة ووجدته يعترض على قول الدكتور :

ففـؤادى يحـوم حولـه كالظل ويشتـار من رحيق جناها

قال النقيدان ان كلمة حوله فى البيت ثقيلة ويمكن الاستغناء عنها وبدونها يستقيم البيت وصحة البيت عند النقيدان كما ذكر بأن يقال :

ففـؤادى يحـوم كالظل ويشتـار من رحيق جناها

قال **ابو تراب** : ويظهر من كلام النقيدان هذا انه لاحظ له من علم العروض فى قليل او كثير لأن البيت مستقيم العروض فى قول الشاعر الدكتور ولا ثقل فى كلمة حوله لانه لا يستقيم الوزن بدونها فاذا حذفناها كما يريد النقيدان عاد البيت مبتورا ناقص بعض التفعيلتين الثانية والثالثة ـ من الشطر الاول واى امرىء يرضى بهذا اللهم الا من لا خلاق له فى العروض وليس فى قول الدكتور الا تشعيث تفعيلة العروض والتشعيث مما يدخل هذا البحر واكثر ما يكون فى الضرب كما سنبين . وكيف يريد النقيدان حذف بعض التفعيلة الثانية وهو المقطع الذى يسمى الوتد المجموع وبعض التفعيلة الثالثة وهو السبب الخفيف وفى ذلك نقص وبتر وانكسار لوزن البيت لانه حذف منه النقيدان الوتد المجموع والسبب الخفيف وهذا ليس من الزحاف ولا من العلل الجائزة بل هو تشويه للبيت وتطفيف وخسر لصاحبه ولو تأمل النقيدان أو درس العروض لعرف انه بحذف كلمة (حوله) من البيت حذف المقطع الثانى من التفيعلة الثانية والمقطع الاول من التفعيلة الثالثة من الشطر الأول مما يؤدى الى كسر البيت وهدم وزنه بحيث لا يستقيم ابدا اذ

اوجد فيه النقيدان حذفا مشينا وبترا قبيحا لا يليق بحال من الاحوال وكيف يجوز وهو مفض الى ذكر المقطع الأول من التفعيلة الثانية وحذف المقطع الثانى وحذف المقطع الأول من التفعيلة الثالثة وذكر الثانى وما هذا التصنيع الا العبث بالعروض والقبح فى الوزن الذى يخرجه عن حقيقته واصالته . أما شرح ذلك فنجمله كما يلى فاليك علم ذلك فان وعيته هديت والا فهو الضلال حمانا الله من الزلل والخطل . قال ابو تراب وهذا البيت للدكتور الشاعر عارف قياسه من قصيدة هى من البحر الخفيف واصل تفاعيله :

فاعلاتــن مســتفعلن فاعلاتن فاعلاتــن مســتفعلن فاعلاتن

وقد تقرر فى علم العروض ان (فاعلاتن) تصير (فعلاتن) بتحريك العين حيثما وقعت فى هذا البحر وكذلك (مستفعلن) تصير (متفعلن) أين وقعت فيه ويدخل هذا البحر من العلل الجارية مجرى الزحاف (التشعيث) وهو الذى دخل فى تفعيلة العروض وهى التفعيلة الاخيرة من الشطر الاول فكانت (مفعولن) بدل فاعلاتن وفاعلاتن هو الضرب وهو العروض فى بحر قصيدة الدكتور وكان التشعيث يلابس هذا البحر وهو حذف أول الوتد المجموع مثل (فاعلاتن) تحذف عينها فتصير (فاعلاتن) ثم تحول الى (مفعولن) مثاله :

ايهـــا الرائـــح المجـــد ابتكارا قد قضى من تهامـــة الأوطارا

ووزن هذا البيت :

فاعلاتــن متفعلن فاعلاتن فاعلاتــن متفعلن مفعولن

وهذا البحر نوعان تام ومجزوء وله خمسة اضرب وثلاث اعاريض فالعروض الاولى من التام صحيحة ولها ضربان صحيح ومحذوف والعروض الثانية من التام محذوفة وضربها ايضا محذوف والعروض الثالثة مجزوءة صحيحة ولها ضربان مجزوء ومجزوء مقصور مخبون فهذه هى الاعاريض الثلاث والاضرب الخمسة فالعروض الاولى وهى التامة الصحيحة ضربها الاول الصحيح هو :

فاعلاتـــن مســـتفعلن فاعلاتن فاعلاتـــن مســـتفعلن فاعلاتن

ولا باس من صيرورة فاعلاتن الى فعلاتن ولا من صيرورة مستفعلن الى متفعلن كما قدمنا ومثاله من هذه العروض ومن هذا الضرب قول الشيباني :

يا هلالا يدعـــى ابـــوه هلالا جل باريك فى الـــورى وتعالى

فان وزن هذا البيت :

فاعلاتـــن مســـتفعلن فعلاتن فاعلاتـــن متفعلن فعلاتن

والضرب الثاني لهذه العروض محذوف تصير فيه فاعلاتن الى فاعلن لان الحذف هو اسقاط السبب الخفيف من آخر الجزء وفاعلن هذه تصير فعلن ايضا الساكن وذلك كما تقول : (فاعلاتن مستفعلن فاعلن) أو فعلن والعروض الثانية التامة محذوفة تصير فيها فاعلاتن فاعلن وضربها مثلها وذلك كأن تقول :

فاعلاتـــن مســـتفعلن فاعلن فاعلاتـــن مســـتفعلن فاعلن

والعروض الثالثة هى المجزوء الصحيحة وضربها الاول مثلها وذلك كأن تقول :

فاعلاتـــن مستفعلن فاعلاتـــن مستفعلن

والضرب الثاني لهذه العروض مقصور مخبون تصير فيه مستفعلن الى فعولن بالتحويل لان الخبن حذف الثاني الساكن والقصر حذف ساكن السبب الخفيف واسكان متحركه فلما اجتمعا فى مستفعلن صارت متفعل فحولت الى فعولن ومثاله

كل خطـــب ان لم تكو نوا غضبتـــم يسير

ووزنه :

فاعلاتـــن مستفعلن فاعلاتـــن فعولن

وخلاصة القول ان بيت الدكتور عارف قياسة من قصيدة من البحر الخفيف من العروض الأولى التامة الصحيحة من الضرب الاول وأصل وزن ذلك :

فاعلاتـــن مســـتفعلن فاعلاتن فاعلاتـــن مســـتفعلن فاعلاتن

كما تقدم وقد اسلفنا القول بأن هذا البحر يدخله التشعيث وهو حذف اول الوتد

المجموع فتصير به فاعلاتن بالتحويل الى مفعولن وبذلك جاء البيت الذى اعترض عليه النقيدان ولم يدر وزنه ولابحره ولو علم لما تجاسر على القول الذى سطره فانظر وزن البيت الذى نصه :

ففــؤادى يحــوم حولــه كالظل ويشتــار من رحيق جناها

فان تقطيعه كما يلى :

ففؤادى ، يحوم حوله كالظل ل ويشتا ر من رحى ، ق جناها

فعلاتن ، متفعلن ، مفعولن فعلاتن ، متفعلن ، فعلاتن

وقد دخل فى هذا البيت كما رأيت ، من وزنه وتقطيعه ـ ما يدخل هذا البحر من التشعيث فلا غبار عليه من جهة العروض ولا ثقل ولا كسر وانما الكسر والثقل فى الوضع الذى غيره اليه النقيدان من حذف كلمة حوله وقال ان البيت يستقيم بدونها وهو لايستقيم بدونها البتة لما قد اوضحنا . بقى ان ننبه هنا على أن الهاء فى حولـه ساكنـة ضرورة لتصحيح الوزن ولمطابقة التفعيلة وهى مفعولن المحولة من فاعلاتن بالتشعيث . كقول القائل :

وأشرب الماء ما بــى نحــوه ظمأ الا لأن عيونَهْ ، سال واديها

قال ابو تراب : واذا كره عروضى ان يدخل التشعيث فى التفعيلة الاخيرة من الشطر الاول وهو لايدخل غالبا الا فى الضرب من الشطر الثانى قيل له هذا باطل تدحضه الشواهد المتعددة فالعروض والضرب تفعيلتهما واحدة فى التام الصحيح وما دخل ذاك يدخل هذا . ولك أن تصحح هذه التفعيلة بتحريك الهاء فى حوله بالضمة دون السكون والضمة فى هاء الضمير لغة قوم من العرب وهى بدون مد ضرورة شعرية فاذا فعلت هذا حصل لك (فعلاتن) بدل (مفعولن) فلا تشعيث هناك حينئذ فان كلمة(له كالظل)اذا سكنت هاؤها كان وزنها (مفعولن) وهو تشعيث واقع فى الشعر العربى أما اذا ضممت

الهاء بدون مد فان الوزن (فعلاتن) وهو صحيح لا تشعيث فيه لا فى العروض ولا فى الضرب فليتنبه

أما بعد فبيت الدكتور الفاضل الشاعر عارف قياسة على كل حال صحيح مستقيم بكلمة (حوله) الكائنة فيه وأما حذفها كما يريد النقيدان فمما يخل بالوزن ويذهب بجزء من تفعيلتين اثنتين تفعيلة العروض وتفعيلة الحشو على غير قياس وعلى غير سماع ولا قاعدة فى العروض لهذا الحذف ولاضابط ولاهو من الزحاف ولامن العلل الجارية مجراه ولا من علل النقص المنصوص عليها فى كتب علم العروض بل هو اختراع واصطناع على غير منوال يمجه الذوق ونبا عنه ولا مثال له فى علوم العربية ومن ادعاه فقد اتى شيئا ادّا .

وبذلك علمت بطلان ما زعم النقيدان وسقوط ما ذهب اليه وصح لديك البيت كما قال الدكتور وبطل وسقط ما قاله النقيدان وبالله المستعان .

* * *

نقد كلام العروضى

قال ابو تراب : ظهر فى هذه الأيام عروضى يدعى العلم بهذا الفن وهو لايعرف الخليل أهو أزدرى أم أزدى ، ولايعرف الضرب الأحَذّ ويسميه الضرب الأخذ قيل لى اقرأ ماكتب وصحح له خطأه فرأيت كلامه فاذا هو يزعم ان الخليل لم يزد احد على قواعده قلت : ان الأخفش زاد عليه .. وأوهام هذا العروضى كثيرة نقيد فيما يلى بعضها مع الاستدراك .

وقد ذكر للمديد عروضين صحيحة ومحذوفة ، ولم يذكر الثالثة وهى المخبونة وقال ان له ستة اضرب ولم يذكر منها الا أربعة ، والخامس والسادس وهما ضربا العروض الثالثة مخبون وأبتر أهملهما ، وجعل فاعلن عوض فاعلا والصواب عوض فاعلاتن ، وخلط بين العروض والضرب .

وذكر ان الضرب المذيل للبسيط مستعلان والصواب مستفعلان ولم يذكر من اى نقل ضرب العروض الثالثة من البسيط وهو منقول من مستفعلن ، وأهمل مخلع البسيط واخال انه لم يعرفه ، وهو خبن مفعولن فى العروض والضرب الى فعولن ، وقال فى الوافر ان ضربه مفاعل يعوض عنها فعولن ، قلت وهذا خطأ فان الأصل مفاعلتن ولم يرد قط صحيحا ، بل لابد من قطف .

ولم يذكر الضربين الآخرين للوافر وهما الضرب الصحيح والضرب المعصوب مفاعيلن ، وتخبط فى أضرب الكامل تخبطا أعمى فقال : العروض الأولى صحيحة ولها ثلاثة أضرب ولم يذكرها ، ثم قال : العروض الثانية مقطوعة اى متفاعلن .

قال ابو تراب وهذا جهل عظيم فان المقطوع هو الضرب وليس هو متفاعلن بل تصير متفاعلن الى متفاعل وتحول الى فعلاتن ، وقال : والثالث مضمر ، ولم يوضح انه عروض ام ضرب ، والحقيقة انه ضرب ولم يذكر انه من اى شيء نقل ، ومن المعلوم انه نقل من متفاعلن الى متفاوحول الى فعلن .

وقال فى العروض الثانية انها منقولة عن متفاوالصواب انها من متفاعلن . ثم جعل الضرب الأول والثانى من العروض الثانية واحدا وهو غير ذلك فالأول فعلن بالتحريك والثانى فعلن ساكنة العين ، ولم يذكر بقية أضرب الكامل وهى كلها تسعة أضرب . فأما الأضرب التى لم يذكر فهى الصحيح والمجزوء ، ثم لم يذكر تفاعيل الرجز وهذا نقص .

وقال : ان البحر السريع له خمسة اضرب وهذا خطأ بل له ستة ولم يذكر تفاعيل اضربها الثلاثة وهى مطوية مكشوفة ومطوية موقوفة وأصلم . وقال : العروض الثانية مكشوفة ايضا قال ابوتراب : وهذا جهل والحق انها مخبونة مكشوفة . وقال : لها ضربان ولم يذكرهما والصواب ان لها ضربا واحدا تصير فيهما مفعولات بالتحويل الى فعلن بتحريك العين ، ولم يذكر عروضين أخريين لهذا البحر ولا الضرب السادس له .

قال أبوتراب : فأما العروضان فهما مشطورة موقوفة ومشطورة مكشوفة ، وأما الضرب فالمشطور الموقوف ايضا . وقال فى المنسرح له ثلاثة أضرب وهنا غلط فى جعل الضرب المقطوع ضربا ثانيا بل هو ضرب للعروض الأولى وأما الضربان الآخران فهما المنهوك والمنهوك المكشوف ، وقد جعل الضرب الثالث مطويا كالأول وهذا خطأ .

وقال : الخفيف له ثلاثة أضرب وهذا أيضا خطأ بل له خمسة أضرب وانما الثلاث هى الأعاريض ، وقال : العروض الأولى التشعيث قال أبوتراب : ولا ادرى كيف هذا الجهل العظيم فانه ليس هناك عروض اسمها التشعيث وانما التشعيث من العلل التى تدخل هذا البحر ، وعروضه الأولى صحيحة ولها ضربان صحيح ومحذوف ، ولم يذكر العروض الثالثة وهى مجزوءة صحيحة ، ولها ضربان مجزوء صحيح ومجزوء مقصور مخبون .

قال ابوتراب : ويستعمل الكاتب كلمة (عروضة) بدل عروض وهو خطأ فاضح ، وكلمة (مذال) بدل مذيل ، ويخلط بين الأضرب والأعاريض ولم يقل فى شرح مفعولن انه من علل النقص ، ويسمى الكشف اسقاط السابع المتحرك ، ولم يقل فى معنى مستفعلن انه من الزحاف يدخله الخبل بحذف الثانى والرابع الساكنين ، ومن علل الزيادة يدخله التذييل بزيادة حرف ساكن على ماآخره وتد مجموع ولم يقل فى فاعلاتن انه يدخله الخبن من الزحاف فيصير فعلاتن والتذييل فيصير فاعلان والقطع فيصير فعلن ولم يقل فى مفاعلين انها يدخلها الحذف فتصير فعولن .

قال ابوتراب : وكان ينبغى من كان هذا مبلغ علمه بالعروض ان لايتصدى بالفتوى والتأليف والكتابة ، يخلط فيها هذا الخلط ولقد قيدنا هذه لمن كان يقرأ ماكنت أكتب من علمى الفراهيدى بجريدة المدينة .

وبالله التوفيق والمعونة .

***

توهيم العطار (٣)

قال أبو تراب : تعقبنا الأستاذ احمد عبد الغفور العطار وقد فسر قول زهير في صفة الظليم :

أصك مصلم الأذنين أجنا
له بالسى تنوم وآء

بأن أجنى بمعنى ادرك الثمر وجعله صيغة الماضى من الجنى وقلنا ان هذا خطأ لأن أجنأ أفعل تفضيل وهو بمعنى الميل فى الظهر وبذلك يوصف الظليم وخفف الهمز هنا تسهيلا ونحن الذين دللنا الأستاذ على قول الشنتمرى فراح به طربا ولم يوافقه عليه احد فان العلماء اللغويين انشدوا البيت فى المهموز وفسروه بما فسرنا :

ورد علينا الأستاذ بأن أجنى كتب فى اكثر نسخ الصحاح بالياء وهذا يدل على انه من الجنى فلو كان من الجنأ لكتب بالألف المسهلة من الهمزة .

وقد غاب عن علم الأستاذ ان كتابة (أجنى) بالياء لا ينهض بها الاستدلال على كونه من الجنى لأن العلماء نصوا على ان الياء منقلبة هنا من الهمز فسواء أكتب (أجنى) بالياء أم (أجنأ) بالألف فهو فى كلتا الحالتين مهموز الأصل من الجنأ الذى هو من صفات الظلمان وهو بمعنى الميل فى الظهر وهو ايضا افعل تفضيل لا صيغة ماضى الفعل والهمزة تسهل الى الياء كما تسهل الى

الألف ويسمى ابدالا وتارة تحذف وكتابة هذه الكلمة بالياء هى التى جعلت الأستاذ يتوهم ما توهم من كون الكلمة من الجنى ومن تمكن من علم الصرف فقل ان يغلط هذا الغلط ونسأل الله السلامة .

واليك ايها الأستاذ ادلة ما ذهبنا اليه قال الزمخشرى فى اساس البلاغة ص ٦٥ الظليم اجنأ وقال المجد فى القاموس ج ٤ ص ٣١٥ رجل أجنى بين الجنأ لغة فى المهموز والجنواء الجنآء . وقال السيوطى فى الدر النثير ج ١ ص ١١٥ قيل اصله الهمز وقال ابن منظور فى لسان العرب ج ١ ص ٤٣ ظليم أجنأ وأنشد :

(أصك مصلم الأذنين أجنأ) وهذا البيت هو نفسه الذى زعم فيه الأستاذ العطار ما زعم ولكن يبطله انشاد العلماء هذا البيت فى الجنأ المهموز وجعل الأجنأ افعل التفضيل فاذا كتبوه بالياء قالوا انها لغة فى المهموز ونصوا على ذلك فهو على كل حال بمعنى الميل والقعس من صفات الظلمان .

وقد نص على ترك همزه ابن دريد فى الجمهرة ج ٣ ص ٢٢٩ قائلا والجنأ مهموز ورجل اجنأ وقد ترك همزه .

وقال ابن منظور فى اللسان ج ١٨ ص ١٧٠ ورجل أجنى كأجنأ بين الجنى والأنثى جنوى والهمز اعرف قال والأصل فيه الهمزة من جنأ يجنأ ثم خفف وهو لغة فى المهموز وقال ابن فارس فى المقاييس الجيم والنون والهمز اصل واحد . وقال الزبيدى فى تاج العروس ج ١٠ ص ٧٨ رجل أجنى بين الجنأ لغة فى المهموز قال وشاهد الأجنى بغير همز (اصك مصلم الأذنين أجنى) ثم انشد هذا البيت نفسه فى ج ١٠ ص ٥٣ قائلا وظليم أجنأ ونعامة جنآء ومن حذف

الهمزة قال جنواء وأنشد (أصك مصلم الأذنين أجنا).

ونقل ابن سيده فى المخصص ج ٢ ص ١٩ قول الخليل فى كتاب العين الجنا غير مهموز كالجنأ وقد جنى ورجل أجنى وامرأة جنواء .

وقال ابن القطاع فى كتاب الأفعال ج ١ ص ١٨١ من المهموز أجنأ وأجنى بلا همز مثله وقال ابن الأثير فى النهاية ج ١ ص ٢١٥ الأصل فيه الهمز ثم خفف وهو لغة .

وقد تبين بهذا كله ان كتابة أجنأ بالياء ليست تجعله من الجنى جنى الثمر بل هو مهموز على كل حال وقلب الهمزة فيه ياء لغة وتقلب واوا ايضا والمعنى فى كل ذلك هو الميل فى الظهر وهو من صفات النعائم ولكن الأستاذ غاب عن علمه كل هذا فجعل (أجنى) من الجنى لما رأى من كتابته بالياء ولم يدر أن الأصل فى هذه الياء هو الهمز فمنهم من كتب (أجنا) بالألف تخفيفا للهمزة ومنهم من كتبه بالياء كلغة قوم وقد نصوا على ذلك فاذا علمت هذا ظهر لك سقوط احتجاج الأستاذ العطار بكتابته بالياء على كونه يائيا .

ولا يمكن ان يدعى انسان هذا بعد ان تقرر فى كتب الصرف ان الهمزة تبدل ياء وان شئت فاقرأ قول ابن الحاجب فى الشافية ص ١٧٢ قال تخفيف الهمزة يجمعه الابدال والحذف وبين بين وقد ذكر الرضى قلبها ياء وواوا من باب الابدال من الشرح وثمة اقوال للصرفيين والقراء تنص على صحة ذلك ولولا مخافة الاطالة لنقلناها ومن شاء فليرجع الى ما اشرنا اليه .

قال ابن الحاجب واما البدل فانهم كتبوا كل الف رابعة فصاعدا فى اسم او فعل ياء ومنهم من يكتب الباب كله بالألف والمختار كتبه بالياء ان كان منونا

وهو قياس المبرد والمازنى يكتب بالألف والمختار كتبه بالياء ، وشرح ذلك الرضى بما لا مزيد عليه فلينظر .

وفيه ان الهمزة اذا لانت كانت الفا كالجنا والجنأ فاذا زيد على الكلمة كأن كانت رباعية كتبت تلك الألف ياء كأجنى واصله أجنأ .

ويعلم كل صرفى ان باب البدل واسع والأمالة تقع بالياء وبالواو كما فى نشوت لغة فى نشأت وقريت فى قرأت وقوم من العرب ابدلوا الهمز فى مبتدأ الكلام بغيرها فكون (أجنى) مكتوبا بالياء ليس دليلا على اصالتها فيه بل هى مبدلة من الهمز كما تقدم والمعنى هو من الجنأ لا من الجنى كما توهم فى ذلك من توهم والهمزة فى آخر الكلام يقع فيها الابدال اكثر من وقوعه اذا كانت غير ذلك .

***

الاستدراك على العطار (٤)

قال أبو تراب : فى العدد ١٦٧٦ من جريدة « البلاد السعودية » نشر مقال للأستاذ أحمد عبدالغفور عطار ، فى رده على بعض الأدباء حول ذكر الامام ابن دريد اللغوى وهل يعرف المذكور ، بكنية أبى بكر ؟ أم لا !!

وأنكر الأستاذ أن يكون الامام ابن دريد ، عرف بالكنية قط ، ونفى هذا بقوله « كلا وألف كلا » وقال (ولو كان ابن دريد معروفاً بكنيته أبى بكر ، لما جهل السيوطى ذلك ، فى كتابه (بغية الوعاة فى باب الكنى) ولذكره بكنيته .

وهذا عند الأستاذ العطار بناء على أن المشاهير ، من أصحاب هذه الكنية كثرة كاثرة ، فى ميدان العربية ، فلايمكن عنده أن يفرق بين الشخصيات التى تكنى بأبى بكر إذا أطلقت الكنية ، اطلاقاً ، لوجود المشتبه . فلذلك قال العطار (إذا أطلق أبو بكر وحده فى المجال اللغوى فانه لا ينطلق الى ابـن دريـد وسيبقى غفلاً منكوراً ، حتى يعرف)

قال أبو تراب : والذى ذكره العطار ، خطأ ، لأن حجته فى ذلك ترتكز على أن ابن دريد ، لو عرف بالكنية لذكره السيوطى ، فى الكنى ، وهذا ليس بشىء ، فكم من مشاهير بالكنى يذكرون فى الأسماء فى كتب التراجم لإشتهارهم بكل ذلك ، فكذلك ابن دريد ، اشتهر بالاسم ، والكنية فذكر فى كليهما .

برهان ذلك : ان الحافظ ابن حجر العسقلانى ذكر ابن دريد فى الكنى من كتابه « لسان الميزان » (انظر ج ٦ ص ٣٥١ الكنى) ولا مرية أن الحافظ أكبر

من السيوطى علماً وحفظاً وضبطاً وإتقاناً ، وهو مع ذلك حجة ، فبطل بهذا النقل التاريخى الكبير قول الأستاذ العطار .

وأضيف الى ذلك دليلاً آخر لاثبات اشتهار ابن دريد بكنيته أبى بكر ، كما ذكره ابن فارس فى المقاييس فى مادة (ع ر ث) ج ٤ ص ٣٠٢ قال : (قال أبو بكر) والمنقول بعد هذه الكلمة كلام من كتاب الجمهرة لابن دريد (ج ٢ ص ٣٩) فلاشك أن ابن فارس لا يريد بأبى بكر إلا ابن دريد فهذا نص صريح فى اشتهاره بالكنية كاشتهاره بالاسم فى أوساط النحويين .

وأما إذا لم يميزه الأستاذ العطار فهذا ليس ذنب المؤرخين والعلماء فانهم كانوا على معرفة تامة ، من المؤتلف والمتفق والمشتبه من الأسماء على أنه لم يكن ليعجزهم عن التمييز فى علم أسماء الرجال ، اتحاد الأسماء ولو بوحدة الزمن وان علم أسماء الرجال فن عظيم الخطر خلق الله له رجالاً أولى قوة ومنزلة مشرفة ، لاتضرهم فى التمييز ، الكثرة الكاثرة التى اشتهرت بأبى بكر فى التراجم وان اتحدت أسماؤها ، فانه لابد من اتحاد الأسماء ، والكنى ، والألقاب ، والنسب ، والتمييز فيها مخبر للرجال .

ولا أدرى كيف يفعل الأستاذ العطار إذا قرأ كتب الحديث وسمع أسماء خلق كثيرين من رواته ، وفيهم مئات المتحدين فى الأسماء والأزمان ، وآخرون متفقون فى الأسامى ، مع اتفاقهم فى الشيوخ أيضاً .

هذا ونجد نقولاً كثيرة غير ما قدمنا فى كتب التاريخ ، تثبت اشتهار ابن دريد بالكنية ، كاشتهاره بالاسم .

منها نقل الخطيب البغدادى فى التاريخ (ج ٢ ص ١٩٥) عن أبى الحسن

قال وكان أبو بكر ـ (يريد ابن دريد) .

ومنها نقل أبى العباس الميكالى قال املى على أبو بكر كتاب الجمهرة من أوله الى آخره حفظاً (ذكره ياقوت فى المعجم ج ١٨ ص ١٣٤) وفى تاريخ الخطيب ومعجم ياقوت نقول أخرى كذلك تركناها للرجوع اليها عند البحث .

* * *

الاستدراك على ضياء الدين رجب (٣)

قال أبو تراب : هذا الشيخ ضياء الدين رجب ولاجة خراجة ، يجمع « القطوف » متخيراً . فاذا نضدهن على الخوان خرج منها متحيراً . ولعل صديقه الخليط يعلل ذلك باعتماده على الذاكرة دونما نقب عن الحوايا ، كتب لنا بالأمس الدابر ما محصله : ان عائشة رضى الله عنها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات مرة يخصف نعله ، وقد تفصد عرقا فتمثلت بقول الشاعر :

فلو سمعوا فى مصر أوصاف خده لما بذلوا فى سور يوسف من نقد
لوامى زليخا لو رأين جبينه لآثرن بالقطع القلوب على الأيدى

وعزا النقل الى العقاد وقال : عليه تقع عهدة الرواية ، فكأنه خرج منها كما دخل ، وتلك عادة أديب العلماء كما قلت .

قال أبو تراب : أما معرفة أم المؤمنين بالشعر فلا مرية فيها فقد ذكر الحافظ ابن عبد البر وغيره أنها كانت تحفظ أحد عشر ألف بيت للبيد فقط ، فما بالك بحفظها لغيره ، والحفظ عند العرب قبل الكتابة والتدوين يضرب به المثل . وفى الروايات :

ان الرسول ربما قال لها : « أبياتك » ؟ فتنشده :

ارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نما
يجزيك أو يثنى عليك وان من أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

وأما الرواية التى نقلها الشيخ فليس فيها البيتان اللذان أوردهما ـ ولا يخفى

على الأستاذ التكلامة ، القاضي الفقيه ، المزبر بالشناتر ماراق وشاق ـ مسحة الصنعة عليهما ممّا لا عهد به للسان الجاهليين ولا للإسلاميين الأول الا ترى كلمة « أوصاف » وهذا الجمع لم تكن العرب لتستعمله ، ثم حبكة « البديع » فى ايثار القلوب بالقطع على الأيدى ـ وهذه صنعة وأيم رب الكعبة . وقد ذكر البيتين الديار بكرى فى تاريخ الخميس .

قال أبو تراب : والذى أحفظه من الرواية ان عائشة رضى الله عنها تمثلت حينذاك بقول الشاعر .. وقالت كأنك أنت المعنى به :

ومبرىء من كل غبّر حيضة ومنزه عن كل داء معضل
فاذا رأيت الى أسرة وجهه يرقت كبرق العارض المتهلل

وهذا اليق اذا صح ، فالشعر ينم على القدمة .

ثم رأيت الشيخ اللقن يعرج فى عدد تال من « عكاظ » على اختلاج الأعضاء ، وقد قرأ كتاب ابن الهيثم . وأحب ان يستقصى هذا البحث فى « يوميات » مستفيضة يقارن فيها بين النظريات الحديثة والمعلومات القديمة ، ولو استعار منى كتاب الاختلاج للسيوطى لفعلت وكأنه منسوب اليه .

وكفكفنا نسيلة القلم حتى نقرأ مايكتب الشيخ ، وانما قدمنا هذه المقدمة لنقول : ان الرواية فى خدر الرجل وذكر صاحبه عنده أحب الخلق اليه ليست فى اذكار النووى فحسب بل هى أيضاً فى كلام ابن تيمية فى الكلم الطيب ، ولم يكن النووى إلا ناقلاً عن ابن السنى ، وكتاب ابن السنى مطبوع بحيدر آباد . وهو المسمى بـ « عمل اليوم والليلة » وقد رأيت أنه بوب لذلك بابا فى كتابه فانظروه .

وأصل ذلك فى « الأدب المفرد » للامام البخارى ج ٢ ص ٤٢٨ فى « باب

مايقول إذا خدرت رجله » . قال : حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن أبى اسحاق عن عبد الرحمن بن سعد قال : خدرت رجل ابن عمر فقال له رجل : أذكر أحب الناس اليك . فذكر النبى صلى الله عليه وسلم .

وذكر ابن تيمية رحمه الله رواية الهيثم بن حنش التى أوردها النووى ونقلها الشيخ ضياء الدين وهى قصة ابن عمر رضى الله عنهما ، وقد أورد شيخ الاسلام عن مجاهد أيضاً قال : خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضى الله عنهما فقال له أذكر أحب الناس اليك الخ (انظر ص ٧٣ الكلم الطيب) .

* * *

وهم الشيخ حامد الفقي

قال أبو تراب :

طبع بمصر فى سنة ٤٦ هـ و ٢٧ م بالمطبعة السلفية « كتاب تيسير الوصول الى جامع الأصول » فى الحديث تأليف الشيخ ابن الدبيع الشيبابى ، بتحقيق وتعليق وتصحيح رئيس أنصار السنة الشيخ محمد حامد الفقى أحد علماء الأزهر وله تقدمة للكتاب المذكور ومذيلة معه ، وتعليقاته عليه مفيدة الى حد ما .

ولقد وقفت عليه من منذ عهد بعيد ، فرأيت فيه اثناء مطالعتى بعض اخطاء وهفوات وقع فيها صاحب التعليق ، وكنت قيدتها على نسختى آنذاك للاستذكار والتنبيه .

ولكنى استحضر من تلك الاستدراكات انه ورد فى الحديث ذكر وفد بزاخة (انظر ج ١ ص ٩٢ كتاب النهاية) والوفد قبيلة مشهورة من قبائل العرب (وبزاخة) بضم الباء وفتح الزاى والتخفيف ـ كما ضبطه علماء اللغة موضع معروف .

قال أبو عبيد : هى رملة من وراء النباج ، وقال الاصمعى ماء لطىء بارض نجد . وقال أبو عمر الشيبابى ماء لبنى اسد .

وهذا الموضع هو الذى كانت به الوقعة العظيمة فى أيام ابى بكر الصديق سنة ١١ هـ مع طلحة ابن خويلد الاسدى وكان قد تنبأ . واجتمع اليه اسد وغطفان ، فقوى امره بعد وفاة النبى ﷺ حتى صار فى سبعمائة من بنى فزارة فقاتله خالد

قائدا على الجيش الاسلامى فاستلحمت سيوف المسلمين فى العدو وهرب طلحة ، ثم انه اسلم بعد ذلك كما ذكره الطبرى فى التاريخ ج ٣ ص ٢٢٧ .

وجاء ذكر بزاخة فى شعر القعقاع بن عمرو يذكر اليوم الذى كان بها حيث قال :

ويوما على ماء البزاخة خالد
أثار بها فى هبوة الموت عثيرا

وقال ابن مقروم :

بنو الحرب يوما اذ استلأموا
حسبتهم فى الحديد القروما
فدى ببزاخة اهلى لهم
اذا ملأوا بالجموع الحريما

وقال جحدر المحرزى :

يا دار بين بزاخة وكثيبها
فلوى غبير سهلها أولو بها
سقت الصبا اطلالها متغدقا
ويهَل عارضها بلبس جيوبها
ايام ارعى العين فى زهر الصبا
وثمار جنات الرياض وطيبها

ولقد خفى هذا كله على الشيخ الفقى فظن ان الباء فى بزاخه للجر – وهى من اصل الكلمة – فذهب ينقب عن معنى الزاخة فى معاجم اللغة حتى عثر عليه

فقال ـ جاء وفد بزاخّةٍ اى بشدة وضبط الزاخة مشدودة .

والعجب ان هذا الكتاب متداول بين ايدى اهل العلم ، ولم يلتفت لذلك احد منهم للتعقيب والاستدراك وكم فى الدنيا من عجب .

وانظر لمراجعة تحقيق الكلمة معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ١٦١) ولسان العرب (ج ٣ ص ٤٨٦) وتاج العروس (ج ٢ ص ٢٥٣) .

* * *

التعقيب على الخطيب

قال **أبو تراب** : رأيت منذ مدة ـ كتاباً بعنوان (كيف كنا) من وضع الأستاذ عبدالله الخطيب ، وبتقدمة الفاضل عمر عبدالجبار .

والكتاب من حيث ذاته يعطينا صورة مجلوة عن ماضى جيلنا الحاضر ، وما كان منطوياً عليه من عادات ، وتقاليد فى الاجتماعيات وأحوال البيئات ـ وهذا مالست الآن بصدد البحث عنه .

وانما أريد استدراك زلة وقع فيها صاحب المقدمة ، وهى من نوع مالا يجب السكوت عليه لأنها مما يمس الاعتقاد ، ويصرف معنى القرآن الكريم عن الحقيقة .

قال الأستاذ فى مقدمة الكتاب ذاكراً إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ـ (وإبراهيم الذى آمن بربه بعد طول شك) .

وهذه لفظة ترمى الى معنى سيء كبير ، وتخول لاعداء الإسلام الطعن على الملة الحنيفية الابراهيمية من وجوه عديدة .

وأنا أدرك مدى خطورة هذه الكلمة لأنى قد شاهدت مناظرات الملل الباطلة ، والأديان الفاسدة فى بلاد مختلفة فى مؤتمرات أجلة العلماء القائمين بالمناضلة عن الإسلام والدفاع عن عزه وعلوه وأعرف مايرد علينا من مطاعن وشبهات أولئك القوم .

على أنه لم يكن إبراهيم عليه السلام آمن قطعا بعد أى ارتياب أو شبهة فضلاً عن أن يكون قد آمن بعد طول شك .

وأن قصته فى رؤيته للنجم والقمر وقوله هذا ربى (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال لئن لم يهدنى ربى) الخ ان كان فهم منها الأستاذ تشكك الخليل إبراهيم عليه السلام فان الآية لاتدل على ذلك وليست هى فى شىء مما ظن الأستاذ .

وانما هذا نوع من البيان التقريرى اختاره الخليل بحسب ما اقتضته حكمة التبليغ لاقناع قومه بتوحيد البارىء وأنه هو وحده مستوجب العبادة الأزلى دون سواه وإلا فان إبراهيم لمؤمن من حين ولادته بجبل نون ومناظرته فى التوحيد مع أمه وهو رضيع تدل دلالة صريحة على ذلك .

ومن تأمل مضامين القرآن وجد أن إبراهيم عليه السلام له ثلاث مناظرات فى التوحيد الأولى مع أبيه حيث قال له (ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيئاً) .

والثانية : مع قومه وهى التى تقدمت الاشارة اليها بالبيان التقريرى وهو نوع من الإقناع وإقامة الحجة وأسلوب فى الوعظ والارشاد .

والثالثة : مناظرته مع الملك نمروذ الجبار حيث قال له (فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر) .

وهذا كله دليل على عدم الارتياب فى شىء من التوحيد الخالص فى أى حال من أحوال الخليل إبراهيم عليه السلام والروايات الواردة فى بعض الكتب كما اعتمده الأستاذ تحتاج الى توثيق وتعديل وبدون ذلك يستحيل بها الاحتجاج .

ولا مرية فى أنه هو أول من كسر أصنام آزر وكان ذلك قبل محاجاته قومه وهذا ناقض صريح لقول الأستاذ .

نعم ان إبراهيم عليه السلام طلب طمأنينة المشاهدة وذلك فى قوله تعـالى (قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) وليس معناه أنه كان فى شك . ولعمرى أى عاقل يقول هذا وقد اختاره الله اماماً للناس يقتدى به (وان اتبع ملة إبراهيم حنيفاً) أفيختار من هو فى شك من التوحيد اماماً وقدوة مثلى ـ كلا . بل ان فى قوله (بلى) ثبوتاً محققاً لايمانه بلاشك وانما المطالبة كانت رتبة للحصول على معنى التلذذ بالمشاهدة والايمان يزيد وينقص كما هو مذهب السلف الصالح .

***

من الأخطاء العروضية للفقي

قال أبو تراب : نشرت « البلاد » فى عددها الـ ١٣٣٢ بتاريخ ٢٨ ـ ١ ـ ٨٣ هـ قصيدة بعنوان : « انت » لشاعرها الأستاذ الكبير (محمد حسن فقى) وهو الغني عن التعريف به .. فقد طبّق صيته الآفاق وسار بشعره الركبان فأعظم به شاعراً فحلاً أرزن ذا ديباجة .

ولقد وقفت عليها فأعجبنى عذوبة جرسها ولطافة معناها غير أنه وقع نظرى على مصراعين من أبياتها انكسر فيهما الوزن لاضطراب التفعيلة واختل معه بحر العروض .

ولبثت أياماً انتظر لعل الشاعر يعود ليصلح خطأه ويتعقب نفسه بنشر استدراك ما انفلت منه . فليس يعيب ان يعترف الانسان بهفوته وانما العيب هو العناد أو الاصرار على الأوهام ، ولكنى لم أره فعل ذلك حتى ايقنت انه غفل عما وقع فيه فوددت ان أسوقه الى موضع الخطأ لأنه يشق علينا ان يبقى كلام أمثاله على علاّته وما أشد سقطات الكبار .

ويعلم الله انى هممت بأن اشافهه بما أخذت عليه ليبادر الى اصلاحه ويتولى بنفسه تصحيحه فى النسخة عنده لأن جل غرضى فى ذلك هو التنبيه أو التصويب لا التشهير ولا الغمط ، واينا عصم من الغلط فلم تزل به قدم أو كبابه جواد .

أما بيان الخطأ ، فان البحر الذى نظمت منه القصيدة هو « المنسرح » وأصل تفاعيله هكذا : (مستفعلن مفعولات مستفعلن) فى كل شطر من البيت .

وعروض هذه القصيدة من هذا البحر هى التامة الصحيحة لا المنهوكة من الموقوفة أو المكشوفة وضربها مطوى لا مقطوع . ومعنى الطى أنه يحول (مستفعلن) الى (مفتعلن) بعد حذف الرابع الساكن ، وهذا حسن حيثما وقع كما فعل الشاعر ، وتطوى (مفعولات) فتكون (مفعلات) كما فى القصيدة أيضا .. ويجوز فى هذا البحر الخبن وهو حذف الثانى الساكن فتخبن (مستفعلن) فتحول الى (مفاعلن) وهذا صالح كما فى القصيدة وتخبن (مفعولات) فتحول الى (مفاعيل) وهذا قبيح على جوازه ولم يأت فى القصيدة .

كما يقبح فى هذا البحر الخبل على جوازه وهو حذف الثانى والرابع الساكنين فتكون (مستفعلن) بعد التحويل (فعلتن) وتكون (مفعولات) أيضا (فعلات) ويمتنع هذا فى العروض الأولى لتوالى الحركات الخمس ولكن هذا الزحاف لم يقع أيضا فى القصيدة ..

وبالجملة فان الزحافات الجائزة فى هذا البحر وهى الطى والخبن والخبل لم يستعمل منها الشاعر غير الطى والخبن فى جميع قصيدته فموازينها فى التفاعيل لاتخرج عن (مستفعلن) أو (مفتعلن) أو (مفاعلن) وهى فى التفعيلة الوسطى أما (مفعولات) وأما (مفعلات) وكل هذا حسن فأتى به الشاعر وأما القبيح الذى تجنبه فهو (مفاعيل) و (فعلات) فى الحد الأوسط أو (فعلتن) فى (مستفعلن)

أما بعد فكانت هذه توطئة للدخول الى الموضوع فاذا نظرت فى القصيدة الآن بعد ان علمت بحرها وعروضها وضربها والزحافات الجائزة والقبيحة

والممتنعة فيها ظهر لك موضعان من الخطأ فى القصيدة وذلك ما احببت الاشارة اليه .

ولا يظنن ظان ان الخطأ فيهما يسبب أحد الزحافين القبيحين المتقدمى الذكر على رغم جوازهما أو ان الخطأ حصل باستعمال الزحاف الممتنع ، كلا فلو كان الأمر كذلك لهان الخطب ، بل انما لحقه فى احد المصراعين بالزيادة على التفعيلة وفى الآخر بالنقصان منها .

فأما مكان الزيادة فقول الشاعر :

وفيــك ما فيــك لســت أرفضه   لكننــى ارتضى (به) واصطبر

فالمصراع الأخير منكسر الوزن لزيادة لفظة (به) فى الوزن وهى الوتد المجموع ولا يعتدل لسان الميزان الا اذا حذف لأن تقطيع المصراع هكذا :

(لكننى + مستفعلن + ارتضى و + مفعلات + اصطبر + مفتعلن) وهذه هى التفاعيل المطلوبة فأين مكان (به) منها ، أنها زائدة لايحتملها ميزان الشعر وأما مكان النقصان فقول الشاعر :

أو كنــت أنــت الحفــى (به)   من قبــل ما جف كان يغتفر

ففى المصراع الأول من هذا البيت انحرف الشاعر عن تفعيلة العروض وهى التفعيلة الأخيرة فأتى بها ناقصة الخلقة والتكوين مبتورة ذات خداج لأن تقطيع المصراع هكذا :

(أو كنت أن + مستفعلن + ت الحفى + مفعلات) ويحتاج بعد ذلك الى تفعيلة هى العروض ولابد من ان تكون اما (مستفعلن) وأما (مفتعلن) واما

(مفاعلن) ولفظة (به) هنا لاتطابقها احدى هذه التفعيلات المطلوبة ، اذن فهى كلمة ناقصة تحتاج الى اكمال وها انا ذا ادع للشاعر الكبير اصلاح هذا المصراع كيف شاء وعسى ان يكون الصديق بنقدى رضيا ..

* * *

وهم عبد القدوس الانصاري

قال ابو تراب :

وقفت على كتاب « مع ابن جبير فى رحلته » للشيخ الجليل الفاضل البحّاثة الأستاذ عبد القدوس الأنصارى ، وهو النَقَّابة عن النفائس ، والبادغ لألباب ألوازها ولكل واحد منّا أوهام وهفوات ، وهذا لايقدح فى معرفة الرجل وعلّو كعبه فى الاطلاع والفهم .

وممّا تعقبت الشيخ الانصارى من أوهامه توهيمه فى هذا الكتاب ابن جبير ، ولم يكن ابن جبير واهماً ، وانما الشيخ هو الذى تَوَهَّم أنّه وهم ، وأثبت تَخَيُّلَه ذلك فى هذا الكتاب ، ولولا أن الكتاب سار فى الأسواق ، وأخذ مكانَه من بين الكتب فى المكتبات لما أدرجت هذا الوهم ههنا ، واكتفيت بتنبيه الشيخ بينى وبينه ، أمَّا وقد كان من أمر الكتاب ماكان فلابد من التعْقيب والاستدراك ، لئلا تَغْتَرَّ ناشئة الباحثين فى الجامعات بكلام الشيخ فيظنوا ابن جبير أخطأ وماهو بخاطىء ولاواهم ، وهأنذا أذكر ذلك .

لقد ذكر ابن جبير فى رحلته : (ص ٩٠) مانصه : « ومن جبال مكة المشهورة بعد جبل أبى قبيس جبل حراء وهو جبل مبارك كان النبى ﷺ كثيرا ماينتابه ويتعبد فيه واهتز تحته ، فقال النبى ﷺ : اسكن حراء ، فما عليك الاّ

نبيٌّ وصدّيق وشهيد » وكان معه ابو بكر وعمر ، ويروى : أثبت فما عليك الاّ نبيٌّ وصدّيق وشهيدان » انتهى كلام ابن جبير .

وعَلّق على هذا الشيخ عبد القدوس فى كتابه المذكور (ص ١٧٨) ، بقوله مُعَنْوِنا : « على جبل ثبير ، وليس على جبل حراء »

وظاهر ان الشيخ اعتقد ان ابن جبير وهم فى ذكر (حراء) لذلك فهو يصحح له بأنه (ثبير) وليس الشيخ فى تصحيحه مُصيباً ، والذى أوقع الشيخ فى البلوى اعتماده على :

(أ . ى . ونسنك ، وى . ب منسنج) صاحب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ط ليدن ١٩٦٧ م . وهذا مما يعاب به المرء أن يستند فى فن الى غير أهله ، وكان الأليق بالشيخ الأنصارى أن يراجع الحديث فى مظانّه عند علماء الحديث وكتب التخريج ، ولايتسرع فى توهيم عالم مسلم هو ابن جبير لعدم ايراد المستشرق هذا الحديث فى المادّة التى راجعها الشيخ الأنصارى ، وهى (نبأ) فى (ج ٦ ص ٣٣٣) ، ففيه : « اسكن ثبير » .

لذلك قال الشيخ عبد القدوس وهو يرّد على ابن جبير والذى فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى هو مانصه : « اسكن ثبير فانما عليك نبى » وعزا هذا الحديث الى سنن النسائى ، وفى رواية : « انه ليس » و ماعليك الاّ نبىّ وصدّيق أو شهيد أو شهيدان ، ونسب هذا الى صحيح البخارى فى فضائل أصحاب النبى ﷺ .

ولم يكلّف الشيخ نفسه بان يراجع تخريج هذا الحديث فى كتب المّحدثين ولا أن يراجع كتب الحديث للتثبت من الحديث وروایاته ، والقصة وتعدّدها ، فوقف عند هذه المادة من الكتاب فجزم بتوهيم ابن جُبير .

ثم انه لو راجع فى هذا الكتاب الذى اعتمد عليه مادة (ثبت) لوجد ان هذا المستشرق أورد ايضا حديث : « اثبت حراء » الذى ذكره ابن جبير ، وعزاه الى أبى داوود والترمذى وابن ماجة ، وهذه أمارة القصور فى المراجعة حتى فى الكتاب الذى المعتمد عليه عنده .. وهو ملىء بالاوهام والاغلاط لذلك تصدّى له عالم هندى يشتغل بعلم الحديث وهو الآن بجامعة مكة فألف مُجَلَّدًا فى الاستدراكات عليه .

فالمعجم المفهرس ذكر حديث حراء فى ج١ ص ٢٨٧ وذكر فيه أيضاً حديث : « أثبت أحد » وعزاه الى البخارى وأبى داوود وأحمد . وذكر حديث : « اسكن ثبير » فى (ج ٦ ص ٣٣٣) وهو الموضع الذى اقتصر على مراجعته الشيخ عبد القدوس ، وكما عزاه الى البخارى وذكره الأنصارى عزاه الى مسلم وأبى داوود وابن ماجة وأحمد فى مسنده ، ولم يذكره الأنصارى ، فلو لم يقتصر على ذلك وراجع صحيح مسلم لوجد فيه حديث « حراء » الذى نفاه ، وَوهّم فيه ابن جُبَيرْ ، وذكر المستشرق حديث « اسكن أحد » وحديث « اسكن ثبير » فى (ج ٢ ص ٤٩٣) ايضا وهو مما غفل عنه الأنصارى أو أهمله دونما مراجعة ولم يراجع الاّ مادة واحدة كما قلنا آنفاً ، ولم يجد فيها الاّ حديث ثبير » فتجاسَرَ على توهيم ابن جُبير ، وعَنْوَنَ لكلامه بقوله : « على جبل ثبير وليس على جبل حراء » ظَنا منه انه مستدرك عليه ، ولم يدر أنه وقع فى غفلة ، وبالله التوفيق .

والحق الذى لامرية فيه أن فى تخطئة الشيخ عبد القدوس عَلَماً من الأعلام هو ابن جبير جَنَفاً عن الصواب ، وقصوراً فى البحث والاطلاع ، وتَسَرُّعاً أعقب

هذه السقطة ، فالرواية التى أشار اليها ابن جُبير ، وفيها ذكر (حراء) موجودة ثابتة ، ولم يطلع عليها الأنصارى ، وانما اطلع على التى فيها ذكر (ثبير) وذكرها المعجم المفهرس فراح يُوهّم ابنَ جُبير ، ويصّحح الرواية التى اطلع عليها بالعنوان الذى ذكرناه آنفاً ، ولم يطلع ايضاً على أن هناك رواية ايضاً فيها ذكر (أُحُدٍ) وهى فى البخارى فهلاّ أثبتها بدل رواية (ثبير) للنسائى ، والصواب عند العلماء أن كل ذلك صحيح وارد واقع ، وهو يدل على تعدد القصة وأنها وقعت على كل هذه الأجْبُل فى أزمنة متعددة .

لذلك قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى (ج ٧ ص ١٢٢) ما نَصُّه : « قوله : صَعِدَ (أُحُداً) هو الجبل المعروف بالمدينة ، ووقع فى رواية لِمُسْلمٍ ، ولأبى يعلى من وجه آخر عن سعيد (حراء) والأول أصَحُّ ، ولولا اتحاد المَخْرَجَ لَجَوَّزْتُ تعدّد القصة ، قال ثم ظهر لى أن الأختلاف فيه من سعيد فانى وجدته فى مسند الحارث بن أبى أسامة عن رَوْح بن عبادة عن سعيد فقال فيه : (أُحُد أوحراء) بالشك ، وقد أخرجه أحمد من حديث بريدة بلفظ (حراء) وإسناده صحيح ، وأخرجه ابو يعلى من حديثِ سهل بن سعد بلفظ : (أحد) وإسناده صحيح ، فَقَوّى الاحتمال تعدّدَ القصة . وفى آخر « الوقف » من حديث عثمان ايضاً نحوه وفيه : (حراء) وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة ما يؤيد تَعَدُّدُ القصة ، فذكر أنه كان على (حراء) ومعه المذكورون فى رواية البخارى وغيره وزاد معهم غيرَهم والله اعلم .

قال ابو تراب :

ونص حديث صحيح مسلم عن أبى هريرة انه ﷺ كان على جبل حراء فتحرك فقال رسول الله ﷺ اسكن حراء فما عليك الاّ نبىً أو صديق أو شهيدُ وعليه النبى ﷺ وابو بكر وعمر وعثمان وعّلى وطلحة والزُبير وسعد بن أبى وقّاص . (أنظر كتاب الفضائل ج ١٥ ص ١٩١) ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٣١ وبالله المستعان .

* * *

فهـــرس

* * *